التاريخ الأدبي

للإخوان المسلمين

(١٩٢٨ - ١٩٤٨م)

الدكتور جابر قميحة

أستاذ الأدب العربي - جامعة عين شمس - القاهرة

البصائر

للبحوث والدراسات

إهـــــــداء٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة



التاريخ الأدبي

للإخوان المسلمين

(١٩٢٨-١٩٤٨م)

قسم الشعر

الدكتور/ جابر قميحة

أستاذ الأدب العربي – جامعة عين شمس – القاهرة

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

قميحة، جابر
التاريخ الأدبي للإخوان المسلمين، ١٩٢٨ - ١٩٤٨ : قسم الشعر/ جابر قميحة . -[د.م] : البصائر للبحوث والدراسات
ط١- القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٧.
٢٧٢ص ؛ ٢٤ سم.
تدمك ٤ ٢١٨ ٣١٦ ٩٧٧
١- الشعر العربي- تاريخ ونقد ٢- الإخوان المسلمين
أ- العنوان ٨١١,٠٠٩

حقوق الطبع: محفوظة للناشر
الناشر: دار النشر للجامعات
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٠٥٧٩
الترقيم الدولي: I.S.B.N:977 - 316 - 218 - 4
الكود: ٢/٢١٠

دار النشر للجامعات



ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - تليفاكس: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، وعلى الحق أقاموا، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا...

إليهم بصدق وحق ...

أهدي هذه الكلمات...

جابر قميحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين. أما بعد:

فمن الحقائق التاريخية أن جماعة الإخوان المسلمين نشأت فى مصر انطلاقا من مدينة "الإسماعيلية" سنة ١٩٢٨، وانتشرت "شُعَب" الجماعة فى شتى أنحاء مصر، حتى بلغت مئات الشعب، وقد اتسعت رحابها للعلماء والعمال والفلاحين والطلاب، والشيوخ والشباب.

وكان لهذه الشعب وجودها الفعال، ونشاطها القوى المتواصل فى مجالات التربية الدينية، والخلقية، والسلوكية، والبدنية، والتوعية السياسية، ومجال الجهاد والاقتصاد. واستطاع الإخوان أن يحققوا نجاحا وتفوقا فى كل هذه المجالات، على الرغم من العقبات والعراقيل التى وضعت فى طريقهم، وعلى الرغم من موجات الاضطهاد والظلم التى فرضت عليهم.

وثمة عشرات من الكتب تعرض تاريخ الجماعة دينيا، وسياسيا، واجتماعيا، وتربويا، كان من أهمها كتاب محمود عبد الحليم -بأسفاره الثلاثة- "الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ"، وكتاب الأمريكى ريتشارد. ب. ميشيل "الإخوان المسلمون"، وكتاب عباس السيسى: "فى قافلة الإخوان المسلمين" وكتب: "أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين".

والكتب السابقة تعتبر من كتب التاريخ الشاملة التى غطت مسيرة الجماعة بشتى جوانبها ومناحيها.

وهناك كتب التاريخ "الجزئية" التى تؤرخ لجانب من جوانب الجماعة، ككتاب أحمد عادل كمال عن "النظام الخاص" الذى يسميه أعداء الإخوان "الجهاز السري". وكتاب "الإخوان المسلمون والمجتمع المصري" لمحمد شوقى زكى، وكتاب "الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين" لكامل الشريف.

وهناك عشرات من الكتب عن الإمام حسن البنا، ومسيرته التاريخية، من الميلاد إلى الاستشهاد، وإبراز ملامح منهجه، وعطائه الفكرى.

ولم تكن الكتب السابقة مجرد حشد للمعارف والمعلومات، بل كان لمؤلفيها حضورهم، ورؤيتهم الخاصة فى المادة المعروضة.

ولكن المكتبة العربية -فى حدود علمى- لم تحظَ بكتاب واحد عن التاريخ الأدبى للإخوان المسلمين، وعطائهم الشعرى والنثرى، عرضا وتقييما. وقد يرجع هذا الحرمان إلى عدة أسباب أهمها:

١- صعوبة حصول الباحث على المادة الأدبية -وخصوصا الشعر- فأغلبها مسجل فى دوريات يصعب التوصل إليها، والحصول عليها فى وقتنا الحاضر. وقدر كبير من هذه المادة لم يتجاوز الشُعب والمناطق، ولم يأخذ طريقه إلى النشر العام فى القاهرة والإسكندرية.

٢- كتبوا تاريخ الجماعة ربما رأوا أن الاهتمام بالوقائع والأحداث، والطروحات الفكرية، ومبادئ الجماعة، وتطور المسيرة التاريخية والجهادية أهم بكثير جدا من الانصراف إلى التأريخ لأدب الجماعة، وخصوصا أن كثيرا من الناس يعتبرون الأدب -شعره ونثره- نوعا من الترف العقلى.

ولكن هذا الاعتبار لم يمنع أن يكون الأدب آلية من آليات الدعوة لها جاذبيتها، وقوة أسرها، وإن جاءت فى مرتبة متأخرة بعد الخطابة والمحاضرات والمقالات.

ويسعدنى أن أقدم للقارئ بعامة، والقارئ المسلم بخاصة، والقارئ الإخوانى بصفة أخص: كتاب "التاريخ الأدبى للإخوان المسلمين"، وجعلت هذا الجزء خاصا بالشعر، على أن يصدر بعده -بمشيئة الله- الجزء الثانى عن "النثر" وبذلك تجيء الدراسة كاملة وافية عن الأدب شعره ونثره، وقد ساهم الأخوة الباحثون فى شركة البصائر للبحوث والدراسات بمجهود وافر فى جمع معظم مادة هذا الكتاب فجزاهم الله خير الجزاء.

وهذا الكتاب عن الشعر يضم ثلاثة أبواب مقسمة إلى أحد عشر فصلاً:

فجاء الباب الأول توطئة ومدخلا: عن موقف الإسلام من الشعر، وكيف وظف أيام الرسول ﷺ للدعوة الإسلامية.

ثم ثنيت ببيان موقف الإخوان من الشعر، وخصوصا مرشد الجماعة الإمام حسن البنا رحمه الله. وختمته بعرض قائمة بأسماء بعض شعراء الجماعة فى العقدين اللذين ندرس الشعر فيهما.

وجاء الباب الثانى أطول الأبواب وأوفاها عنوانه "الآفاق الشعرية"، أى الموضوعات التى عالجها الإخوان بشعرهم، ومنها المطولات الشعرية التاريخية بنوعيها:

الشامل والجزئى. والشعر التمثيلى، وفن الأوبريت، والأناشيد بأنواعها المختلفة، وشعر الجهاد وفلسطين، والمجتمع والسياسة، وشعر العامة. وكل أولئك فى ظل أعمال

شعرية إبداعية، قدمها شعراء الإخوان.

وفى الباب الثالث –آخر الأبواب– كان لنا وقفة تاريخية نقدية مفصلة، مع شاعرين من أشهر شعراء الإخوان هما: عبد الحكيم عابدين، وإبراهيم عبد الفتاح.

وجاءت الخاتمة لتلخص تلخيصا إلماعيا برقيا عناصر مهمة من الدراسة، وعرض بعض الملامح الموضوعية والفنية، ثم إشارات إلى طوابع الشعر الإخوانى فى الفترة التالية أى ابتداء من مطلع سنة ١٩٤٩م.

ولاستكمال الفائدة ألحقت بالكتاب مختارات متنوعة من أشعار الإخوان.

وفى نهاية هذا التقديم أنبه القارئ إلى ما يأتى:

١- أننى –فى تضاعيف هذه الدراسة– أكثرت من النماذج الشعرية من مختلف ألوانها وأجناسها، حتى يكون القارئ على بينة واضحة من اتجاهات هذا الشعر، وملامحه وطوابعه.

٢- كان لى مع هذه النماذج وقفات نقدية وتقييمية، لتبرز ما فى النص من ملامح القوة أو الضعف، والدلالات النفسية والإنسانية، وما قد يقود إليه من قيم شعورية، وخلقية، وتعبيرية.

٣- اعتبرت الشعر إخوانيا فى الحالتين الآتيتين:

أ- إذا كان الشاعر إخوانيا، حتى لو كانت إبداعاته الشعرية منشورة فى غير صحف الإخوان، أو منشدة فى غير محافلهم. وحتى لو كانت محاور شعرية لا تمثل الفكر الإسلامى، وتوجهات الإخوان مباشرة كالشعر المسرحى فى الحب العذرى، كما سنرى عند إبراهيم عبد الفتاح، وكذلك مسرحية "انتصار" لعبد الحكيم عابدين.

ب-إذا لم يكن الشاعر منتسبا للجماعة، ولكن شعره ذو طوابع إسلامية، ونشر فى مجلات الجماعة وصحفها.

الباب الأول

توطئة ومدخل

الفصل الأول : الإسلام والشعر

المبحث الأول : أمة شاعرة

العرب أمة شاعرة، إنها حقيقة أيدها الواقع التاريخى على مدار عصور التاريخ، وليس معنى ذلك أن كل عربى شاعر، ولكن المقصود أن الشاعرية كانت هبة شائعة فيهم على تفاوت فى عظمتها وضآلتها. وقد كانت البادية مُذْكية لهذه الشاعرية التى كانت غنية بجمالها المطبوع. ثم إن اللغة العربية لغة شعرية غنائية؛ لأنها حافلة بمترادفاتها التى تسعف المعبر، وتواتيه بالقافية، وهى دقيقة فى دلالاتها، غنية بأساليبها ومجازاتها، ثرية بمفرداتها ومشتقاتها، وفى كلماتها رنين وجرس يلائم الشعر والموسيقى.

على أن العربى ذكى، سريع البديهة، متوفر الحس، جياش العاطفة، يحيا حياة قبلية، ينافح عن شرف قبيلته، ويذيع محامدها، ويسلق خصومها بلسانه الحاد.. وحياة القبائل فى عراك لا تخبو ناره إلا ريثما تشتعل.

ثم إنه حساس يأسره الجمال، وليس فن جميل يودعه أحلامه وآماله، ويسلّى به وحدته، ويؤنس وحشته، ويجلى عبقريته إلا الشعر: فهو حداء الركب، وغناء الماتح على البئر، وأهزوجة المنتصر، وأغرودة العاشق، وسلوى المكروب والمحروب. فلا عجب أن كان الفن الجميل الذى اشتهر به العرب، واحتفلوا بقائليه، فرفعوا الشعراء مكانا عليّا، وبخاصة أنهم كانوا ألسنة القبيلة يقومون منها مقام الصحف الحزبية من الأحزاب. فإذا نبغ فى القبيلة شاعر، أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن فى الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذبّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج[(1)].

والشعر هو الذى حفظ حياة العرب، وسجل أيامها فى أفراحها وأتراحها، ونقل لنا عاداتها وتقاليدها، وأخلاقها، وملامحها النفسية، بل إن الشعر سجل "جغرافية العرب" ومنها مواقع وأماكن لا وجود لها الآن[(2)].

(١) انظر أحمد الحوفى: الحياة العربية من الشعر الجاهلي(١٠٩-١١٧) ط (٢) مكتبة نهضة مصر. القاهرة.

(٢) كما نرى على سبيل التمثيل أسماء الأماكن التى ذكرها عبيد بن الأبرص فى مطولته، ومنها: ملحوب- القطبيات- الذنوب- عردة- قفاحبر.

الإسلام وقيم الجاهلية

فلما جاء الإسلام كانت هذه حال العرب، ومكان الشعر الذى وظف -فى كثير منه- فى الهجاء الفاحش، وثلب الأعراض، والفخر بصفات لا إنسانية كالظلم كما نرى فى معلقة عمرو بن كلثوم.

بغاةً ظالمين وما ظُلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا[1]

وتسرب هذا المعنى إلى أحد الشعراء فى صدر الإسلام هو: النجاشى الذى قال فى هجاء "تميم بن مقبل":

إذا الله عادى أهلَ لؤمٍ وذلة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل
قُبيِّلةٌ لا يغدرون بذمةٍ ولا يظلمون الناسَ حبة خردل[2]

جاء الإسلام خاتما للأديان، وهذه "الخاتمية" تقتضى أن يكون أكمل الأديان، وأوفاها بحاجات الإنسانية، وأبرعها فى معالجة الأدواء التى حوتها قائمة القيم الجاهلية. واختلف موقف الإسلام من هذه القيم تبعا لنوعيتها:

١- فقابل بعضها بالرفض، وقضى عليها قضاء مبرما.

٢- وأقر بعضها، وشجعه ودعا إليه.

٣- وأبقى على جذور بعضها ومنابعه، ولكن سما به، وارتقى.

فموقف الإسلام إذن من قائمة القيم الجاهلية كان موزعا بين هذه التصرفات:

١- التحريم القاطع: كعبادة الأصنام، والغدر، والخيانة، والقتل بغير حق، والربا، والكذب، وقول الزور... إلخ

٢- الإقرار: للصفات الطيبة، كالكرم، ومناصرة المظلوم كما فى حلف الفضول، وحماية المستجير.

٣- التسامى والإعلاء: بالإبقاء على منبع الصفة وأصلها الباعث، مع توجيه طاقتها إلى ما ينفع الدين والمجتمع والإنسانية. وهو ما يسميه علماء النفس "التسامى أو السمو والإعلاء" Sublimation[3]

---

(١) انظر المعلقة: فى شرح القصائد العشر للتبريزى ١٨٧.

(٢) ابن رشيق: العمدة ١/ ٧٦ (بيروت طـ ٤-١٩٧٢). وانظر: جابر قميحة: أدب الخلفاء الراشدين ١٧٠ (دار الكتاب المصري١٩٨٥)

(٣) يقول الدكتور يوسف مراد: ولكن يجب أن يلاحظ أن عملية الإعلاء لا تنجح فى صرف الطاقات المكبوتة بطريقة ناجحة ملائمة إلا إذا أعيد تنظيم الشخصية بأكملها على أساس جديد لتقوية جميع نواحيها وتحقيق وحدتها=

وحقق الإسلام هذا "الإعلاء" بربط الشخصية بالدين، وقيمه التربوية من ناحية، وربط العمل بالجزاء من ناحية ثانية، وتقييم العمل على أساس النية من ناحية ثالثة[1].

ولعل أصرخ الأمثلة فى هذا النطاق هو ما عرف عن العرب من قوة وحماسة وشجاعة، وطبع مغروس فى أعماقهم باستعمال القوة والقتال والصراع الدامى فى معاجلة أمورهم. رأى الإسلام أن هذه الغريزة المقاتلة القاتلة لابدّ أن تُستغرق بالإعلاء، وإلا صارت "قدرة" مدمرة، قد تكمن إلى حين إذا اكتفينا بالتهدئة، أو بالمسكنات المؤقتة، ثم تعود كأضْرى ما تكون القدرة.

لذلك "سما" الإسلام بهذه الغريزة المتمكنة حين استغرقها بالجهاد فى سبيل الله، فبعد سنوات من المسالمة والعذاب والمعاناة نزلت أولى الآيات تأذن بالجهاد دفاعا عن النفس، وعن العقيدة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩]. ثم توالت بعد ذلك عشرات من الآيات تأمر بالقتال ما اقتضى الأمر، وتطلبت الأحوال، دون عدوان، وتنتظم شئون القتال، وشروطه، وما يجب على المسلمين تجاهه:

ومن هذه الآيات:

-﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠]

-﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء:٧٤].

-﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال٦٠-٦١].

من أمثلة الإعلاء

ومن أمثلة الإعلاء موقف الإسلام من الشعر، فالعرب -كما ذكرنا آنفا- كانوا أمة شاعرة، ومن ناحية المضمون: كان فى شعرهم الوضيء والوضيع، كان فيه الغزل

=وتكاملها بتأثير المثل الأخلاقية العليا، والتربية السديدة الصالحة هى التى تحقق إعلاء الغرائز، وتنقية الميول مما يشوبها من عوامل الأثرة والضعف، وذلك بتحقيق وحدة الشخصية وتكاملها وبتقوية الإرادة، وتوفير وسائل ضبط النفس. (من مبادئ علم النفس العام ١٥٣- ط٢ دار المعارف - القاهرة ١٩٥٤).

(١) انظر: جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية ٣٤ (دار الكتاب المصرى اللبنانى- القاهرة ١٩٨٤).

الفاحش[1]، كما كان فيه الغزل العفيف، وكان فيه الهجاء المقذع، كما كان فيه العتاب الرقيق، والتغنى بالمناقب والمآثر والخصال الإنسانية العليا. وكان فيه من الأوصاف ما هو موغل فى الكذب والبهتان، كما كان فيه ما يتدفق بالصدق والتسامح والمحبة.

وفى الفئة الباغية العدوانية من الشعراء نزل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝﴾ [الشعراء:٢٢٤-٢٢٦] فلما نزلت هذه الآيات بكى عبد الله بن رواحة الشاعر الصحابى الجليل فنزلت الآية الأخيرة (٢٢٧) تستثنى من هذا الحكم الصارم أمثاله من الصالحين الملتزمين ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝﴾ [الشعراء:٢٢٧].

فالشعر لم يحرمه الإسلام على إطلاقه، ولكن الأمر كما قال أبو حامد الغزالى ".. أما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، إلا أن التجرد له مذموم.. وإنشاء الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره"[2]. فمدار التحريم والتحليل هو "المضمون الفكري" للشعر، لا فن الشعر ذاته، فإذا تضمن معنى خبيثا يسيء إلى الناس، أو الدين، أو الخلق فهو حرام، وإلا فهو من قبيل المباح الذى لا حرمة فيه.

ومن ثم أخطأ من ذهب إلى أن الإسلام قد أوقف تدفق الطاقة الشعرية عند الشعراء، أو أضعف منها؛ لأن نهيه كان منصبا على الشعر الفاحش الذى يخرج على قواعد الدين والخلق، وبتعبير آخر: أصبح الشعر ملتزما "بالأيديولوجية" الإسلامية الإنسانية، بعد أن كان يسير فى طريق فوضوية، ينهل من مناهل العداء والأنانية والتطلع العدوانى، والغريزة الحمقاء.

ويصدق هذا الحكم بوضوح على شخصية الشاعر "عبد الله بن الزِبَعْرَى" الذى يعد من أشهر شعراء قريش، وكان من أشد الناس على رسول الله ﷺ، وعلى أصحابه بلسانه ويده، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب ابن الزّبعْرَى، مع شاعر كافر آخر هو هبيرة بن أبى مهيب إلى نجران خوفا من النبى ﷺ[3] ويظهر أنه كان عدوانى الطبيعة، مجبولا على

(١) من نماذج الشعر اللاأخلاقى الفاحش ما نظمه امرؤ القيس فى يوم دارة جلجل. (انظر معلقته فى شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٣ -القاهرة- ١٣٦٩هـ.

(٢) الغزالى: إحياء علوم الدين ٩/ ١٥٦٩ (دار الشعب- القاهرة).

(٣) عز الدين بن الأثير: أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٣/ ٢٣٩ (دار الشعب: القاهرة). وانظر كذلك: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ١٤٨. تحقيق أحمد شاكر. ط٣- ١٩٨٨القاهرة.

حب الهجاء.. حتى هجا قومه من مشركى قريش، من ذلك ما عرضه ابن سلام من أبيات مُرّة شديدة فى هجاء قريش كتبت على دار الندوة بليل دون أن يشعر أحد. وفى الصباح قرأها الناس فغضبوا وقالوا: ما كتبها إلا ابن الزِّبْعرى، وأجمعوا على ذلك رأيهم، وكادوا يقطعون لسانه[1].

فلما أسلم سما الإسلام بطاقته الشعرية القادرة، وصار ابن الزبعرى لسان صدق وحق فى الدفاع عن الإسلام، وحث المسلمين على الجهاد، ورثاء من استشهد منهم. ومن أجمل ما نظمه ما قاله فى رسول الله ﷺ:

يا رسول المليكِ إنَّ لسانى ... راتقٌ ما فتقتُ إذْ أنا بُورُ
إذْ أجارى الشيطان فى سَنَنِ الغىِّ ... ومَنْ مال ميلَه.. مثبورُ
آمن اللحمُ والعظامُ بما قلْـ ... ـتَ فنفسى الشهيدُ أنت القدير
إن ما جئتنا به حقٌّ صدق ... ساطع نورُه، مضىءٌ منيرُ
جئتنا باليقين والبرِّ والصدْ ... ق، وفى الصدق واليقين سرور
أذهب الله ضلَّةَ الجهل عنا ... وأتانا الرخاءُ والميسورُ[2]

(١) طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود شاكر ١/ ٢٣٦ (مطبعة المدنى. القاهرة).
(٢) أسد الغابة ٣/ ٢٣٩.

المبحث الثانى: الشعر والدعوة الإسلامية

وقد تعددت الروايات التى نقلت لنا أن رسول الله ﷺ فتح صدره لهذا الشعر الإنسانى الراقى، واستمع إليه، وشجعه ودعا الشعراء إلى سلوك دربه من ذلك:

١- ما نسب إليه ﷺ من تمجيد هذا الشعر وتعظيمه، من ذلك قوله: إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة[١].

٢- سماعه الشعر: فقد روى عمْرو بن الشريد عن أبيه قال "ردفْتُ رسول الله ﷺ يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء؟. قلت: نعم. قال: هيه. فقال: فأنشدته بيتا، فقال: هيه. ثم أنشدته بيتا، حتى أنشدته مائة بيت[٢].

٣- إنشاده فى بعض المواقف أبياتا من الرجز والشعر، فيروى أنه عليه السلام: كان يمشى إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت إصبعُه فقال:

هل أنتِ إلا إصبع دميتِ ... وفى سبيل الله ما لقيت[٣]؟

٤- تشجيعه عبد الله بن رواحة، ودعاؤه له، وكان يقول عنه للمسلمين "إن أخا لكم لا يقول الرفث هو عبد الله بن رواحة".

وأخرج الزبير بن بكار عن هشام عن عروة عن أبيه قال: ما سمعت بأحد أجرأ، ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة يوم يقول له رسول الله ﷺ: "قل شعرا تقتضيه الساعة، وأنا أنظر إليك"، فانبعث عبد الله بن رواحة يقول:

إنى تفرستُ فيك الخيرَ أعرفُهُ ... والله يعلم ما إن خاننى بصرُ

أنت النبى، ومن يُحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حَسَنٍ ... كالمرسلين ونصرا كالذى نصروا

فقال رسول الله : وأنت فثبتكَ الله[٤].

٥- تكليفه حسان بن ثابت أن يكون لسان الإسلام الناطق دفاعا عنه، وعن رسوله، وهجاء لكفار مكة: فيروى أنه ﷺ لما قدم المدينة تناولته قريش

---

(١) البخارى ٨/ ٤٢ (كتاب الأدب) – دار الشعب. القاهرة.

(٢) البخارى: السابق نفس الصفحة.

(٣) البخارى ٨/ ٤٣.

(٤) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات ٦٣٣: تحقيق الدكتور سامى مكى الغانى (بغداد)

بالهجاء، فقال لعبد الله بن رواحة: ردّ عنى، فذهب فى قديمهم وأولهم، فلم يصنع فى الهجاء شيئا. فأمر كعب بن مالك، فذكر الحرب، كقوله:

نصلُ السيوفَ إذا قصُرْن بخطْونا ... قُدُما، ونُلحقها إذا لم تَلْحقِ

فلم يصنع فى الهجاء شيئا. فدعا حسان بن ثابت، فقال: اهجهم، وائت أبا بكر يُخْبِرك -أى بمعائب القوم، وكان أبى بكر "علاّمة" قريش، أى أعلمهم بتاريخها وأنسابها.

وفى رواية أخرى قال له: اهجهم - أو هاجهم، وجبريل معك. وفى رواية: اهجهم كأنك تنضحهم بالنبل أى ترميهم بالسهام.

أى أمره أن يجرحهم جرحا لا يبلغ الطعن البعيد الفاحش، وهذا أكرم الأدب فى الهجاء[1].

ويروى أنه جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث:

هجوت محمدا وأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء

قال له رسول الله ﷺ: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما قال حسان:

فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرضِ محمد منكم وقاء

قال له: وقاك الله حر النار. فقضى له بالجنة مرتين وسبب ذلك شعره[2].

ومما سبق نستخلص ما يأتى:

١- أن النبى ﷺ توخى الدقة فى اختيار الشاعر المناسب، أى أنسب الشعراء وأقدرهم على القيام بالمهام الدعوية على وجهها الأفضل والأوفى، وكان هو حسان بن ثابت، مع وجود شعراء آخرين يتمتعون بموهبة شعرية، وقدرات طيبة.

٢- كما أحسن النبى ﷺ فى إرشاد حسان إلى "مصدر المادة العلمية والتاريخية" لاستخدامها فى هجاء قريش، وتمثل ذلك فى أبى بكر الصديق ﷺ. وقد كان أنسب العرب أى أعلمهم بأنسابهم وأخبارهم، وبخاصة قريش.

٣- أن النبى ﷺ وجه "حسان" إلى المنهج الفنى والموضوعى الذى يتبعه فى هجاء قريش دون غلو، أو إفحاش.

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء٢١٧-٢١٨. وانظر زكى مبارك: المدائح النبوية فى الأدب العربى ٢١- دار الجيل بيروت ١٩٩٢.

(٢) ابن رشيق: العمدة ١/ ٥٣.

وعاش حسان بن ثابت جديرا بوصف شاعر النبى ﷺ، وشاعر الدعوة الإسلامية بعامة، فلم يتوقف شعره عند هجاء قريش أو الرد على أهاجيهم[1]، بل تعددت أغراضه الشعرية، فلا يكاد يكون هناك وقعة، أو حدث له علاقة بالنبى ﷺ والدعوة والمسلمين إلا ولحسان فيه شعر، وكان أكثر الشعراء نظما، وأطولهم نفسا، وأوفاهم فنا:

فرثى شهداء المسلمين فى الغزوات والسرايا المختلفة، وسجل بطولاتهم وانتصاراتهم، ونظم فى التهكم على الكفار والشماتة بهم فى هزائمهم وانكساراتهم أمام المسلمين، ومن أبلغ مراثيه وأصدقها عاطفة القصائد الأربع التى رثى بها رسول اللهﷺ[2] ومنها مطولته المشهورة التى بلغت ستة وأربعين بيتا ومطلعها:

بطيْبَة رسمٌ للرسول ومعهدٌ ... منير وقد تعفو الرسومُ وتهمدُ
ولا تمتحى الآيات من دار حُرمةٍ ... بها منبُر الهادى الذى كان يصعدُ

وغير حسان كان هناك شعراء من الصحابة، عالجوا الأغراض الشعرية التى عالجها، وإن لم يبلغوا شأوه فكرا وتفننا، وطول نفس، وقلة منهم يكثر نظمها، وأغلبهم لم ينقل عنه إلا القليل، بل القطعة والقطعتان، وذلك إذا استثنينا الرجز الذى كان ينطق به الكثيرون فى المعارك بخاصة.

ومن هؤلاء الشعراء عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وعبيدة بن الحارث، وخوات بن جبير، وعبد الله بن الزبعرى –بعد إسلامه– وقيس بن المسحَّر اليعمرى، وبجير بن زهير بن أبى سُلمى، وعباس بن مرداس بعد فتح مكة، وقلة من النقاد ومؤرخى الأدب من يعتبر على بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب من الشعراء.

وهؤلاء الشعراء –كما ألمحنا آنفا– عالجوا الأغراض الشعرية الدعوية فى السلم والحرب، وقد عالج بعضهم معانى أبكارا. من ذلك الأبيات التى تنسب إلى "عبيدة بن الحارث" الذى قطعت رجله، وهو يبارز أحد الكفار يوم بدر. ومن هذه الأبيات:

فإن تقطعوا رجلى فإنىَ مسلمٌ ... أرجِّى بها عيشا من الله دانيا

---

(١) كذلك امتد هجاء حسان إلى المنافقين والمنافقات فى المدينة وما حولها. انظر مثلا هجاءه للمنافقة عصماء بنت مروان التى هجت النبى ﷺ (ابن هشام: السيرة النبوية (م٢/ ٦٣٧)– مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٥– القاهرة.

(٢) السابق ٦٦٦–٦٧١. وممن رثاهم شهداء أحد وخصوصا حمزة بن عبد المطلب وشهداء الرجيع وبئر معونة ومؤتة وغيرها.

مع الحور أمثال التماثيل أخْلصت | مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعتُ بها عيشا تعرفت صفوَه | وعالجته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منِّهِ | بثوب من الإسلام غطى المساويا

وبعدها لقى ربه شهيدا متأثرا بما أصاب رجله، وقد رثاه كعب بن مالك الأنصاري[1].

وأبيات عبيدة تذكرنا بأبيات خبيب بن عدى، والكفار يهمون بقتله وصلبه، وفيها يقول:

ولست أبالى حين أقتل مسلما | على أى جنب كان فى الله مصرعي
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ | يبارك على أوصال شلو ممزع[2]

وعلى مدار التاريخ ظل الشعر معبرا عن نبض الأمة الإسلامية آمالا وآلاما، فى الانتصارات والانكسارات، والدعوة إلى القيم العليا، واستنهاض الشعوب للجهاد والثبات، ولعل ما واكب -ويواكب- مأساة فلسطين معبرا عن المنهج الجهادى الذى ترفع لواءه منظمات الجهاد والمقاومة "كحماس" و "الجهاد" يعيد إلى أذهاننا توجهات الشعر وطوابعه فى صدر الإسلام، وكل أولئك يحتاج إلى مباحث طويلة مستقلة. ولكن المقام يقتضينا أن نتعرف على طبيعة الأديب المسلم، وخصوصا الشاعر، ونوعية العلائق التى تربطه بالدعوة التى يعايشها ويحمل أعباءها، مرتكزا على آلياته العقدية والفنية.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢.

(٢) انظر ابن حجر العسقلانى: الإصابة فى تمييز الصحابة ١/ ٤١٨. وانظر بتفصيل ابن عبد البر: الاستيعاب فى أسماء الأصحاب بهامش الإصابة ٤٣٠ (دار الفكر بيروت) وكان خبيب ممن أسر فى "الرجيع" سنة ٣هـ، وبيع فى مكة لبنى الحارث بن عامر.

المبحث الثالث: الالتزام وشخصية الشاعر المسلم

أشرنا من قبل إلى ما يروى عن النبى ﷺ من قوله: "إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة" والنبى ﷺ بهذه الكلمة الجامعة أبان عن طبيعة الأدب الحىّ الآسر وخصوصا الشعر بوصفه أرقى العطاءات الفنية، فأهم عناصره:

١- التصوير الجميل المؤثر الأخاذ.

٢- العاطفة الصادقة الآسرة.

ويفهم ذلك من وصفه البيان بأنه "سحر".

٣- الفكرة الصحيحة السديدة التى تقود الأفراد والجماعات إلى ما هو أفضل وأغنى وأرقى وأنفع فى الحياة.

وهذا ما نستخلصه من كلمة "حكمة" وهى كلمة جامعة لكل الفضائل، ووجوه الخير، وصدق إذ قال "الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها". ومن الكلمات المقطرة فى هذا المجال تعريف الشهيد سيد قطب للأدب الإسلامى بأنه التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية[١].

ويصف شقيقه محمد هذا الأدب بأنه "الفن الذى يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامى لهذا الوجود. هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"[٢]

وهذا التصور الذى ينطلق منه الشاعر المسلم هو التصور الاعتقادى الوحيد الباقى بأصله الربانى، وحقيقته الربانية.. إذ بقى الإسلام -وحده- محفوظ الأصول، لم يشب نبعه الأصيل كدر، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وصدق الله فى شأنه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾ [الحجر:٩][٣].

وربانية هذا التصور تعطيه قيمته الأساسية، وقيمته الكبرى، فهو وحده مناط الثقة فى أنه التصور المبرأ من النقص، المبرأ من الجهل، المبرأ من الهوى[٤].

---

(١) سيد قطب: فى التاريخ فكرة ومنهاج٢٨ (دار الشروق -القاهرة- ١٩٨٩).

(٢) محمد قطب: منهج الفن الإسلامى ٦ (دار الشروق -القاهرة- ١٩٨٧)

(٣) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى ٧١-٧٢ (الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية -١٩٧٨)

(٤) السابق ٧٤.

وهو كذلك مناط الضمان فى أنه التصور الموافق للفطرة الإنسانية، الملبى لكل جوانبها، المحقق لكل حاجاتها، ومن ثم فهو التصور الذى يمكن أن ينبثق منه، ويقوم عليه أقوم منهج للحياة وأشمله[١].

وانطلاق الشاعر المسلم من هذا التصور الإسلامى فى إبداعاته يعنى أنه "شاعر ملتزم"، وهو التزام يختلف عن الالتزام بمفهومه الشيوعى أو الوجودى الذى يعد من قبيل الإلزام. إن هذا الالتزام -كما يقول الدكتور هدارة- يعد جزءا لا يتجزأ من عملية الإلهام الفنى، وليس خاضعا لعنصر الاختيار الواعى المتعمد.. جزءا من نسيج التجربة التى هى لب الأدب..

وكأن الالتزام فى الأدب الإسلامى يعنى تجارب حية فى وجدان الأديب المسلم وفكره الذين تشربا التعاليم الإسلامية بحيث صارت هذه التعاليم وحدها مرادا طبيعيا لتجاربه التى تتسع لكل معانى الوجود والحياة[٢].

فالتزام الشاعر المسلم -وخصوصا إذا كان داعية- إنما هو استجابة لفطرته السوية من ناحية، وتشربه القيم الإسلامية عقيدة وديانة وعلما وثقافة من ناحية أخرى، حتى أصبحت هى "ميزان" الأشياء فى كل شئون حياته، وأصبح "الالتزام" -شكلا وموضوعا- هو الطابع الأساسى -بل الوحيد- فى مسلكه الخلقى والفنى، وما عداه يعد نشوزا، وخروجا على الأصل النبيل الكريم.

"وحتى يكون "منبع الالتزام" غنيا ثرارا دائما، كان على الشاعر أن يكون موصولا بالقرآن والسنة، ومعطيات العلم والثقافة، وتجارب الحياة"[٣].

وقد أبرزت الآية (٢٢٧) من سورة الشعراء صورة الشاعر المسلم، كما يجب أن يكون، فحتى يكون جديرا بهذا النسب عليه أن يتصف بما يأتى:

١- الإيمان القوى المتين.
٢- العمل الصالح والسلوك السوى.
٣- الإكثار من ذكر الله.
٤- الانتصار لدينه ونفسه من الظالمين.

وهى صفات طيبة شاملة متكاملة تمتلئ بها نفس الشاعر المسلم فى جوانبها الأربعة العقدية والسلوكية والروحية والنفسية:

---

(١) السابق ٧٥.

(٢) د. محمد مصطفى هدارة: الالتزام فى الأدب الإسلامى ٢٠(بحث مقدم لندوة الأدب الإسلامى المنعقدة فى الرياض فى ١٦/ ٧/ ١٤٠٥هـ).

(٣) محمد المجذوب: أدب ونقد ٥٠ (نادى المدينة الأدبى: السعودية. ط١ ١٤٠٨-١٩٨٨).

إيمان قوى صادق، وعمل صالح، وقلب صاف عامر بذكر الله دائما، وعزة واستعلاء بالحق، وإباء للضيم وتحديه، والانتصار عليه. وهذا المضمون هو ما عبر عنه فى إيجاز شديد شهيد الإسلام سيد قطب حين عرف الأدب الإسلامى بأنه "التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية"[1].

هذا هو الشعر، وموقف الإسلام منه، ومكانته عند النبى ﷺ وصحابته، ومدى التزام الشاعر المسلم بقائمة القيم الإنسانية، والأخلاقيات الإسلامية.

وفى الصفحات التالية نعرض لموقف الإخوان من الشعر، ومكانته بين الآليات الدعوية الأخرى فى مرحلة التأسيس التى استغرقت عقدين من الزمن، مع وقفة نقدية مع مرشد الجماعة، وموقفه من الشعر. وعرض أسماء بعض شعراء هذه الفترة.

(١) فى التاريخ فكرة ومنهاج ٢٨.

الفصل الثانى: الإخوان والشعر

المبحث الأول: الإخوان والشعر: موقفا ومعايشة

ذكرنا فيما سبق موقف الإسلام من الشعر، ورأينا كيف حرص الرسول ﷺ على أن يكون له وللمسلمين شاعرهم الأول حسان بن ثابت، ثم شعراء آخرون كعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وعبيدة بن الحارث وغيرهم.

وإذا كان الشعر ديوان العرب، فإنه يبقى فن الصفوة -إن صح التعبير- فهو يعتمد وينهل من موهبة أصيلة لا يرزق بها إلا القليلون.

كما أن تذوق الشعر، ووعى أبعاده ومضامينه يحتاج إلى خبرة لغوية، وقدرة على التمييز بين وجوه الكلام.

أما الخطابة فكانت هى الآلية الأولى فى الدعوة الإسلامية[1] ولعل أول خطبة دعوية فى الإسلام هى خطبة النبى ﷺ على جبل الصفا بعد ثلاث سنين من الدعوة سرا، ونزول قوله تعالى ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر٩٤]، وقوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الشعراء٢١٤، ٢١٥][2].

وبتطور الدعوة، ونشوء الدولة الإسلامية تعددت وتنوعت الخطب مثل خطبة الجمعة، وخطبة العيدين، وخطب الجهاد وتحميس الجيوش، وخطب السفارات.. وغيرها، تبعا للمناسبات على اختلاف أنواعها.

وسلكت دعوة الإخوان المسلمين السبيل نفسها فى اتخاذ الخطابة أهم الآليات فى نشر الدعوة والدفاع عنها، ويستوى فى ذلك الخطب الجماهيرية العامة، والمحاضرات الدعوية والأكاديمية، والحوار، والمناقشة والمجادلة.

((١) الخطابة هى فن مشافهة الجماهير الذى يعتمد أساسا على الإقناع والاستمالة وعلى الخطيب أن يراعى مقتضى الحال فى خطبته، متحكما فى صوته رفعا وخفضا. والضغط على المواطن المهمة فى موضوعه، وغير ذلك من القواعد المعروفة عن شروط الخطبة الجيدة.(انظر مجدى وهبة، معجم مصطلحات الأدب ٢٠٥، ٢٧١: مكتبة لبنان- بيروت- ١٩٧٤).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول ٢٦٢-٢٦٣- مصطفى الحلبى ١٩٧٥ والمقريزى: إمتاع الأسماع ١٥ – لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١.

واختيار هذه الآلية إنما هو اتباع لمنهج النبى ﷺ واستصحاب لهذا الأصل الكريم من ناحية، واعتراف بالواقع الاجتماعى والسياسى والدينى بالنسبة لمصلحة الدعوة من ناحية أخرى. وهو واقع يتأثر بالكلمة المسموعة، أكثر من الكلمة المكتوبة. ولأمر ما كان فعل الأمر "قل" هو أكثر الأفعال ورودا فى القرآن الكريم.

كما أن الخطابة أيسر تناولا واستخداما من الشعر. فهى تنطلق بلا قيود صارمة، وضوابط حادة من وزن وقافية.

وفى حقل الدعوة الإخوانية آلاف الخطباء من العلماء والطلاب والأكاديميين. وكثير منهم تمرسوا بالخطابة وتدربوا عليها من أيام أن كانوا فى حقل الدعوة أشبالا، وكذلك منخرطين فى الأُسر[1].

---

(١) من أهم آليات الإخوان فى الدعوة: الخطب والمحاضرات والكتب والرسائل المكتوبة والتربية العملية عقلا وروحا وجسما.والرسائل العامة الموجهة (انظر د. القرضاوى: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ٢٣-٦٥ مكتبة وهبة القاهرة ١٣٩٩).

المبحث الثانى: حسن البنا والشعر

على أن رائد الدعوة الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأول للإخوان لم يكن شاعرا، وإن كان له بعض المحاولات الشعرية وعمره ثلاثة عشر عاما (سنة ١٩١٩) وهو تلميذ فى مدرسة المعلمين، يقول عنها فى مذكراته:

ولا زلت أذكر يوم دخل علينا أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح، والدموع تترقرق فى عينيه، فسألناه الخبر، فقال: مات اليوم "فريد بك" وأخذ يحدثنا عن سيرته، وكفاحه وجهاده فى سبيل الوطن حتى أبكانا جميعا، وأوحت إلى هذه الذكرى ببضعة أبيات لا زلت أحفظ مطلعها، وشطرا آخر:

أفريدُ نم بالأمنِ والإيمانِ ... أفريدُ لا تجزع على الأوطان

أفريد تفديك البلاد بأسرها ... .(١)

كما نظم التلميذ حسن البنا حول "لجنة ملْنر" التى قاطعها المصريون قصيدة طويلة لا يذكر منها إلا البيتين التاليين:

يا ملنر ارجعْ ثم سلْ ... وفْدا بباريس أقام

وارجع لقومك قل لهم ... لا تخدعوهم يا لئام(٢)

ولم يعرف عن حسن البنا أنه نظم شعرا بعدها، لا فى سنى الطلب، ولا بعد أن تخرج فى "دار العلوم". ولكنه كان يحب الشعر، ويملك ذائقة رفيعة دفعته إلى أن يستشهد بأبيات من الشعر -قديمه بخاصة- فى كثير من المواقف والمناسبات مما يدل على سعة اطلاعه وحضور بديهته، وقوة حافظته من سنوات دراسته الإعدادية. ومن ذلك ما جاء فى مذكراته:

"ومن الطرائف أن بعض المفتشين زارنا فى حصة من حصص اللغة العربية بالسنة الثالثة الإعدادية، ولم أكن أحفظ حينذاك إلا "ملحة الإعراب" للحريرى، فسأل عن علامة الاسم، وعلامة الفعل فى القواعد، ثم سأل عن علامة الحرف فانتدبنى الأستاذ للإجابة.. فكان الجواب بيتا من الملحة، وهو قول الحريرى:

والحرف ما ليس له علامهْ ... فقسْ على قولى تكنْ علّامهْ

---

(١) حسن البنا "مذكرات الدعوة والداعية" ٢٣- دار الكتاب العربى بمصر.

(٢) انظر السابق: نفس الصفحة.

فابتسم الرجل(المفتش) وقال "حاضر يا سيدى، سأقيس على قولك لأكون علامة. وشكر الأستاذ وانصرف."[1]

وكان معجبا بأستاذه الشاعر البدوى محمد عبد المطلب، ويشيد بعلمه الفياض، وقدرته النقدية إذ كان أول لقائه به فى الحصة الأولى يوم افتتاح الدراسة "بدار العلوم" وهو يلقى بحماسة بيتين كتبهما على السبورة، وهما لعبيد بن الأبرص ونصهما:

لنـــا دارٌ ورثنـــا مجـــدها الـــ ... أقـدمَ القـدموس عـن عـم وخـالِ

منـــزل منـــه آباؤُنـــا الـــ ... مورثونـا المجـدَ فـى أولى الليـالى

وطلب من الطلاب إعرابهما، واستطرد إلى ذكر أنواع الأسلحة وخصوصا السهام، من مريش وغير مريش واستشهد بقول الشاعر:

رمتْنى بسهم ريشه الكحـل لم يُضِرْ ... ظواهر جلدى وهْو للقلب جارح[2]

ويورد فى كتاباته من الشواهد الشعرية ما يدل على حب الوطن والاعتزاز به. فظل عالقا بحافظته ما كانت الجماهير تردده –فى قوة وحماسة– من أناشيد فى ثورة ١٩١٩، وكان هو فى الثالثة عشرة من عمره. ومنها:

حـب الأوطـان مـن الإيمـان ... وروح اللهِ تنادينا

إنْ لم يجمعنـا الاسـتقلال ... ففـى الفـردوسِ تلاقينـا

ويردّ هذا الشعور النبيل إلى أصل تراثى إسلامى "فحب المدينة لم يمنع رسول الله ﷺ – بعد الهجرة– من أن يحن إلى مكة، وأن يقول لأصيل – أحد الصحابة، وقد أخذ يصفها– "يا أصيل دع القلوب تقر".

وأن يجعل بلالا يهتف من قرارة نفسه:

ألا ليـت شـعرى هـل أبيتنَّ ليلـةً ... بـواد وحـوْلى إذْخـر وجليـلُ

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٢٨. ويقول حسن البنا عن نفسه وحفظت وأنا فى المرحلة الإعدادية –خارج المناهج الدراسية كثيرا من المتون فى العلوم المختلفة منها: ملحة الإعراب للحريرى وألفية ابن مالك والياقوتة فى المصطلح والجوهرة فى التوحيد. والرجبية فى الميراث.. وعدد كتبا أخرى فى المنطق والمذاهب (السابق نفس الصفحة). وفى قوة ذاكرته تروى وقائع أغرب من الخيال، لا يتسع لها المقام. فليرجع القارئ إلى: عمر التلمسانى: الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ٢٨ (دار النصر للطباعة القاهرة. د. ت) –ذكريات لا مذكرات٤٩ دار الاعتصام– القاهرة ١٩٨٥– محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٤٠ (دار الدعوة – الإسكندرية١٩٤٨).

(٢) المذكرات ٣٧-٣٨. وقد تردد هذا المعنى فى عشرات الأبيات من الشعر العربى: قديمه وحديثه، منها قول شوقى:

لما رنا حدثتنى النفسُ قائلة ... يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمي

وهل أردَنْ يوما مياه مجنّةٍ   وهـل يبـدونْ لى شـامة وطفيـل[1]

ولكن يأتى الإسلام فى المرتبة الأولى قبل الوطن، وإن شئت فقل إن الإسلام وطن، وقومية وجنسية، ومن هذا المعتقد يولـد الاعتـزاز بالـدين والتمسـك بـه تمسـك اعتـزاز وعمل. ويوظف الإمام الشهيد من الشواهد الشعرية ما يؤيد ذلك ويـدعو إليـه، ".. فقـد فضّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم إلى الله تبارك وتعالى، ويجعلوا أساس صـلاتهم، ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة، فينادى أحدهم صاحبه:

لا تـــدْعنى إلا بيـــا عبــدَها   فإنــــه أشــــرفُ أسمـــــائى

فى حين يجيب الآخر من سأله عن أبيه أتميمى هو أم قيسى؟

أبـــى الإســـلامُ لا أبَ لى ســـواهُ   إذا افتخـــروا بقـــيس أو تمـــيم[2]

والظلم ظلمات، والرضاء بالظلم والتسليم له جريمة لا تقل بشاعة عن جناية الظالم. ويستشهد الإمام بهذا البيت القديم:

نفلّـــق هامًـــا مـــن رجـــالٍ أعـــزّةٍ   علينـــا وهـــم كـــانوا أعـــقَّ وأظلمـــا

فإذا عجز المظلوم عن دفع الظلم، فعليه أن يهاجر إلى حيث يجد العدل والأمـن فـى كرامة وعزة نفس، وفى ذلك يقول الشاعر القديم:

إذا أنكرتْنـــى بلـــدة أو نكرتُهـــا   خرجـتُ مـع البـازى علـىّ سـوادُ

ويرى الإمام الشهيد أن المرأة يجب أن تهذب وتعد وتهيأ لتكون زوجة وأمًّا قبل كل شيء. ويسوق وصية أبى العلاء المعرى فى هذا المقام:

علمـوهنّ الغـزل والنسـج والـرُّدْ   ن وخلـــوا كتابــــة وقـــــراءة

فصـلاة الفتـاة بالحمـد والإخـلا   صِ تجـزى عـن يـونس وبـراءة[3]

ويعلق الإمام على هذين البيتين بقوله: "ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد ما يريد أولئك المغالون المفرطون فى تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات، ولكنا نقول علموا المرأة ما هى فى حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التى خلقها الله لها: تدبير المنزل، ورعاية الطفل[4]". فالحد المعقول فى شان المرأة هو حد الوسط –بلا تفريط أو إفراط– أو هو –بتعبير آخر– ترتيب أولويات.

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (دار الدعوة– الإسكندرية ١٩٨٩).

(٢) مجموعة الرسائل ٤٨.

(٣) مجموعة الرسائل ٢٩٩. والردن: صناعة الملابس.

(٤) السابق نفس الصفحة.

ويكثر الإمام الشهيد من شواهد الشعر القديم والحديث ما يستبطن أخلاق الناس وطباعَهم، ومنها:

لعمرك ما ضاقتْ بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق[(1)]

وشافى الناس من نزعات شر ... كشافٍ من طبائعها الذئابا[(2)]

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم تُرنى الأيامُ خِلاً تسرن ... مباديه إلا ساءنى فى العواقب[(3)]

ومن فضول القول أن ننبه إلى أن الإمام المرشد لم يورد هذه الشواهد مجردة، ولكن ساقها مرتبطة بوقائع ومناسبات ومواقف، فجاءت فى السياق متوافقة دون تعمل أو تعسف وتكلف، وذلك لتأكيد المضمون، وتقويته، والإقناع به، وقد تضيف إلى المضمون أفكارا جديدة لم تردْ فى السياق وتبقى دلالتها الذاتية واضحة، وهى قوة حافظة الإمام الشهيد، وسعة اطلاعه، وحضور بديهته وحماسته لموضوعاته، واعتزازه بالتراث الأدبى[(4)].

وإذا كان الإمام الشهيد لم يكتب له أن يكون شاعرا، فإن كثيرا من نثره حظى بقدر كبير من "الشعرية" مثل جمال التصوير، وقوة الإيحاء، وبراعة الخيال، والإيقاع الموسيقى مع توهج العاطفة، وتدفق الشعور، ومنه ما لا يحتاج إلا للوزن والقافية حتى يصدق عليه وصف الشعر، ونجتزئ بالأمثلة الآتية:

١-من رسالة إلى الشباب (وإلى الطلبة خاصة):

يا شباب: لقد آمنا إيمانا لا جدال فيه، ولا شك معه، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسى، وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هى التى تنقذ الدنيا المعذبة، وترشد الإنسانية الحائرة، وتهدى الناس سواء السبيل، ...هذه الفكرة هى الإسلام الحنيف الذى لا عوج فيه، ولا شر معه، ولا ضلال لمن اتبعه...[(5)].

---

(١) السابق ١٦٨

(٢) المذكرات١٤٠.

(٣) مجموعة الرسائل ٣٥٢.

(٤) ننبه القارئ إلى أن ما سقناه من شواهد لم يتعدَّ ما جاء فى رسائل الإمام ومذكراته. وأكثر منها ما كان يسوقه فى خطبه العامة، وأحاديثه العادية. ولكن أغلب شواهده كانت من القرآن الكريم والسنة النبوية، وترى ذلك بوضوح فى رسالة "نحو النور"، فالشواهد القرآنية فيها قرابة أربعين آية، وما لا يقل عن عشرة أحاديث. (انظر جابر قميحة: الإمام الشهيد حسن البنا بين السهاد السوداء وعطاء الرسائل ٢٠٨. دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة-١٩٨٨م)

(٥) مجموعة الرسائل٩٩.

٢- من رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن:

أيها الإخوان المسلمون. أيها الناس أجمعون: فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة المريرة، التى تلدها الليالى الحبالى فى هذا الزمان، وفى هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون، وتسرى بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورية، مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر:

نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين...

هادئة، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة متواضعة، ولكنها أعز من الشم الرواسى.

محدودة، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعا.

خالية من المظاهر الزائفة، والبهرج الكاذب، ولكنها محفوفة بجلال الحق، وروعة الوحى، ورعاية الله...[1].

٣- من رسالته إلى الملك فاروق عن الفساد والسقوط:

يا صاحب الجلالة: حدود الله معطلة لا تقام، وأحكامه مهملة لا يعمل بها فى بلد ينص دستوره على أن دينه هو الإسلام.

بؤر الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون: تغشى الناس فى كل مكان... أندية السباق والقمار تستنفد الأوقات والأموال، ويعمرها كبار القوم، ويتردد عليها ثراة الأمة، حتى أصبحت أندية الموظفين فى العواصم والحواضر عنوان الفساد، ومتلفة الأخلاق فى البلاد...[2].

وقدم الإمام الشهيد للعربية فى بدايات عمله الوظيفى ديوان "صريع الغوانى: مسلم بن الوليد"[3].

---

(١) مجموعة الرسائل ١١٠. والرسالة هى نص الخطاب الجامع الذى ألقاه الأستاذ الإمام فى الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء ١٤ صفر ١٣٥٨هـ- ٤إبريل ١٩٣٩م. بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة.

(٢) نشرتها مجلة النذير فى ٨ من المحرم ١٣٥٨. ولم ترد فى مذكرات الإمام الشهيد ورسائله. ولكن نشرها عبد المتعال الجبرى ص٦٩-٧٠ من كتابه: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا (دار الاعتصام- القاهرة١٩٧٨) وانظر جابر قميحة ١٤٢-١٤٣ من كتابه: الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل.

(٣) مسلم بن الوليد (١٤٢-٢٠٨هـ) شاعر عباسى، ولد بالكوفة، ونشأ بها، ثم جاء إلى بغداد فى أيام الرشيد، وله أربع قصائد فى مدحه، ويقال إنه لما أنشده لاميته فيه، وأورد على سمعه قوله فى مقدمتها:

هل العيش إلا أن أروح مع الصبا ... وأغدو صريع الراح والأعين النُّجلِ

قال له الرشيد: أنت صريع الغوانى. فلصقت به الكلمة، وأصبحت لقبا له، لا يعرف إلا به.

وممن اتصل بهم: الفضل البرمكى، ويزيد الشيبانى، والفضل بن سهل. وهو شاعر متقدم على غيره فى العصر العباسى، سليم الشعر حسن السبك، قليل التكلف. وزعموا أنه أول من قال الشعر المعروف بالبديع، والحق أنه=

وتحت عنوان الغلاف: "نقحه، وصححه، وعلق عليه الأستاذ الجليل حسن أفندى أحمد البنا- المدرس بالمدارس الأميرية"(1).

فكان مجهود الإمام البنا محصورا فى التنقيح والتصحيح، والتعليق، مع معارضته على النسخة المطبوعة فى الهند. فى مدينة بمبى سنة ١٣٠٣ (وهى أصح من النسخة المطبوعة فى لندن). ومنهج الإمام الشهيد فى التعامل مع هذا الديوان يتلخص فيما يلى:

١- تصديره بترجمة للشاعر ملخصة من كتاب الأغانى.

٢- ترتيب القصائد ترتيبا مرسلا، لا على أساس حرف الروى، ولا أساس الغرض الشعرى، مع ذكر بحر كل قصيدة.

٣- الإيجاز الشديد جدا فى الشرح، والتعليق على القصائد.

٤- يتعدى -غالبا- الشرح اللغوى للكلمات. فالديوان لا يخضع "للتحقيق" بالمفهوم العلمى المنهجى.

٥- يفهم من كلام الإمام البنا أنه حذف قدرا كبيرا من أخبار الشاعر وشعره، أو على حد قوله "ولصريع الغوانى أشعار رقيقة، وأخبار كثيرة لطيفة، أضربنا عن ذكرها خوف الإطالة".

ولكن تبقى فضيلة هذا الديوان أنه يشد القراء وخصوصا الناشئة والشباب إلى لون من الشعر الجيد الراقى، مما يرقى بذوقهم الأدبى، وينمى حاستهم الجمالية.

وهذا العمل الأدبى النقدى من الإمام البنا يدل على حبه للشعر، واهتمامه به، مع أنه لم يرزق موهبة نظمه. وكان للإمام الشهيد -رحمه الله- نظرات فاحصة صائبة فى الشعر وتقييمه، وبيان مهمته ورسالته فى الحياة.وقد طرح رؤيته هذه فى مقالات مستقلة، وفى تضاعيف مقالات ودراسات، وكذلك فى تقديمه لدواوين شعراء الإخوان.

ومن ذلك تقديمه لديوان "حكمة الرجز" للشاعر محمد خليل الخطيب، وفيه وضح الإمام الشهيد تصوره لمهمة الشاعر ودوره فى الحياة والمجتمع وخلاصته أن الشعر رسالة، وأن للشاعر دورا إيجابيا فى مجتمعه وأمته، يضعه فى مقام الهداية والقيادة والريادة.فقال:

=أكثر منه، ولم يبتدعه. وفى شعره درر من المعانى والصور، وحلى كثيرة من وشى الطباق والمقابلة والجناس والمشاكلة، مع العناية بموسيقاه الضخمة، وما ترسله من رنين قوى محكم، مزاوجا بكل ما استطاع بين عناصر الشعر القديمة والجديدة(انظر شوقى ضيف: العصر العباسى الأول: ٢٥٣-٢٦٨- دار المعارف- القاهرة- الطبعة السادسة- ١٩٧٦).

(وانظر كذلك: محمد التونجى: المعجم المفصل فى الأدب ٢/ ٥٨٥- دار الكتب العلمية- بيروت - ١٩٩٣)

(١) طبع بنفقة محمد أحمد رمضان المدنى- صاحب مكتبة المعاهد العلمية- بالصنادقية بمصر.

"إن الشاعر فى الأمة مصور ماهر، يصور عواطفها وآمالها، ويرسم مكنونات ضمائرها ونفوسها، وقلب نابض بأفراحها وأحزانها، يخفق لها خفقة الفرح والسرور إن أصابت مغنما، أو لقيت خيرا، ويتأوه آهة الحزين إن مسها الضر، أو نابها شر، يصور ذلك فى أبيات رشيقة، تحمل رسالته إلى أمته بلغة الشعر والقصيدة، وهو مع هذا هادٍ يدل أمته على طريق النجاح، ويحذرها التردى فى مهاوى الفساد، ويخلع على الفضيلة أجمل حلة تلفت إليها النفوس، وتستهوى الأنظار، ويضع الرذيلة فى صورة بشعة مروعة لو اطلعت عليها الأمة لولت منها فرارا، ولملئت منها رعبا.. ذلك هو الشاعر فى ثوب العاطفة والحس، وهذا هو الشاعر فى ثوب الوعظ والتذكير، وهو فى كليهما يقوم بأجل الخدمات للإنسانية البائسة الغافلة."[1]

وفى نقده التطبيقى للشعر يحرص على الالتزام بأخلاقيات الناقد، دون تجريح المنقود، أو الإساءة إليه، خلوصا إلى إظهار الحق بلا تفريط أو إسراف وإفراط، فهو نقد محكوم بخليقة نفسية أخلاقية موضوعية اسمها (أدب الإسلام) كما نرى فيما كتبه بالنص فى المثال التالى:

"فى البلاغ الغراء بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣٥٢- قصيدة لأديب فاضل يرثى بها جلالة الملك فيصل -ملك العراق- ويهنئ الملك غازى الأول بعرش العراق، وفى هذه القصيدة يقول:

دعوا النعش لا تحملوه على ... سراة الخِضَمِّ ومتْنِ الهواء
فجبريل أدرى به منكمو ... وأولى بحمل السنا والسناء
وهذا محمد من خلفه ... يسير ومن خلفه الأنبياء

ونحن نجل الفقيد الكريم جلالة الملك فيصل، ونعلم آثاره الخالدة فى خدمة الأمة العربية، ونجد ألم الحزن العميق الذى شملها لفقده.

والرجاء الكبير فى خليفته الهمام، ولكنا مع هذا نود من أدبائنا ألا يجاوزوا الحد، حتى يتناولوا مقام الملائكة والأنبياء، ففى ذلك غلوّ يأباه الطبع العربى المنصف، ويأباه الأدب الإسلامى العالى، ومآثر جلالة الملك فيصل حية خالدة، وهى لذلك فى غنى عن المبالغة والإغراق"[2]

---

(١) موقع إخوان أون لاين تحت عنوان "البنا والفن" إعداد عادل الحلاوى وانظر تقديم الإمام الشهيد لديوان "من وحى الدعوة الإسلامية" لإبراهيم عبد الفتاح ص٦-٧. (دار القبس- الإسكندرية١٩٨٩).

(٢) الإخوان المسلمون الأسبوعية -السنة الأولى- العدد١٥- غرة جمادى الآخرة ١٣٥٢- ٢١ من سبتمبر ١٩٣٣.

خلاصة

وبعد كل أولئك يمكن تلخيص العلائق النفسية والفنية التى تربط الإمام البنا بالشعر فيما يأتى.

١- محاولاته التى مكنته من نظم أبيات قلائل من الشعر، سرعان ما توقفت لأنه لم يقدر له أن يكون شاعرا.

٢- إقباله على الشعر –القديم بخاصة– فهما وحفظا.

٣- إعجابه الشديد بأساتذته الشعراء، من أمثال الشاعر البدوى محمد عبد المطلب.

٤- توظيفه الشواهد الشعرية، وخصوصا القديمة – فى كتبه، ورسائله وخطبه.

٥- تميز كثير من نثره بغير قليل من الملامح الشعرية تعبيرا، وتصويرا، وعاطفة.

٦- تقديمه ونشره ديوان صريع الغوانى بعد تنقيحه وشرحه والتعليق عليه.

٧- نقده الحصيف للشعر، وإبراز رسالته الإنسانية والاجتماعية الخلقية، ودوره فى بناء الأمة، مع تقديم النقد التطبيقى للنصوص.

وكل هذه المظاهر تدفع الإمام البنا إلى توظيف الشعر كآلية من آليات الدعوة، ولو آلية مساعدة تفسح المجال للآلية الأولى وهى الخطابة. وإن كان لتلاميذه الدعاة فى الشعر باع طويل، ومكان فسيح رحيب، كما سنرى.

المبحث الثالث: شعراء فى موكب الإخوان

حفل حقل دعوة الإخوان المسلمين بعدد كبير من الشعراء منهم المقل بقلمه، ولا يكاد يعرفه أحد إلا بنظمه فى بعض المناسبات الإسلامية كالمولد والهجرة والإسراء، ومنهم المكثر الذى لا يكاد يغيب عن الساحة ضاربا بعلمه فى أغلب الأغراض الشعرية، ومنهم المطبوع المتمكن الذى يطول نفسه فى قصائد ملحمية طويلة، ومنهم من يعجز إلا عن قصار القصائد، وفى مناسبات معينة. ومنهم المشاهير، ومنهم المغامير، ومنهم العلماء، ومنهم الطلاب والموظفون.

وننقل للقارئ من أحد مراجع تاريخ الدعوة أسماء بعض هؤلاء الشعراء فى السطور الآتية:

١-الشيخ أحمد حسن الباقورى.
٢-عبد الحكيم عابدين.
٣-عبد الرحمن الساعاتى.
٤-خليل عشماوى.
٥-الشيخ طنطاوى جوهرى.
٦-محمد عبد العاطى.
٧-جلال أحمد عنبر.
٨-حمودة غرابة.
٩-سيد عثمان المراغى.
١٠-أحمد محمود عرفة.
١١-محمد زكى إبراهيم.
١٢-الشيخ محمد المنصور.
١٣-حسن خطاب الزينى.
١٤-الحاج حسن الزينى.
١٥-السيد إمام عبد الله يوسف.
١٦-أبو الوفا محمود رمزى نظيم.
١٧-عبد المنعم فارس.
١٨-إبراهيم مأمون.
١٩-عمر مصطفى نصير.
٢٠-محمد السندس.
٢١-أبو الأخضر مبارك غنيم عبده.
٢٢-حسين محمود نور الدين.
٢٣-طه أمين.
٢٤-مصطفى محمد الحديدى الطير.
٢٥-على داود إبراهيم.
٢٦-محمود محمد محمود.
٢٧-عبد الرحمن لاشين.
٢٨-محمود غنيم.
٢٩-محمود عبد الحليم الكبير.[١]

---

(١) جمعة أمين عبد العزيز: الإخوان والمجتمع المصرى والدولى. فى الفترة من ١٩٢٨-١٩٣٨م. من سلسلة أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين الكتاب الثالث: ٢٥٠-٢٥٥ (دار التوزيع والنشر الإسلامية.١٤٢٤هـ- ٢٠٠٢م).

وغير من سبقت أسماؤهم هناك أسماء أخرى نشر شعرهم فى صحف الإخوان، ومراجع أخرى، وأغلب هؤلاء ظهروا فى أواخر الثلاثينيات، وهم ما بين مكثر ومقل، ولا شك أن أغلبهم لا يعرفهم الإخوان حاليا. ومن هؤلاء:

رشيد أبو مرة -إبراهيم عبد الفتاح- عبد البارى عمر خطاب- محمد رجب العبيدى- محمد رجب البيومى- محمود محمد الشاذلى- حمودة غرابة- محمد يوسف المحجوب- محمد علم الدين- خالد الشواف- محمد فتح الباب- محمد فريد عبد الخالق- محمد على أبو حسين- محمد طلبة السعداوى- محمد زيد الكيلانى- مسعد الهوارى عبد الفتاح- سعد دعبيس- محمود جبر(شاعر الحسين)- محمود أبو النجا- حسين البشبيشى- بدر الدين الجارم- محمد رشاد عبد العزيز- على سيد جعفر- السيد يوسف جواده- محمد عبد الله عبد الكريم- كمال محمد أبو الغيط- خيرى على البيومى- يوسف زاهر- عبد الهادى الطويل- محمود عبد الصادق- محمود أحمد البيومى- محمد سلامة مصطفى- عبد الحفيظ النسر- عفيفى محمود عفيفى- معروف محمد بدر- على أحمد باكثير- محمد أحمد الأبشيهى- ناجى الطنطاوى- محمود محمد البطل- عمر بهاء الدين الأميرى- عوض الكريم حمزة- عبد المجيد فراج- زكريا إبراهيم الزوكة- عبد المحسن عبد المقصود- معروف محمد بدر- أحمد محمد عبد الله- جمال الدين السنهورى- محمد عطية شبكة- إبراهيم عبد المجيد الترزى- عبد العزيز عطية- محمد هاشم عبد الدايم- يحيى الدين صابر- عبد الجواد دكرورى- على محيى الدين ياسين- عبد الهادى الطويل- محمد قطب الشريف- عبد الرحيم عثمان- محمد عبد الغنى عمر- محمود النواوى- ابن إدريس المخزاوى- حسين عبد المجيد هاشم- هنداوى أحمد دوير- حامد البدرى الغوابى- محمد محمود زيتون- محمد على زيد- أحمد شوقى محمود- محمد عبد المنعم الطنبولى- محمد عثمان صبره- على عبد الوهاب سلامة- فتح الله خاطر- فؤاد السيد خليل- عبد المنعم أبو يوسف- إبراهيم ناصف- محمد شوقى زكى- عبد القادر محمود- عبد اللطيف العيلى- صلاح حلمى- محمد إبراهيم الجوهرى.

ولا شك أن هناك كثيرين غيرهم عالجوا الشعر، وخصوصا الدعوى منه، ما بين مكثر ومقل، ومشهور ومجهول.

وها قَدْ آن لنا أن نعرض، ونقف وقفات نقدية متأنية أمام الموضوعات التى عالجوها، والآفاق التى سبحوا فيها بشعرهم.

الباب الثانى

الآفاق الشعرية

الفصل الأول: فى رحاب التاريخ الإسلامى
المطولات التاريخية

توطئة: بين الشعر والتاريخ

بين الشعر والتاريخ وشيجة قوية وثيقة، فقد كان التاريخ -وما زال- منهلا عذبا يمتح منه الشعراء متحا، وهو معين لا ينضب أبدا لأنه ترجمان الحياة الإنسانية، وسجل الأمة فى منشطها ومكرهها.. فى سرائها وضرائها.. فى سلمها وحربها.

وفى حياة كل أمة مواقف تنطق بالروعة والجلال والعظمة، وفى حياتها كذلك نكبات وأزمات: تتوقف فيها مسيرتها، وتتعطل طاقاتها، وإمكاناتها.

وفى حياة كل أمة رجال صنعوا تاريخها، وقادوا مسيرتها الظافرة، وتقدموا بها فى شتى المجالات، فازدهرت بهم حياتها، وحققت بهم أمجادها. ومن ناحية أخرى لم يخل تاريخ أية أمة من شخصيات كانت سبب -على نحو من الأنحاء- فى الإضرار بها، والإساءة إليها، وربما تدمير قيمها وحياتها.

والشعر يصور كل أولئك، ويقف طويلا أمام هذه المواقف والظواهر والشخصيات، فهو يسجل المفاخر والمزاهى ليكون مدد قوة وفخار للأجيال القادمين، كما يسجل المهاوى والخطوب لينفث فى الأمة روح اليقظة، ويستنهض فيها خامد الهمم، ويحيى فيها موات العزائم.

ولا أعنى بذلك أن الشعر يسلك سبيل الرصد والإحصاء للوقائع والأحداث، فهذه ليست مهمته، ولو فعل ذلك لكان مجرد نظم لا شعر، ولكنى أعنى بذلك أنه يسجل كل أولئك "تسجيله الوجداني" بما يحمله من نبض الشاعر، وأحاسيسه المتوقدة.

وقد كان التاريخ القديم بما فيه من ميثولوجيات وأساطير هو المورد الرقراق الذى استقى منه "هوميروس" أعظم عمل فنى شعرى فى نظر أغلب النقاد على مدار التاريخ، وأعنى به: "الإلياذة" و"الأوديسة".

ومن ناحية أخرى حفلت السيرة والتاريخ والقصص بالأشعار الكثيرة، لأن أسبابها تستدعى هذه الكثرة، وموجباتها تلزم هذا الاستشهاد، ودواعيها توجب التدليل بما يكسبها ثقة وقوة فى نفوس السامعين والقارئين، ولأن الشعر ضرورة لازمة، فالشعر دليل على صدق ما يروى من أخبار. وقد ذكر أن معاوية بن أبى سفيان طلب من عبيد

بن شَرِيَّة[١] —حينما كان يقص عليه أخباره المتضمنة فى كتاب "أخبار عبيد بن شريّة" — أن يورد فى أخباره وقصصه كل ما يتصل به من شعر. وكان يُلحّ عليه بقوله: سألتك إلا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر، ولو ثلاثة أبيات. وكان معاوية كلما سمع الشعر الذى قيل فى إحدى الحوادث اطمأن إلى صحة الخبر، وقال لعبيد: لقد جئت بالبرهان فى حديثك[٢].

والشعر —كما يرى "إيمرى نف" —هو أنسب شيء يرمز به لجوهر العقل الإنسانى[٣]. والأدب هو المعبر عن رغبات الإنسان وأمانيه.. ولكن إذا تغلب الأدب على المؤرخ لإهماله العلم، أو إذا تغلب عليه العلم لإهماله الأدب جاءت الصورة التى يرسمها للإنسانية ملتوية مشوهة، فتدوين التاريخ يقترب من الكمال بقدر ما بين المعرفة والفن من اتساق فى العمل[٤].

ويعتبر الشعر التاريخى من أهم وأشهر ما نظم الشعراء فى العصر الحديث ارتباطًا بالأحداث والوقائع التاريخية، وكذلك الشخصيات المتوهجة، وكثير من القصائد مطولات احتفى بها النقاد ومؤرخو الأدب.

منها على سبيل التمثيل: مطولة "كبار الحوادث فى وادى النيل" لأحمد شوقى[٥].

ومطولة "عمر بن الخطاب" (القصيدة العمرية) لحافظ إبراهيم[٦].

ومطولة "أبى بكر الصديق" (القصيدة البكرية) لعبد الحليم المصرى[٧].

ومطولة "على بن أبى طالب" (القصيدة العلوية) لمحمد عبد المطلب[٨].

((١) عبيد بن شرية (ت٦٧هـ) راوية من المعمرين، يقال إنه أول من صنف الكتب من العرب، اتصل بمعاوية وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان (انظر الأعلام للزركلى٤/ ٨٩)- دار العلم للملايين ط(٤).

(٢) د. نورى حمودى القيسى: ملاحظات حول كتابة التاريخ: الشعر والتاريخ ٣٦ (مجلة المورد —العدد٢- المجلد ٨- ١٩٧٩- بغداد).

(٣) إيمرى نف: المؤرخون وروح الشعر٨ (ترجمة توفيق إسكندر).

(٤) السابق نفس الصفحة.

(٥) وهى من ٢٦٤ بيتا: الشوقيات ١/ ١٧ (دار الكتاب العربى- بيروت د.ت)

(٦) وهى من ١٨٧ بيتا: ديوان حافظ إبراهيم ١/ ٧٧ (دار العودة بيروت. د.ت) وقد نظمت، وأنشدها حافظ يوم ٨/ ٢/ ١٩١٨.

(٧) نشرت يوم الجمعة ٢٤/ ٥/ ١٩١٨ بصحيفة الأفكار المصرية. العدد٢٥٢٠.

(٨) المطولة من ٣٠٧ أبيات، وبذلك فاقت فى الطول المطولات الثلاث التى ذكرناها آنفا. وقد ألقاها عبد المطلب فى الجامعة المصرية يوم ٧/ ١١/ ١٩١٩. ارجع إليها فى ديوانه (٢٣٠-٢٥٠). وانظر جابر قميحة: صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم (٦٣-١٠٣) (دار الصحوة — القاهرة- ١٩٨٧).

المبحث الأول: علوية رجب البيومى

ويتخذ أغلب شعراء الإخوان من التاريخ مادة شعرية: من شخصيات إلى غزوات، إلى أحداث ووقائع سياسية واجتماعية متوهجة، مما سنعرض له فيما بعد. ولكن الضرورى المهم فى هذا المجال -من وجهة نظرى- هو الوقوف على "شعر المطولات التاريخية" الذى كان للشاعر محمد رجب البيومى قدح معلّى فيه. فقد نشر مطولة من ١١٣بيتا (على وزن الوافر وروى الهاء) عن على بن أبى طالب ﷺ، وعنونها باسم "القصيدة العلوية"[١]. وفى هذه المطولة عالج الشاعر الأفكار الرئيسية الآتية:

١- إجمال صفات على والتعبير عن حب الشاعر له.

٢- النعى على الأمة التى فرطت فى تراث على وعطائه الخلقى والروحى البناء.

٣- على وتربيته فى بيت النبوة.

٤- زواجه من فاطمة بنت النبى ﷺ.

٥- مبيته على فراش النبى ﷺ ليلة الهجرة.

٦- على فى بدر.

٧- على فى غزوة الخندق، وصرعه عمرو بن ود العامرى.

٨- على فى خيبر، وقتله الزعيم اليهودى "مرحب".

٩- نهج البلاغة.

١٠- مناجاة الشاعر عليا فى ظل الحديث عن عبادته وتقواه، وملامح نفسية وخلقية أخرى[٢].

بين علويتين

لقد سبق عبد المطلب فى نظم علويته مطولة رجب البيومى بقرابة ربع قرن. وهى -من ناحية الكم- قرابة ثلاثة أمثال علوية البيومي" ونرى أن البيومى فى علويته كان يعيش فى الجو الذى عاشه عبد المطلب بعلويته، وأنه تأثر به بالوعى أو باللاوعى.

---

(١) نشرت فى مجلة "الإخوان المسلمون" فى العددين ٥٦، ٥٧(١٤، ١٨ إبريل١٩٤٥).

(٢) انظر: عمر الدسوقى: فى الأدب الحديث ٢/ ٣٥٣-٣٥٨ -دار الفكر العربى- القاهرة ١٩٥٥ وفى تعليل عودة الشاعر العربى المعاصر إلى الموروث، واستدعاء الشخصيات التاريخية عوامل متعددة: ثقافية وفنية واجتماعية وسياسية وقومية ونفسية (انظر د. على عشرى زايد: استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر١٧-٥٧. الشركة العامة للنشر -طرابلس- ليبيا- ١٩٧٨.

١- فكلا المطولين على بحر الوافر.
٢- وأغلب المحاور الموضوعية فى علوية البيومى عالجها عبد المطلب.
٣- والتقارب الفنى فى معالجة كثير من المواقف –واضح لا يخطؤه النظر.

ونكتفى بواحد منها هو موقف على ﷺ يوم الخندق ومبارزته "عمرو بن ود" وقتله، مع أن النبى ﷺ حذر عليا من مبارزته لفارق القوة والقدرة والخبرة القتالية بين الرجلين:

يقول محمد عبد المطلب[1].

فقال وإن يكن عمْرا فدعْني ... رسولَ اللهِ أُلجمه الحساما
تقلد ذا الفقار وقام يرغو ... رغاء الفحل يعتلك اللغاما
يحدث نفسه ولها أجيج ... ببأس الله يضطرم اضطراما
وما عمرو؟ ومن أنا؟ ما غَنائى؟ ... إذا لم أرْوِ منه صدى وهاما
فلم يك غير أن فاق ابن ودٍّ ... وخاض السيفُ فى دمه وعاما
وعاد إلى النبى يفيض بأسا ... ويزخر فى حميته.. جماما
وراح الكفر يرجف جانباه ... وأمسى عضب عزته كهاما

ويقول محمد رجب البيومى:

وكان له مع الأحزاب يوم ... وقائعه تشيِّب من رآها
غداة أتى له عمْرو بن ود ... وقد سلّ الصوارم وانتضاها
وما أدراك ما عمرو إذا ما ... غشى نار المعارك واصطلاها؟
قضى فى حرها تسعين عاما ... فأحرز خبرة بلغت مداها
وأقبل باسم الخطوات يسعى ... وقد باهى بمنظره وتاها
ينادى من ينازلنى فكأسى ... تريح من الحياة من احتساها
فطار له على فى حماس ... يريك من الشجاعة منتهاها
ومال بذى الفقار عليه طعنا ... أذاب حشاشةً فنيت قواها
فمن يلقى عليا بعد عمْرو ... فإن به جنونا أو سفاها

ولكننا لا نعدم فوارق بين العلويتين نوجزها فيما يأتى:

---

(١) الديوان ٢٣٨. اللغام: زبد أفواه الإبل. الجمام: الذى لا مطر فيه. العضب: السيف. كهام: لا يقطع.

١- فى علوية البيومى محاور لا وجود لها فى علوية عبد المطلب على إفراطها فى الطول، مثل الحديث عن "نهج البلاغة" المنسوب للإمام على كرم الله وجهه، مع أن علوية عبد المطلب تكاد تكون ترجمة نظمية كاملة للإمام علىّ، ختمها بالحديث عنه فى سنوات حياته الأخيرة، وتناول فيها: مقتل عثمان ﷺ، واختلاف المسلمين فى الخلافة، والطائفة التى هى على الحيدة، ومن بايعه، وأهل الجمل، وأهل الشام.

٢- كان عبد المطلب -فى علويته أقرب إلى "الواقعية التسجيلية" الراصدة، ومنطق الإحصاء، وهذا أبعده كثيرا عن روح الفن، وبراعة التصوير والخيال، وكأن التطويل والتمطيط كانا هدفا مقصودا لذاته، حتى إنه استنزف روى القصيدة، وصدمنا بكثير من الكلمات المتكلفة المجلوبة للقافية.

٣- كثر الغريب والمهجور والممات من الكلمات فى الأداء التعبيرى فى علوية عبد المطلب، مما يحوج القارئ ذا الثقافة العالية لمعجم حتى يتمكن من التغلب على ما يغلق أمامه طريق الفهم. وذلك بعكس لغة البيومى التى اتسمت بالسهولة والوضوح.

٤- كانت عاطفة البيومى نحو الإمام على أشد توهجا وحرارة وأقوى أسْرا، وأقرب إلى الصدقية العفوية، كما نرى فى الأبيات التالية التى يخاطب فيها عليا:

عِلِىُّ لو اطلعتَ على عروقى ... وجدت هواك يغلى فى دماها
وأنت كمقلتى لكن لعلّى ... أفضل ضوء فكرك عن ضياها
فطرت على هواك فكان نورا ... بدا فأزال عن نفسى دجاها
ولو أدركتُ عهدك كنت عبدا ... تصرفنى كما شئت اتجاها
ولى فخر بذاك أكاد أسمو ... به فوق الكواكب فى سماها

وفى مناجاة على يقول فى الجزء الأخير من مطولته:

أبا السبطين هل لى من معين ... فإن قصائدى ضلت سراها
وكيف تفى بمدحتك القوافى ... وإن طالت فأعيت من رواها
فعفوا إن بدا التقصير فيها ... فكم فحل تلكأ حين فاها
وعذرى أننى بك مستهام ... وعينى فيك لم تألف كراها

الطبيعة الفنية للمطولات

وأخيرا أجد لزاما علينا أن نحدد الطبيعة الفنية لهذا النوع من المطولات، وبتعبير أقرب: مدى جدارتها بأن نسميها ملاحم. لقد عرف النقاد "الملحمة" بما لا يصدق على المطولات السابقة[١] ودقة الحكم تلزمنا أن نفرق بين الألوان الشعرية الآتية:

١- الملحمة فى صورتها المتكاملة، وهذا الجنس الأدبى لا وجود له فى الشعر العربى القديم.

٢- القصائد ذات الطابع الملحمى، وهى تلك التى وظفت بعض صفات الملحمة. وهذه القصائد كثيرة جدا فى الشعر العربى: قديمه وحديثه.

٣- الشعر التاريخى، ويصدق على القصائد والمنظومات التى تدور حول شخصيات ووقائع تاريخية، ويجب أن ينظر فيها إلى كل قصيدة على حدة، للتعرف على حظها من السمات الملحمية، فأرجوزة ابن عبد ربه التى جاءت فى ٤٥٦ بيتا[٢] قد خلت تماما من أى طابع ملحمى، لذلك نعتبرها من "النظم التاريخى التعليمي"؛ فهى تعتمد اعتمادا كليا على رصد الحقائق التاريخية، مجردة من الخيال، فى لغة ينقصها الجلال والبهاء[٣].

بينما نجد "نيرونية خليل مطران[٤]، وخالدية عمر أبى ريشة[٥] من أقرب القصائد إلى فن الملاحم، ولو أطلقنا على كل منهما اسم "الملحمة" لما أبعدنا كثيرا. بل إن الدكتور شوقى ضيف ليرى فى نيرونية مطران ملحمة كاملة[٦]، وإن تفوقت عليها خالدية أبى ريشة بجلال الأسلوب، وبهائه، وشفافية التصوير، وسهولة العبارة.

ويرى شوقى ضيف أنه من الخطأ إطلاق "الإلياذة الإسلامية" على ديوان "مجد الإسلام" لأحمد محرم، فليس فيه إلا مجموعة من القصائد فى سيرة الرسول وغزواته، وهى أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية، ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة، إذ ليس فيها مشاعر مثيرة، ولا صور حية ناضرة.. وهى لذلك شيء بين الشعر الغنائى والشعر التعليمى الجاف[٧].

---

(١) انظر: أحمد حسن الزيات: فى أصول الأدب ٣٥. والموسوعة العربية الميسرة١٧٤١.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٥٠٠(وقد نظمها راصدا فيها غزوات الملك الناصر فى الأندلس إلى سنة ٣٢٢.

(٣) انظر مآخذ الدكتور ضيف عليها فى كتابه: دراسات فى الشعر العربى المعاصر ٤٦(دار المعارف – القاهرة ط٤-١٩٦٩).

(٤) ديوان الخليل ٣/ ٤٧. وقد جاءت رائية على بحر الرمل فى ٣٢٧.

(٥) ديوان عمر أبى ريشة ٥٣٧. وهى من ٦٩ بيتا.

(٦) ضيف السابق ١٣٨.

(٧) ضيف السابق ٥٦-٥٧.

وعلى أية حال إن صعب اعتبار المطولات التاريخية الأربع التى دارت على حيوات الخلفاء الثلاثة: أبى بكر وعمر وعلى ملاحم فإنها لم تعدم بعض ملامح الملحمة، فهى تشترك معها فى وجود شخصية البطل الذى كان المحور الأساسى للقصيدة من أولها إلى آخرها، مع ملاحظة أن من النقاد من لم يشترطوا أن تكون شخصية البطل أسطورية، فأجازوا أن تكون شخصية تاريخية واقعية، كما يتوافر لهذه القصائد الطول. ولكن ينقصها كثير من صفات الملاحم وشرائطها، فينقصها التعقيد الفنى، والتلاحم القصصى، والتحليق الخيالى الباهر، وتوهج الشعور، وسبر أغوار النفس الإنسانية فى كثير من المواقف.

ولكن هل يعنى ذلك أن هذا الشعر يأتى من قبيل "المنظومات التاريخية التعليمية" كأرجوزة ابن عبد ربه التى ألمعنا إليها آنفا؟ الحقيقة أننا نجافى روح البحث العلمى والإنصاف، لو خلعنا عليها هذا الوصف، كما أننا نمنحه ما لا يستحق لو أصررنا على أنه يمثل "ملاحم" كاملة. وأدق ما تسمى به أنها "مطولات شعرية تاريخية" لم تخْلُ من بعض الطوابع الملحمية.

والمطولة الشعرية -كما يرى الدكتور عز الدين إسماعيل- تعد تطورا جديدا للملاحم من جهة، وللقصيدة الغنائية من جهة أخرى، بعد أن تركت بدايتها العاطفية الصرف وتطورت بتطور الحضارة، ودخل فيها العنصر الفكرى(١).

وعودا إلى علوية البيومى التى أربت على مائة البيت، وتفوقت فى كثير من ملامحها على علوية عبد المطلب نخْلص إلى أننا -بشيء من التجاوز- يمكن أن نطلق عليها تسمية "المطولة التاريخية الشاملة" التى لم تخل من طوابع ملحمية ناصلة. والوصف بالشمول يرجع إلى أنها تتبعت وانتظمتْ أغلب المراحل التاريخية لحياة على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

---

(١) انظر فى تفصيل هذا الرأى د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه ١٢٢-١٢٥ ط٣- دار الفكر العربى- القاهرة.

المبحث الثانى: المطولات التاريخية الجزئية

١- غزوة بدر

ولكننا نلتقى فى أدبيات الإخوان الشعرية ما يمكن أن نسميه المطولات التاريخية الجزئية التى تعالج موقفا آحاديا من المواقف التاريخية، أو واقعة، أو غزوة، أو حدثا متوهجا فى حياة المسلمين. من ذلك قصيدة محمد رجب البيومى فى "بدر" وهى من قرابة خمسين بيتا[١]، ومال فيها الشاعر إلى جانب الفن أكثر من جنوحه إلى التسجيلية فى سرد تفاصيل الوقائع، لذلك كانت هذه المطولة أقرب من العلوية إلى الروح الملحمى، ففيها تنويع فى الأسلوب ما بين خبرى وإنشائى، وبراعة فى الوصف والتصوير، وجلال فى الأداء التعبيرى ألفاظا وعبارات ووجدان حى نابض. وفى جوها نتنسم جو "بائية أبى تمام" فى فتح عمورية. وتجتزئ ببعض من أبياتها تبين عن بعض ما ذكرناه آنفا:

يقول البيومى فى مطلع قصيدته:

دع التشدق يا مجنون بالخطب ... فالحكم للسيف ليس الحكم للأدب
إن الحسام إذا أعيتك ضائقة ... يلقى مواعظه فى منطق عجب
كم فى براهينه من آية كشفت ... عن العقول ظلام الشك والريب
فاقبض حسامك لا تقبل به عوضا ... (فالسيف أصدق أنباء من الكتب)

ويخاطب أبا جهل قائلا:

أبا الجهالة يا من ساق معشره ... سوق النياق إلى الخسران والعطب
ما كان أعظمها من رحلة سقطت ... بها مكانتكم فى أعين العرب

....

قتلت نفسك بل قوما جمعتهمو ... بدون ما رغبة زحفا على الركب

وعن جيش المسلمين يقول:

كتائب قد مضى جبريل يحرسها ... ويبعث العزم فى أبطالها النُّجب
فالخيل تصهل تحت البيض راقصة ... والعيس تقفز من وخد إلى خَبب
تبيت فى زحفها سكرى مرنحة ... حتى لتحسبها فى نشوة الطرب
من كل أصيد يزهى فى أعنته ... يود لو يلتقى بالموت عن كثب

---

(١) مجلة (الإخوان المسلمون) ١٥ رمضان ١٣٦٤ - ٢٣أغسطس١٩٤٥ - العدد٦٧ - السنة الثالثة.

وفى بدر أيضا نقرأ للشاعر "رشيد أبى مرة" مطولة بلغت قرابة خمسين بيتا (على بحر الكامل)[1].

وهى فى توجهها تختلف عن بدرية البيومى فى ملامح ثلاثة هى:

١- ربط الحاضر بالماضى وواقع الشرق بواقع الغرب وما فيه من تسلط وعجرفة وغرور وحماقة وإسراف.

٢- استخلاص الدروس والعبر من هذه الغزوة التى نصر الله فيها المسلمين نصرا مؤزرا مبينا.

٣- توجيهات واستنهاض لهمم الإخوان حتى تقوى عزائمهم، ويواصلوا جهادهم.

وقد استغرقت معالجة هذه المحاور قرابة ثلثى القصيدة. مع ملاحظة أن لغة الشاعر تتسم بالوضوح والتدفق مما ينم على شاعرية أصيلة.

فمن حديثه الذى وجهه إلى الغرب:

خبِّرْ غزاة الغرب مهما غرهم ... عدد الجيوش فزاحموا الميدانا

أو حلقوا بالطائرات فدمروا ... بقنابل ذرية بُلدانا

أو جهزوا أسطولهم متعديا ... أو أطلقوا طُرْبيدهم نيرانا

أو حاولوا بمناورات خدعة ... أو عذبوا الأرواح والأبدانا

أو وزّعوا الأسلاب فيما بينهم ... أو هددوا الأوطان والأديانا

أو أيدوا جشع اليهود فأنشئوا ... وطنا لهم أو حرضوا "ترومانا"

خبر غزاة الغرب مهما أسرفوا ... لا دين عندهم ولا إيمانا

إن الأُلى كانوا ببدر قلة ... لكنهم قد زلزلوا الأكوانا

فبهم أعز الله دينَ نبيِّهِ ... وبهم أباد الشرك والطغيانا

ويتحدث عن جهاد الصحابة فى بدر وتأييد الملائكة، وخطاب النبى ﷺ لأهل القليب من الكفار. ويتحدث الشاعر إلى الكفار وعلى رأسهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة.

ومما جاء فى توجيهه للإخوان:

يا معشر الإخوان إن أمامكم ... يوم الجهاد فحققوا مسعانا

(١) ديوان رشيد أبى مرة ٧-١٠: الجزء الأول ١٣٦٥-١٩٤٦ وعنوانه إخوانيات. والشاعر هو نائب الإخوان المسلمين فى شعبه الحافظية.

لا تخفضوا للمبطلين جناحكم فلقد أقاموا الظلم والعدوانا
هذى فلسطين الشهيدة تشتكى خطرا يهدد أختها لبنانا[1]

٢- الهجرة

وفى مطولة "الهجرة" التى قاربت الخمسين بيتا[2] ترى الشاعر العراقى خالد الشواف -بأداء يتسم بالرصانة والجزالة -يتخذ من واقعة الهجرة منطلقا لعرض كثير من القيم التى يجب أن يحرص المسلمون أفرادا وأمة على التحلى بها، واتخاذها دستور حياة نبيلة شريفة مثل الصبر، وعزة النفس، وإباء الضيم والصغار وسلامة العقيدة، والحرص على العمل المتواصل، واستسهال كل صعب فى سبيل الله:

هكذا الهجرة كانت مبدأ لقى الضيم، فلم يرض الصغارا

....

هاجر المبدأُ فى أصحابه تاركا مالا وأهلا وديارا
كل صعب فيه هيْن عند منْ كتب الله عليه أن يغارا

وإذا لم تكن الهجرة هجرة أشخاص، ولكنها هجرة "مبادئ" حملها أشخاص كان من الطبيعى أن يعتصر من الهجرة ما فيها من دروس وعبر وتوجيهات:

يا بناة المجد -لا هنتم جوارا- هاكمو من هجرة الحق ادكارا
كرمت أمثولة يضر بها... سيد الرسْل لمن رام اعتبارا
هاكموها فاقبسوا من ضوئها فى سراكم للعلا نورا ونارا

....

إنه المبعوث فيها هاديا خيرها قوما وبيتا ونجارا
أنزل الله عليه شرعة بوأتهم فى جوار الشمس دارا
فإلى الدين الذى جاء به إن أردتم بعد أن تحيوا الديارا
واجعلوا القرآن دستورا لكم ضل من حكم دستورا معارا..

لقد حظيت "الهجرة" بقدر واف من شعر المطولات بوصفها من أعظم الأحداث التى غيرت مجرى التاريخ، وكانت نقطة انطلاق إلى إقامة الدولة الإسلامية، وانتصار الإسلام

---

(١) اهتمام الشعر ببدر لم يلغ الاهتمام بغزوات أخرى كأحد، وللشاعر أحمد محرم مطولة فيها نشرت فى مجلة الإخوان: العدد ٣ السنة الأولى- ١٥ رمضان ١٣٦١- ٢٦ سبتمبر١٩٤٢.

(٢) الإخوان المسلمون: العدد٢٩ السنة الثانية- ٢من ربيع الأول ١٣٦٣- ٢٦ فبراير١٩٤٤.

والمسلمين داخل الجزيرة العربية وخارجها. وأغلب ما نظم فى وقائع التاريخ الإسلامى وشخصياته لا يغفل ما تعكسه هذه المطولات من دروس وعبر، وتوجيهات سديدة نافعة للأمة بعامة والإخوان بخاصة، وقد يشغل كل أولئك أكثر أبيات المطولة وذلك لسببين:

الأول: أن القارئ على وعى بكثير من تفصيلات هذه الوقائع والأحداث، فهى أشهر من أن تجهل.

والثانى: شدة الحاجة لمثل هذه العظات والدروس والتوجيهات، وخصوصا فى الأربعينيات.

ونستشهد فى هذه "السياقة" بختام مطولة الهجرة للشاعر "محمود أبو النجاة"(1).

وللهجرة الغراء فى القلب رنة ... ففى كل عام ذكرها يتجددُ
فتُوحى لنا معنى الحياة كريـة ... ومعنى جهاد فيه عزّ وسُؤددُ
وليس يسود الشعبُ بالقول هاتفا ... ولكن بإهراق الدماء يُسوَّد
وكل كلام فى التفاوض فارغ ... إذا لم يكن معه الحسام المهند
فيا صفوة الإخوان قووا نفوسكم ... ولا تخشوا الأعداء مهما توعدوا
وأمضى سلاح يرهب الخصم دعوة ... يقوم بها داع إلى الله "مرشد"

وهناك من شعراء الإخوان من لم يقفوا عند أحداث الهجرة، وتفصيلات مسيرتها التاريخية، بل صرفوا كل اهتمامهم إلى مناجاة هذا الحدث العظيم، والرسول الكريم، والدعوة الموجهة للمسلمين أن يعيشوا طيلة حياتهم وقد تشربوا وعاشوا بالقيم التى تعكسها الهجرة، وذلك ما نراه فى مطولة الشاعر حسين البشبيشى(2) وفيها يقول مناجيا الرسول ﷺ:

يا منقذَ الأيام من ظلم الدجى ... إنى أذبتُ الروح فيك قصيدا
وعبرت أيامى لعهدك حاطما ... قيد الزمان وكم حطمت قيودا
كى أستظل بنور خلدك بعدما ... سارت بوارقه إلىّ وفودا
قد همتُ فى نجواك أنهلُ صفوها ... فحسبتُ أنى قد بعثت جديدا

---

(1) مجلة الشهاب: العدد الأول. السنة الأولى. غرة المحرم ١٣٦٧ - ١٤ من نوفمبر ١٩٤٧.

(2) الإخوان المسلمون العدد ٢٢١ - السنة السادسة - ١٢ من المحرم ١٣٦٨ - ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ ومن أفضل القصائد التى سارت على هذا الدرب قصيدة محمود غنيم فى (الهجرة) وهى تعبر أدق تعبير عن فكرة الإخوان، وكان عبد الرحمن الساعاتى معجبًا بها، ويحلى خطبه بأبيات منها [ارجع إليها ص٤٧ من "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" لمحمود عبد الحليم: الجزء الأول: دار الدعوة الإسكندرية ١٩٧٩].

ويناجى يوم الهجرة بقوله:

يا يوم قلدك الإله قلائدا ... ولبستَ من نور الرسول برودا
إن كنت فى لغة الحياة وركبها ... يوما فكن بابن الخلود عهودا
قد لاح فجرك من ضياء جبينهِ ... فجرى على طلل الزمان خلودا
ذكراك أسكرت الزمانَ فإنها ... ذكرى تفيض على المنى تجديدا

والقصيدة تتمتع بإشراق الديباجة، وقوة الأداء والإيحاء، وبراعة الخيال اعتمادا على التجسيم والتشخيص.

٣- الإسراء والمعراج

ويعتبر عبد الحكيم عابدين -رحمه الله- من أطول شعراء الإخوان نفسا، وأكثرهم تمكنا من لغته، وأقدرهم على الاستيفاء الفكرى، ومن مطولاته قصيدة "الإسراء"[1]. وهى مطولة "جامعة" بدأها الشاعر بتصوير الحال المنكودة التى تعيشها الأمة، وقد استغرق هذا التصوير قرابة نصف المطولة. أما البداية التاريخية فمن معجزة شق الصدر، مع أنه:

ما كان ينقص قلب المصطفى طُهُرٌ ... لكنها حكمة الرحمن يجريها

ويثنِّى الشاعر بغير قليل من تفصيلات الإسراء، كحضور جبريل بالبراق، واختراق النبىﷺ حُجب الأرض، والسماء، ولقائه بالأنبياء والرسل كآدم وإدريس وغيرهما:

ولم يزلْ بينهم والروحُ يصحبه ... حتى أتى رتبةً ما كان راقيها
هنا تأخر جبريلٌ وقدمه ... حيث استقل السما العليا لبانيها
وحيث قد سمع الأقلام جاريةً ... على العباد بما أوحاه مُجريها

....

هنالك الصلوات الخمس قد فرضتْ ... بالعدل والرحمة الكبرى تحاديها
خمس تكاليفها يجزى المقيم بها ... ثوابَ خمسين يا بشرى مؤديها

ويغلب على الشاعر الطابع الذهنى، وهو يتصدى بالنقاش لمنكرى الإسراء مستشهدا بظواهر مشهودات من واقع الحياة والعلم، من ذلك قوله:

أيستحيلُ على الجبار معجزةٌ ... فكيف يفنى نفوسا ثم يُحييها؟
قل للألى جحدوا الإسراء ويْحكمو ... أتفترون على الخلّاق تمويها؟

---

(١) ديوان "البواكير" ٩-١٣ (دار الصاوى -القاهرة. والمطولة من ٦١ بيتا، وقد ألقاها الشاعر فى حفل الإخوان المسلمين- فى ليلة الإسراء من عام ١٣٥٤هـ)

صدّقتمو قدرة المخلوق حين أتى بالطائرات تَسامَى في أعاليها
وبالخوانق والتدمير حاكية يوم المآب يبث الهول تشبيها
وذاك مذياعكم يسبى العقول وقد أصار قاصى هذى الأرض دانيها
هذى عجائبكم ما بال خالقكم ترى لقدرته ندٌّ يحاكيها؟
تبا لمن أنكر الإسراء من فئة تشوه المنطق المعقول تشويها
يَسْطيعُ خلْق بأن يأتوا عجائبهم وخالق الخلقِ لايسْطيع يأتيها؟[1]

٤- ميلاد محمد ﷺ

وفى أدبيات الإخوان عشرات من المطولات الشعرية التى نظمت فى واقعة "ميلاد" محمد ﷺ، ونشرتها صحفهم ومجلاتهم ودواوينهم. ومن الشعراء الذين نظموا فى هذا الحدث الجليل: على الجارم، وعبد الحكيم عابدين، ومحمد رجب البيومى، وأحمد مخيمر، والشاعر الأردنى محمد زيد الكيلانى، ومحمد طلبة السعداوى، وسعد دعبيس، ومسعد الهوارى عبد الفتاح. ومحمد على أبو حسين، وإمام عبد الله يوسف، وحسن خطاب الزينى، وحسن الزينى، وغيرهم.

ويرجع هذا الاهتمام، وذاك الإكثار من نظم الشعر فى "المولد المحمدى" إلى عدد من الأسباب قد يكون أهمها:

١- أن ميلاد الرسول يمثل أول لقاء للسماء بالأرض بعد فترة من الرسل.
٢- أنه الحدث الوحيد الذى يحرص المسلمون فى كل مكان على الاحتفاء به، بإقامة الحفلات والندوات، وذلك أكثر من احتفائهم بالأحداث الأخرى كالهجرة، وبدر، والفتح. وقد يكون هذا الاحتفاء الكبير يأتى فى طوابعه الخاصة مقابلا طبيعيا لاحتفاء المسيحيين بعيد ميلاد المسيح عليه السلام (الكريسماس)[2].

وقد عالج هؤلاء الشعراء واقعة "المولد" من زوايا متعددة، ومنطلقات كثيرة، لقد بدأت هذه الأحداث قبل مولده ﷺ بعام الفيل، ثم امتدت بعد وفاته ﷺ حتى يومنا هذا، إذ أن محمدا بشخصية الرسول الفذة قد أحدث انقلابا فى المعايير والمفاهيم والأفكار على

---

(١) ننبه القارئ إلى مطولة مشهورة لعبد الحكيم عابدين عن الهجرة، وهى من قرابة ستين بيتا نشرها فى عدد الهجرة من مجلة الرسالة. سنة ١٣٥٥. وأعاد نشرها فى ديوان "البواكير" من ص٥-٩.

(٢) يروى أن الفرس كانوا هم أول من أقام الاحتفالات بالمولد النبوى، وكان ذلك فى بداية القرن السابع الهجرى (انظر: زكى مبارك: المدائح النبوية ١٧٦).

مستوى الدنيا كلها، واكتسب إلى جانبه أنصارا، ووقف ضده خصوم، وفى الحالين المناصرة والمخاصمة حدث انقلاب أىّ انقلاب.. وكان لابد لشعرائنا فى هذا الزمان من دور ما فى متابعة الأحداث واستشراف مغزاها[1].

ومن الروايات المشهورة أن هناك أحداثا كبيرة وقعت يوم مولد محمد ﷺ، منها: تصدع -أو انهيار إيوان كسرى، وقد كان رمز الظلم والجبروت، وخمود نيران المجوس، وكان لها ألف سنة لم تعرف خلالها الخبوّ والخمود، والفرس كانوا يعبدون النار كما هو معروف. كما جفت بحيرة ساوة، وكانت مورد الماء للناس.

لقد ضمن محمد طلبة السعداوى قصيدته عن الميلاد هذه الخوارق كلها[2]. فيقول:

فى هدوء الليل والدنيا سكونْ ... وجلال الكون يزهو للعيونْ
أشرق المختارُ نورا ساطعا ... باسم الصفحة لماح الجبين

يا جمال الله فى الطفل الوليد

ما دهى الإيوان فى شرفاته؟؟ ... ما دهى البنّاء فى صولاتهِ
آية الجبار لما أشرقت.. ... ريع منها الظلم فى جبروته

وتوارى من سنا الطفل الوليد

ما دهى الأقوام كانوا ساجدين ... يعبدون النار بئس العابدين
ما لهم أن أخمدت نيرانهم.. ... من جلال الحق والنور المبين

يوم هلت طلعة الطفل الوليد[3]

وفى انطلاقة رومانسية آسرة، وبعاطفة متوهجة، وبأداء يمزج بين التضمين التراثى، والتصوير الابتكارى يتحدث الشاعر مسعد الهوارى عبد الفتاح عن تأثير عيد الميلاد المحمدى فى نفسه. ومن أبياته فى قصيدته[4].

حركْ لسانك لا تبخلْ بصيحته ... فالصدقُ أكبرُ ممن شحمه ورمُ
واختر لعيد رسول الله قافيةً ... تكاد من سحرها تجرى بها قدم

---

(١) د. حلمى القاعود: محمد ﷺ فى الشعر الحديث ١٥٦ -دار الوفاء- المنصورة١٩٨٧.

(٢) الإخوان المسلمون، العدد ١٣٧، السنة الخامسة، ١٠ ربيع الأول١٣٦٦- ١/ ٢/ ١٩٤٧

(٣) وعلى نفس النهج الشاعر محمد على أبو حسين فيذكر فى قصيدته إرهاصات ومعجزات المولد كإهلاك أصحاب الفيل، وما حدث لإيوان كسرى ونار الفرس، والنور الذى غمر مكة بنجم لم تعهده (انظر العدد السابق من: الإخوان المسلمون).

(٤) الإخوان المسلمون العدد ١٣٩ السنة الخامسة -٢٤ ربيع الأول ١٣٦٦- ١٥ فبراير ١٩٤٧.

....

اليـوم عيـد تجلّـى فيـه صـاحبه ... كوجـه بـدر بـه الآفـاق تعتصـم
يهــز عاطفــةً منــى فأحســبها ... مزمارَ جنٍّ مع الألحان ينتظم
يكــاد ينطــق قلبــى حــين يلهبــه ... لمـح مـن النـور يحلـو عنـده الكلـم
نـور وحسـبك نـور مـن محمـدنا ... يهـاب منـه بيـانى حـين يلـتطم
وكيـف لى، ويراعـى غـير محـتلم ... أيبلـغ القـول مثلـى وهـو يـنفطم
لو يحُمد العىُّ قلت العىّ أعجزنى ... لكن وكيف وجسمى هذه السقم؟[1]

ويرى الشاعر أحمد مخيمر –بشاعرية أصيلة فياضة –أن مولد محمد يعنى إيذانا بمولـد الحقيقة والطهر والنقاء والقيم العليا[2]

لم تلــد أمــه وليــدا ولكــن ... ولــدت منــه أعظــم الأحيــاء
لم تلــده.. وإنمــا ولــد التــا ... ريـخ لــلأرض كلـها والسـماء
كــل شــيء قــد كــان وهمــا فلمــا ... جــاء، جــاءت حقيقــة الأشـياء

....

كلمــا زاد جسـمه زاد فـى النـف ... س مـن الطهـر والسـنا والصـفاء
ورأت عينــه الطريــق إلى الغــا ... يــة يبـدو علـى المـدى المتنـائى
وأحــس الحــنين يمــلأ جنبيــ ... ــه، ونفــس رحيبــة الأنحــاء
ترقــى بــه السـنون فيرقــى ... خطــوات للقمــة العليــاء
حيــث يرنــو إلى الحيــاة جميعــا ... مــن ذراهــا، وللوجــود النــائى

ويستهل محمد رجب البيومى مطولته فى المولد النبوى الكريم بقوله[3]

---

(١) واضح أن الشاعر متأثر فى أدائه بالمتنبى: فالأبيات الأول والثانى والأخير يظهر فيها بصمات المتنبى فى أبياته التالية على التوالى:

أعيــذها نظــرات منــك صــادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
سـيعلم الجمـع ممـن ضـم مجلسـنا ... بـأننى خـير مـن سـعى بـه قـدم
واحــرّ قلبــى ممــن قلبــه شـبم ... ومـن بجسـمى وحـالى عنـده سـقم

(العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ٣٤١–٣٤٥. الشيخ ناصيف اليازجي دار القلم – بيروت. د. ت)

(٢) الإخوان المسلمون: العدد ٢٩، والعدد٣٠، السنة الثانية:٢ ، ١٦ ربيع الأول١٣٦٣– ٢٦من فبراير،١١من مارس ١٩٤٤.

(٣) الإخوان المسلمون– العدد ٨٩– السنة الرابعة– ٧ربيع الأول١٣٦٥،٩ فبراير ١٩٤٦.

ماض يضيء وحاضر يتجهم ... يا شرق إن الأفق حولك مظلم
دنيا تثور بها الشرور كأنما ... في كل ناحية لظى يتضرم
قم يا محمد فالسفينة لا ترى ... شطا تلوذ بجانبيه فتسلم

ويأخذ الحاضر المر المكروب من هذه المطولة النصيب الأوفى، فلم يقف الشاعر على تفاصيل المولد. كما أنه لم يتحدث عن الأحداث الماضية إلا على سبيل الإلماع. ولكن يصرف همه إلى كارثة الحرب العالمية الثانية، وإلى مؤامرة الصهاينة الذين:

نزلوا فلسطينا وليس لهم بها ... حق فيا للعار كيف تهجموا
عمدوا إلى الإرهاب وهو جريمة ... نكراء بات لهيبها يتقدم
قالوا ترومان العظيم نصيرهم ... قلنا فإن الحق منه أعظم

ويشكو لرسول الله ﷺ ما أصاب الأمة الإسلامية من سقوط وضعف، وفرقة وتهاون وتفريط في الأرض، ووقوف وتراجع أمام المستعمر الدخيل. وبعد أن يحمل على الغربيين لأنهم ليسوا متحضرين، بل أدعياء حضارة:

قالوا الحضارة قلت لستم أهلها ... إن الحضارة منكم تتهكم

يناجي الشرق ومصر بعاطفة حب متوهجة، وبهذه الأبيات يختم قصيدته:

يا شرق يا مهد النبوة كم غلت ... لك في الضلوع حشاشة تتألم
يا مصر يا قلب العروبة إنني ... بهواك لو تدرين صب مغرم
أرجو لك النصر المبين وإنه ... أمل يظل به فؤاد يحلم

وجاءت مطولة الشاعر محمد زيد الكيلاني عن "ميلاد الرسول ﷺ"[1] في ثمانية وأربعين بيتا، وهو كسابقيه -وإن زاد عليهم قليلا- يشير في مستهل مطولته إلى ما ارتبط بالميلاد من معجزات كالذي نزل بإيوان كسرى، ونار الفرس، وأبرهة وجيشه: أصحاب الفيل، وزيادة على ذلك الهزيمة النكراء التي نزلت بالفرس في موقعة "ذي قار". كما أن البشارة به جاءت في التوارة والإنجيل.

ولكن القصيدة في أكثر من نصفها تتحدث في أسى عن حال الأمة الإسلامية، وضعف المسلمين وتخلفهم، واستسلامهم لأعدائهم. وفي تلهف ضارع يهتف الشاعر بقلب موجوع ونفس مثخنة بالجراح:

---

(1) الإخوان المسلمون – عدد ١٤٠ – السنة الخامسة – غرة ربيع الآخر ١٣٦٦ –٢٢ فبراير١٩٤٧.

فهـل يـوم كيـوم الفيـل يلقـى ... بـه المسـتعمر العـاتى جـزاه؟
هـل كـأبى عبيـدة أو يزيـد ... يضـم المسـلمين إلى لـواه؟
وهـل جيش يضيق الرحـب فيـه ... يسـير ونصـر دينـك مبتغـاه؟
نشـيد بنيـه تكـبير.. وحمـد... ... تـردد هـذه الـدنيا .. صـداه؟

....

شـباب العـرب والإسـلام مـاذا ... عسـى يجدى التوكـل مـا عسـاه؟
أفيقـوا مـن سـباتكمو فهـذا.. ... نهـار الجـد قـد أضحى ضـحاه
صـلاة الله مـا غنـى هـزار ... علـى طـه ومـا نطقـت شـفاه

ولعبد الحكيم عابدين مطولتان الأولى عينية على بحر "الطويل" من ثمانية وأربعين بيتا بعنوان "وحى المولد"[١].

والثانية من قرابة مائة بيت نظمها الشاعر على نظام الموشحات، وعدد مقطوعاتها تسع وعشرون، تختلف فى حرف الروى، وينتهى كل منها بقفل همْزى، وعنوانها تحية الميلاد[٢]، وبين نظم الأولى والثانية سبع سنين.

وفى المطولة الأولى -وكالنهج المتبع عند الشعراء آنذاك -يعالج عابدين بعض الوقائع التى ارتبطت بالميلاد منها الحدثان الآتيان: طواف جده به حول الكعبة، ورضاعه فى بنى سعد:

ولله شـيخ أوهـن العمـرُ عظمَـهُ ... تعـود بـه البشـرى شـبابا ممتَّعـا
يطوف بـه البيتَ الحـرامَ (محمـدا) ... ويوليه أسمى ما حنا الأب أو رعى
ومرضـعة مـن (آل سـعد) تعولـه ... وكـاد لبؤسِ اليتْم يُحْرم مُرضـعا
ولو وجـدتْ عنـه (حليمـةُ) مهربـا ... لحاكـتْ نسـاء البيـد عنـه تمنعـا
ولكنـه الحرمـان ألجـأه لهـا.. ... وأهدى لهـا خـير الخلائـق مَرْضَعا
فكان لها فـى الجـاه والـذكر منزلا ... تمنـاه أعنـاق النسـاء تقطعـا[٣]

---

(١) مجلة التعارف -العدد٩ - السنة الخامسة- ٥ ربيع الأول١٣٥٩- ١٣ إبريل ١٩٤٠.
(٢) الإخوان المسلمون- العدد ١٤٢- السنة الخامسة- ١٥ ربيع الآخر١٣٦٦- ٨مارس ١٩٤٧.
(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول ٦٢، ٦٨(مصطفى البابى الحلبى١٩٥٥) وفيها كيف كان جده يحتفى به ويجلسه على فراشه فى الكعبة. وفيها كيف زهدت المرضعات فى هذا اليتيم، وأرضعته حليمة، فكان لها مصدر خير وبركة.

وفى ختام القصيدة يتحدث الشاعر عما توجبه ذكرى الميلاد علينا من حقوق عملية فى أعناقنا، فليس ميلاد الرسول يكتفى فيه بالتذكر والثناء:

ولكــن للــذكرى حقوقـا وحرمــةً   فهــل نحــن راعوهــا فنحيــا ونمنعــا

وما رعيك الذكرى احتفـالا وزينـةً   ولكــن جهــادا للشــريعة مَرْجعــا

فعلينا –وفاء للذكرى– مقاومة البغى والبغاة والإلحاد:

فإما رفعنـا رايـة الحق فـى الـورى   وإمـا تخيرنـا فـدى الحـق مَصْـرعا

وجاءت المطولة الثانية أوْفَى وأشملَ من الأولى، ولم يكتف الشاعر بالأحـداث التـى ارتبطت بالميلاد، بل اتسعت للشمائل المحمدية. فضمت المحاور الآتية.

–احتفاء الطبيعة بهذا المولد العظيم. وكان هذا هو استهلال المطولة.
– حالة العالم قبل الميلاد.
– مناجاة المولد، وما منحه العالم من عطاء.
– لا خضوع إلا لله: قيمة غرسها الإسلام فى النفوس.
– دعوة إلى الانتفاع بهدى محمد وسنته ﷺ.
–آمنة لم تعان آلام الحمل وقساوته.
–محمد فى طفولته وصباه.
– محمد الزوج.
– محمد الأب.
–قضاؤه وعدله، وتمسكه بالحق.
– محمد القائد.
– لباقته وكياسته وبعد نظره، فى الحديبية بخاصة.
– محمد الرسول الداعية.
– محمد القدوة والأسوة.
– شريعة الإسلام، وتفوقها على القوانين الوضعية، وخصوصا الفرنسية.
– دعوة إلى قيام الدولة الإسلامية.
– من عطايا الإسلام: العبادات، والزكاة، والقصاص، والجهاد.
– مرشد الإخوان حسن البنا يجدد الشمائل والقيم والسنن المحمدية.
– غربته فى مجتمع المادية، وحبه للرسول ﷺ.
– متبع لا مبتدع.

- جيل الإخوان يؤمهم البنا بشرع الله.
- حال الشرق العربى وخصوصا مصر والسودان.
- كتائب الإخوان في كل مكان، وما اتسموا به.

ونعرض على القارئ بعض القطوف من هذه المطولة الملحمية؛ ليتبين له بعض ملامحها الموضوعية والفنية:

- تعالَوا يوم مولده الجليل ... نربٌ على هداه أعزَّ جيل
دعوا التشبيب بالخد الأسيل ... ففوق غرامكم قدر الرسول
تغنَّوْا منه بالخلق النبيل ... وآيات الكمال الغرِّ تسْبى
نُهَى التاريخ فيِ ماضٍ وجاءِ

ومجَّد فى النبى أبا أبرّا ... إذا رزق الوليدَ اهتز بِشْرا..
وطأطأ رأسه لله شكرا ... ووهما يوسع الأبناءَ برا..
فلا يألو قضاء الله صبرا ... إذا امتحن الفؤاد بنزع حِبٍّ
ولو فقد العشيرة فى مساء

- شمائل تمنح النفس الضياء ... وتكسو حلة الزهر البهاء
وتورث عزةَ الملك الثناءَ ... وتبنى الدين والدنيا سواء
فليت لنا بصاحبها اقتداء ... إذا نطوى الممالك دون حربِ
فنهديها إلى أسمى لواء

كتائب فى الشمال وفى الجنوب ... تعانق بالمشاعر والقلوب
حداها مولد الهادى الحبيب ... لبعث جهاده الدامى الغضوب
فثر يا مُرشدُ الجيل الدءوب ... فشعب الإنجليز أذل شعب
أمامَ المؤمنين الأقوياء

أما يكفيك مرشدنا الأمينا ... عزائم فى جنودٍ لن تلينا
فلو رمت النجوم بهم منونا ... لأدنوها إليك مجاهدينا
ولو يردون فى الله المنونا ... لذاقوها على شغف وحب
وجادوا بالجوارح والدماء

وفى هذه المطولة ملامح فارقة تتفوق فى أغلبها على سابقتها وعلى المعهود فى

المطولات الأخرى. منها:

١- القالب الفنى، فقد جاءت على نظام الموشحات. ولم تتبع الشكل المعهود الذى يعتمد على وحدة الوزن والقافية. ولاشك أن التنوع فى حروف الروى –على مستوى المقطوعة الواحدة، والمستوى العلاقى بين المقطوعات- لا يدع مكانة للملالة النفسية التى يوجدها الرتوب النظمى.

٢- وخروجا على هذا الرتوب أيضا نرى الشاعر يجمع بين محاور رئيسية أربعة هى:

أ- الوقائع والأحداث.

ب-الشمائل المحمدية.

ج- حال الشرق وخصوصا مصر والسودان.

د- دعوة الإخوان ومرشدها وشبابها.

ويندرج تحت كل محور رئيسى محاور فرعية. ولكن مما يحسب للشاعر أنه نجح فى خلق التلاحم بينها فى وحدة موضوعية، لا مكان فيها للتفكك أو التنافر الفكرى.

ولكننا نأخذ على الشاعر طغيان الجانب الفكرى على حساب عنصر الخيال فى غير قليل من مقطوعات المطولة.

والمطولة –على أية حال- تعد من أفضل ما نظم الشاعر عبد الحكيم عابدين، لذلك كان حريصا على إلقائها فى كثير من احتفالات الإخوان بالمولد النبوى الشريف.

وشعر الإخوان فى مناسبة ذكرى ميلاد الرسول ﷺ أكثر من يحصى مما يضيق المقام عن الاسترسال فى عرضه، ولعل ما قدمناه يعطينا من الدلالات والملامح ما فيه الكفاية[1].

---

(١) من المطولات الجيدة فى هذا الموضوع قصيدة طالب المعهد الدينى بالإسكندرية: سعد أحمد دعبيس بعنوان: على هامش الميلاد:(الإخوان المسلمون –السنة الثالثة- العدد٥٥- ١٧ مارس١٩٤٥.

الفصل الثانى : الشعر التمثيلى

توطئة

يعرّف التمثيل بأنه "الأداء الفنى لمشهد أو حدث بالتصوير أو الوصف، أو التمثيل المسرحي".

كما تعرف المسرحية، أو التمثيلية بأنها "عمل مُؤَلّف يصور قصصا ما عن طريق حركة وحوار يمثلان على خشبة المسرح".

فالمسرحية –نثرية أو شعرية– بناء فنى قصصى متكامل متلاحم فى البيئة والزمان والشخصيات والأحداث والصراع والحوار واللغة، أما الحبكة فهى الهيكل القصصى للقصيدة أو المسرحية. وتعنى تسلسل الحوادث الذى يؤدى إلى نتيجة فى القصة، ويكون ذلك إما مترتبا على الصراع الوجدانى بين الشخصيات، أو تأثير الأحداث الخارجة عن إرادتها. وفى السطور الآتية نحاول أن نبرز أهم ملامح هذه العناصر وسماتها، متوخين الإيجاز الشديد:

أولا : الشخصيات. وهى نوعان :

١- شخصيات رئيسية: ومن بين هذه الشخصيات تبرز شخصية البطل، أو ما يسمى: "الشخصية المحورية". وهى الشخصية التى تستقطب الأحداث، وتظهر فى معظم المشاهد والفصول.

٢- شخصيات ثانوية: وهى التى تقوم بأدوار غير رئيسية، فهى تظهر وتختفى تبعا لمنطق الرواية، وما تقتضيه وقائعها، وأحداثها، فهى "أخف حضورا، وأقل فاعلية من النوع الأول.

ولكن لابد من توافر شروط فى النوعين تتلخص فيما يأتى:

أ- أن تكون الشخصية محددة الملامح، واضحة السمات حتى لا تتداخل، وتتلبس بالشخصيات الأخرى.

ب-أن تكون بعيدة فى ملامحها عن الافتعال، حتى يقتنع الشاهد والقارئ بحضورها الفنى.

ج- أن تتفاعل الشخصية فى صدق مع الشخصيات الأخرى.

د- أن تتفاعل الشخصية مع الأحداث والوقائع، وتنطق بما يتناسب مع مستواها العقلى والنفسى والاجتماعى.

ثانيا : اللغة والحوار:

الحوار هو أهم عناصر المسرحية؛ فالمسرحية -كما ألمعنا آنفا- عمل قصصي يؤدى بالحوار. وهو يقوم برسم الشخصيات، وإبراز أعماقها الدفينة، ومشاعرها الكامنة، وخلق التلاحم بين الشخصيات، كما يقوم بخلق التفاعل بين الشخصيات والأحداث، وتطوير أحداث المسرحية، وتعميق الصراع وإنمائه، وصولا إلى القرار الحاسم.

ثالثا : الوقائع والأحداث:

وهى لا ترِدُ إلا عن طريق الحوار. ويجب أن تتسم بسمات، لعل أهمها ما يأتى:

١- أن تتناسب مع طبيعة الزمان والمكان اللذين يمثلان عصر المسرحية، وبيئتها المكانية، أو ما يسمى "مسرْح الأحداث"، فلا تكون غريبة على روح العصر، مقحمة على مسرح الواقع.

٢- أن تتفاعل هذه الأحداث فيما بينها، بحيث تمثل تيارا متدفقا، يسير فى طريق النمو، وتصعيد الصراع، وصولا إلى القرار الحاسم، وهو ما يمثل النهاية.

٣- أن تتفاعل هذه الأحداث مع الشخصيات، فلا يساق حدث إلا إذا كان له ارتباط عضوى حى متلاحم بشخصيات المسرحية.

رابعا : الصراع:

إذا كان الحوار هو أداة الأداء فى المسرحية، وجانبها المحسوس، فلا شك أن الصراع هو الجانب المعنوى لها، فلا مسرحية بلا حوار، أو صراع.

وغالبا ما يكون الصراع هو عقدة المسرحية: إذ أن الحوادث تتلاقى، وتتلاحم وتتشابك، وتنمو، وتتأزم عن طريق الحوار إلى أن تصل إلى أقصى درجات التأزم والتعقد، ثم يأتى بعد ذلك ما يسمى "القرار الحاسم"، وهو يشبه الحل فى القصة، وبعد القرار الحاسم يسدل الستار. وينقسم الصراع إلى ألوان ثلاثة هى:

أ- صراع بين إنسان وإنسان.

ب-صراع بين إنسان ونفسه (الصراع الداخلى).

ج- صراع بين الإنسان والظروف والأحداث المحيطة به.

ويقر "مارك سوان" أنه لم يقرأ، ولم ير مسرحية ذات قيمة فنية لم يكن الصراع ركنها الركين، وأساسها الأول(١).

---

(١) ارجع إلى: مجدى وهبة: معجم مصطلحات الأدب: ص١٦٠، ٢٥٩، ٤٠٩.=

المبحث الأول: الإخوان والمسرح

الإخوان أصحاب دعوة، وهم يحرصون على تحقيق القيم الدينية والسلوكية والخلقية والمعرفية، مع الاقتداء والتأسى بالنماذج الطيبة الراقية فى الماضى، وهى الغاية التى أشار إليها ابن خلدون[1] وراوس[2].

فلا عجب إذن أن يتجه عدد من شعراء الإخوان وأدبائهم إلى كتابة مسرحيات وتمثيليات نثرية وشعرية. ولا شك أن المسرح الشعرى لا يلج عالمه إلا الأقلون لأنه يحتاج – زيادة على الموهبة الشعرية– قدرات وإمكانات روائية درامية. وقد يكون هذا هو السبب فى قلة الشعراء المسرحيين، بل ندرتهم.

وبصفة عامة كان عدد الإخوان الذين كتبوا أو نظموا فى الفن التمثيلى أقل بكثير ممن نظموا الشعر الغنائى، أو كتبوا فى الأجناس والأنواع الأدبية الأخرى.

ومن مسرحيات الإخوان ما جاء فى فصول متعددة متكاملة بشخصياتها المحورية والثانوية وحبكتها، وحوارها المتنوع.. إلخ. ومنها ما جاء فى فصل واحد.

ومما قدمه الإخوان فى الفن التمثيلى المسرحيات الآتية:

١- أبطال المنصورية (نثرية).

٢- حصار فى شعْب (وقد نشرت قبل ذلك تحت اسم: عامان فى شعب. (نثرية).

٣- صلاح الدين الأيوبى (نثرية).

٤- غزوة بدر (وهى أصلا نثرية. وقد حولها إلى شعر: أحمد موسى عفيفى).

٥- الهجرة. (نثرية).

٦- جميل بثينة. (شعرية). (وكلها للأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الإمام حسن البنا).

= وانظر د. جمال الدين الرمادى: مسرحية كليوباترة بين الأدب العربى والأدب الإنجليزى٧٨. (دار البيان– القاهرة– ١٩٧٣).

وانظر: د. محمد عنانى: المصطلحات الأدبية الحديثة ٥٢– ٦٥.(الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان. القاهرة١٩٩٦).

وانظر: موسوعة المصطلح النقدى: ترجمها عن الإنجليزية: د. عبد الواحد لؤلؤة – ص١٥، ١٦(دار الرشيد للنشر– بغداد– طـ٢).

وانظر: جابر قميحة: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف: ١٢١-١٥٧.

وانظر محمد سعيد الجوخدار: مبادئ التمثيل والإخراج ٣٣-٤٤ دار الفكر – بيروت١٩٨٥.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ص١٢(طبعة دار الشعب – القاهرة).

(٢) انظر: التاريخ: أثره وفائدته: أ.ل.راوس. ترجمة مجد الدين حفنى ناصف. ص١٠– سجل العرب. القاهرة-١٩٦٨.

٧- عمر والعجوز (شعرية).

٨- عمْرو بن الجموح(شعرية).

٩- الهجرة الأولى (شعرية). والثلاث السابقة (ليوسف المحجوب).

١٠- يثرب فى انتظار الرسول. (لعلى سرور) (شعرية).

١١- لبنى وابن ذَريح (لإبراهيم عبد الفتاح) (شعرية).

المبحث الثانى: يثرب فى انتظار الرسول

ولأن كتابنا هذا عن "الشعر" فى أدبيات الإخوان المسلمين تجيء وقفتنا مع ما كان شعريا من الأعمال المسرحية استقراء ونظرا وتقييما. حتى يتبين لنا أهم الملامح والسمات التى توافرت لهذا النوع من الإبداع. ونبدأ بالمسرحية الشعرية "يثرب فى انتظار الرسول" لعلى سرور[1]. وقد أهداها "إلى حضرة صاحب الشفاعة محمد بن عبد الله، سيد ولد آدم، صلوات الله وسلامه عليه ... رجاء... وزلفى... ومحبة."

موضوع المسرحية موضوع تراثى إسلامى، وهو هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة. وجاءت المسرحية فى ثلاثة فصول:

الفصل الأول –وهو أطول فصول المسرحية– يصور تآمر مشركى مكة على الرسول وصحبه ودعوته، ومن أهم وسائل التآمر والإيذاء والإضرار لجوء قريش إلى كتابة "صحيفة القطيعة أو المقاطعة"، وكان الشاعر موفقا –إلى حد كبير– فى التعبير بالشعر عن نصها:

قل: باسمك اللهمّ هذا عهدنا ... نحن السَّراةَ ومعشر الأشرافِ
إنا على دين الجدود نصونُه ... من آل هاشم بن عبد منافِ
نفديه بالأرواح إن لم ينتهوا ... ونقيه بالأرواح والأسياف
خرجوا على الأوثان كيما يَنْصروا ... غِرًّا بنائلةٍ هَزَا وإساف
عهدا علينا، لا كفاية بيننا ... يوما ولا لهمو بنا من كافِ[2]

ومن الشخصيات المهمة فى هذا الفصل: أبو لهب، وأبوسفيان، وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة.

والفصل الثانى: (٣١-٥١) يصور استعداد الناس لقبول دعوة الإسلام بالمدينة، وإسلام المسلمين الأولين بها. ومن شخصيات هذا الفصل: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وأسعد بن زرارة، ومصعب بن عمير، وعمرو بن الجموح، ومعاذ بن عمرو بن الجموح.

أما الفصل الثالث –والأخير– فهو أطولها على الإطلاق (٥٢-١٠٥). ويتكون من ثلاثة مناظر:

---

(١) طبعت المسرحية فى القاهرة، فى رجب ١٣٦٧ - مايو١٩٤٨.

(٢) المسرحية ٢٧. وانظر خبر الصحيفة فى السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٥٠، ٣٧٤. وهزا: استهزأ

المنظر الأول: فى دار الندوة بمكة ليلة الهجرة، وينتهى بما أشار به إبليس من قتل محمد (٥٢-٧٥).

والمنظر الثاني: ما حدث عند غار ثور من البحث عن محمد ﷺ، وما ظهر من معجزات (٥٣-٩٠).

والمنظر الثالث: استقبال الرسول ﷺ بالمدينة (٩١-١٠٥). وينتهى بالنشيد المعروف:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئتَ بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خيرَ داع(١)

وقد استطاع الشاعر أن يغطى كثيرا من المواقف والأحداث ابتداء من تآمر المشركين بمكة على حياة النبى ﷺ إلى وصوله المدينة.

ولم يبتعد الشاعر عن الواقع التاريخى، بل التزمه فى كل خطوطه، ولم نر له فى المسرحية حادثا مخترعا واحدا، ولو فعل لاقترب بعمله أكثر إلى الفن الدرامى، مع ملاحظة ضرورة أن يتوافر فى هذا الحدث شرطان:

الأول: أن يكون ثانويا فرعيا.

والثانى: ألا يصطدم بالحقائق الكونية، والمعطيات العقدية والخلقية والعقلية، حتى لا يتنافر المنطق الروائى مع المنطق التاريخى.

العنوان والوقائع

ومن البدهيات النقدية أن عنوان العمل الفنى يجب أن يكون -كما يقولون- كالسهم الذى يشير إلى الطريق، فهو سهم متميز، ذو توجه محدد، متوافق مع هذا الطريق بذاته.

ولا كذلك، عنوان مسرحية على سرور "يثرب فى انتظار الرسول"، وربما كان الأقرب إلى مضامين المسرحية هو "الهجرة" أو "الهجرة إلى المدينة"؛ فالهجرة. والتمهيد لها استغرقا أغلب المساحات الزمانية والمكانية للمسرحية. والشاعر المسرحى- أى شاعر- يعتمد فى تعامله مع الأحداث والوقائع على مبدأ "الانتقاء" فليس من المطلوب، وليس من المعقول أن يعرض كل هذه الأحداث، وإلا تحول العمل من "فن" إلى "تاريخ".

---

(١) المسرحية ١٠٥

ومبدأ "الانتقاء" يعنى اختيار الأحداث المناسبة للموضوع، والمتوافقة مع الأهداف التى تغياها من نظمه مسرحيته. وهذا التقعيد المتفق عليه نقديا يدفعنى إلى الاقتناع بأن الشاعر أغفل نوعين من الوقائع كانت أكثر ارتباطا بموضوعه "يثرب فى انتظار الرسول" من بعض الوقائع التى أوردها، أو على الأقل كان الموضوع فى أشد الاحتياج إليها، حتى لو أبقينا على كل ما أورده من وقائع، وما أغفله الشاعر من مواقف ووقائع نوعان هما:

أولا: بيعات العقبة الثلاث التى عقدت فى مكة سرّا بين النبى ﷺ، وبعض أهل المدينة، والذين أطلق عليهم فيما بعد ذلك الأنصار، لأنهم هم الذين آووا ونصروا الرسول ﷺ وصحبه. وصدق الله تعالى إذ قال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال:٧٤].

وكانت هذه البيعات[١] خطوات تدريجية..تدرجت فى منطق الاستيثاق للنبى ﷺ، وتمهيد المدينة، وإعداد أهلها لفتح قلوبهم للوافد الجديد. وكانت البيعة الثالثة -وهى الأخيرة- أخطرها، وأهمها لأنها تمثل اللقاء الأخير، والكلمة الأخيرة بين النبى ﷺ وأهل يثرب، وكانت تمثل "برلمانا" حقيقيا تكلم فيه عم النبى العباس بن عبد المطلب، ومن اليثربيين: البراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيِّهان، وأبو أمامة أسعد بن زرارة. ومما قاله العباس ﷺ:

"يامعشر الخزرج، إن محمدا منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه؛ بل هو فى عز ومنعة فى بلده. وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم؛ فإن كنتم ترون أنكم مسْلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده". ثم توالت الكلمات بعد ذلك من رسول الله ﷺ والأنصار[٢].

ثانيا: واقع المدينة: هاجر النبى ﷺ إلى المدينة وأشهر من فيها وحولها من اليهود أربع قبائل: بنو قينقاع، ويقيمون داخل المدينة، وبنو قريظة فى فدك، وبنو النضير على مقربة منها، ويهود خيبر فى شمالها[٣].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود: إنه قد

---

(١) انظر تفاصيل ما حدث فى البيعات الثلاث فى سيرة بن هشام: المجلد الأول ٤٢٨-٤٦٧.

(٢) المقريزى: إمتاع الأسماع ٣٥-٣٧.

(٣) د. محمد حسين هيكل: حياة محمد ٢٣٦ (دار المعارف -القاهرة- ط١٣- ١٩٧٥).

تقارب زمان نبى يبعث نقتلكم معه (أى ونحن معه، وتحت إمرته) قتل عاد وإرم[1]، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ذلك، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة:٨٩][2].

وفى إحدى الروايات أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بالنبى قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور أخو بنى سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير: ما جاءنا بشىء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكره لكم، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة٨٩][3].

ومن عجب أن تهديد اليهود للعرب بنبى يبعث، وأنهم سيكونون معه لقتلهم أتى بعكس ما استهدفه اليهود؛ فقد كانت قالتهم هذه هى الحافز الأكبر لإسلام عدد من الأنصار فى أول لقاء بينهم وبين النبى ﷺ، فقد قال بعضهم لبعض عندما عرض النبى ﷺ نفسه عليهم فى الموسم "يا قوم إنه النبى الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه" .. فاستجابوا لله والرسول، وآمنوا وصدقوا[4].

وكانت هجرة النبى ﷺ إلى المدينة، واعتناق الأنصار الإسلام، وفهمهم لحقيقة النبىﷺ وحقيقة دعوته.. كل أولئك أبطل حجة اليهود، أو "حرق الورقة" الوحيدة التى ظلوا يلوحون بها للأنصار والعرب، ويهددونهم بها آمادا طويلة.

---

(١) عاد: قبيلة أهلكها الله. وإرم هى عاد الأولى وكانوا عمالقة جبارين.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢١١ (يستفتحون: يستنصرون).

(٣) تفسير الطبري١/ ٥٧٨ (دار الفكر بيروت-١٤١٥-١٩٩٥).

(٤) المقريزى: إمتاع الأسماع٣٢.

وآمل ألا يكون من قبيل الاستطراد الممل أن أعرض –على سبيل الإلماع– ما يؤكد طبيعتهم الإجرامية وغدرهم وضلالهم وتضليلهم فى أحداث ومواقف منها:

١- إنكارهم على من أسلم منهم، وحقدهم عليه، وإساءتهم إليه.

٢- إعلان كفرهم وجرأتهم على الله، واستهانتهم بالأديان وأنبياء الله ورسله.

٣- الإساءة إلى الإسلام، والتنكر لنبيه، وتنفير الناس منه، ونسج الافتراء حوله.

٤- محاولاتهم إفساد المسلمين، وسعيهم فى الوقيعة بينهم.

٥- الغدر، والتآمر وتحريضهم الكفار على قتال النبى والمسلمين.

٦- محاولتهم اغتيال النبى ﷺ مرتين[1].

ووقائع البيعات الثلاث التى أشرنا إليها تمثل –ولاشك– بناء العلائق المستقبلية بين النبىﷺ والمبايعين إذا ما هاجر إلى المدينة، وهى علائق جوهرها وأساسها الاستيثاق من أن الأرض الجديدة ستكون وطن حماية وأمن وطمأنينة، وتمكين من نشر الدين الجديد، وكانت عمليا خطوات تدريجية لتهيئة المدينة لاستقبال النبى ﷺ، ليحتل مكانته اللائقة به نبيا ورسولا.

ولو انتظمت هذه الوقائع فى المسرحية لتحقق لها النسق الدرامى المتكامل، والتلاحم الفنى المطّرد بين الأحداث المترابطة ترابطا عضويا، مما يقوى الحبكة الفنية.

وفى هذا السياق نقرر أيضا أن الشاعر كان عليه أن يبدع –أو يستخرج– نوعا من الصراع الاجتماعى –فى صوتيه الهادئة والحادة– بين اليهود واليثربيين قبل وصول النبى إلى المدينة، أو تفكيره فى الهجرة إليها، انطلاقا من تهديد اليهود لأهل المدينة بخاصة، والعرب بعامة: بقرب ظهور "نبي" يقود اليهود إلى قتالهم وقتلهم، ويُنْزل بهم مثل ما نزل بعاد وإرم.

وكل أولئك فات الشاعر، ويعد –من وجهة نظرى– من أهم المآخذ التى تسجل عليه.

من مسرح الأحداث

غير أننا نرى الشاعر موفقا –إلى حد كبير– فى رسم ملامح البيئة ومسرح الأحداث والأبعاد الاجتماعية والدينية فى زمن المسرحية، وذلك طبعا عن طريق الحوار، كإبرازه عادة متأصلة متجذرة فى نفوس المشركين، وهى استطلاع المستقبل عن طريق الأزلام،وهى القداح، أى السهام باستقسامها أمام أصنامهم عنْد همّهم القيام بعمل مهم

---

(١) انظر جابر قميحة (٥٤-٧٠) من كتاب: أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير. (دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة. ط١- ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

كسفر، أو حرب أو ما شابه ذلك. ففى مطلع الفصل الأول نقرأ ما يأتى: [منظر الكعبة، الوقت وقت غروب، فى ناحية منها تمثال لهبل كبير الآلهة، بجواره صندوق القداح، من ناحية أخرى تماثيل للآلهة]

منصور: يا هبلَ الكعبةِ أفصحْ ما الخبرْ؟
بحق ما قربتُ من هذى الجُزُرْ(مشيرًا للخارج)
وما على الأنصاب من دم هُدِرْ
إلا عرفتَ ما يخبّئ القدر
(يمد يده إلى الصندوق فيخرج قدحا)
أبو جهل: ماذا رأيت؟
منصور: الخير ما رأيت
هذا الذى من أجله قربتْ
أبو جهل: (بعد ما يخرج قِدْحا)
يا عجبا ماذا ترى أمامى؟؟
آلهةُ الكعبة من أوهام
ما بالها تأبى سوى مقامى ... يا عجبا
منصور: ليس عجبا ما أرى
آلهة الكعبة تدرى الخبرا
ألا ترى الفتنة فى أم القرى
ألا ترى الصباة أغروا عمرا(١)
ألا ترقب الغد.. المنتظرا؟
أبو جهل: نصحتَ منصورُ ونعم الناصحُ
مصيبة كبرى وخطب فادحُ
ليس لها إلا الحسام السافح
والفارس الجلْد القوىّ الرامح(٢)
منصور: ومن أبو جهل؟ فتى مُمجَّدُ

(١) الصُباة: جمع صابئ وهو من يخرج من دين إلى دين.
(٢) الرامح: القوى الماهر فى استخدام الرمح.

وفارس فى قومه مُصمَّد

وهل يهاب غيرَهُ محمدُ؟[1]

وكان الشاعر كذلك موفقا فى فن "التشخيص"، أى فن رسم الشخصيات من خلال الحوار. بعيدا عن المباشرية والتقريرية: ومن هذه الشخصيات: الوليد بن المغيرة الذى كان نجما فى قومه، فهو عظيمهم، وكبير سراتهم، ومن هنا جاءت نقمته على محمد والإسلام، لشعوره بأن مكانته اهتزت فى المجتمع القرشى بالتفاف الناس حول النبى والإسلام[2].

وأبو سفيان نموذج الكراهية الموروثة بين أبناء عبد الدار وبنى عمومتهم أبناء عبد مناف مرجعها الرياسة الدينية للكعبة. ومع ذلك كان حريصا على سماع القرآن من النبىﷺ، ولولا ذلك التعصب الأعمى لأسلم مبكرا. وأبو لهب كان خارجا على إجماع بنى عبد المطلب لنصرة محمد ﷺ، مشاركا المشركين فى التآمر عليه. فمما جاء على لسانه مخاطبا الوليد بن المغيرة:

هذى يدى يا ابن المغيرة مرة	أخرى أجدد بينكم ميثاقى
أشرافَ مكة فافعلوا ما شئتمو	بمحمد وأنا الحسام الواقى
لا تحذروا أبناءَ هاشم إنهم	أسبابُ كل قطيعة وشقاقِ
محضتُهمْ نُصحى وقلتُ لهم دعُوا	دمَ ذلك المجنون للإهراقِ
فأبَوْا وقالوا: كيف بعد محمد	نيل العلا، وتطاولُ الأعناق
أشرافَ مكة إنما كيدى له	بادٍ، وعهدى فى العداوة باقى[3]

وبدا أبو جهل أشد المشركين عداوة وإيذاء للنبى ﷺ والمسلمين.

ونرى عمر بن الخطاب نموذجا للشجاعة الفائقة التى لا تخشى فى الله لومة لائم.

وبالنظر إلى أهل المدينة كان الشاعر أكثر توفيقا فى رسم شخصية أسيد بن حضير، فلم يكتف بإبراز أعماله الظاهرة، بل جعلنا نعيش أبعاده النفسية، وخصوصا العمق العقدى، فهو يتحدث عن أثر القرآن فى نفسه بعد أن سمعه موجها كلامه لسعد بن معاذ وعمرو بن الجموح:

---

(١) المسرحية ٣-٤.

(٢) صور القرآن شخصية الوليد فى قوله تعالى "ذرنى ومن خلقت وحيدا. وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا. ومهدت له تمهيدا. ثم يطمع أن أزيد. كلا إنه كان لآياتنا عنيدا"(المدثر ١١-١٦). وكان من أكابر قريش لذلك لقب الوحيد. وريحانة قريش. (محمد على الصابونى: صفوة التفاسير٣/ ٤٧٥- دار القرآن الكريم بيروت ١٩٨١).

(٣) المسرحية ٥٦.

لم أتبينــــه ولكـــنْ ســـرى بـــالكلم النـــاغم فـــى مســـمعي
كالأمـــل الباســـم فـــى حيرتـــى كالنشـــوة الخرســـاء فـــى أضـــلعى
يـــا صـــاحبى مـــا القُـــرَان الـــذى سمعـــت بالســـحر ولم أخـــدع[1]
يـــا صـــاحبىّ فاذهبـــا أنتمـــا فإنما أخشى على موضعى
يـــدفعنى القلـــب إلى ديـــنهم دفعـــا وإن لم أصْـــبُ أو أطمـــع[2]

الحوار

والحوار هو أهم عناصر المسرحية؛ فالمسرحية -كما ألمعنا من قبل- عمل قصصى يؤَدَّى بالحوار. والحوار يجب أن يتسم بما يسمى بالواقعية اللغوية الفنية، أى يكون معبرا عن لُغة عصر المسرحية، والشخصيات فى عصرها وبيئتها، فهى -كما يقول الأستاذ عمر الدسوقى: واقعية نفسية وعاطفية، تتطلب من المؤلف أن يتحلى بثقافة واسعة، ونظرات ثاقبة فى حالة المجتمع، وفى نفسية الفرد، وتفهمها تمام الفهم حتى لا يخلط وينسب إلى إنسان ما، أو مجتمع ما، ما لا يصح أن ينسبه إليه، فلا يتحدث أمى بأفكار الفلاسفة مثلا، ولا يصدر من الشجاع ما يدل على أنه جبان[3].

لذلك كان مما يؤخذ على أحمد شوقى فى كل مسرحياته -أو أغلبها- أن أسلوب حوارها يكاد يطرد على نسق واحد، نرى فيه "الشاعر شوقي" أوضح وأقوى حضورا من "المسرحى شوقي" فلا نكاد نعيش أسلوب "عصر المسرحية" من ناحية الأداء اللفظى، والنسق التعبيرى، فهو أسلوب شوقى، الذى يسير على مستوى واحد، وكأن شوقى هو المتكلم على لسان كل الشخصيات[4]. أما عزيز أباظة فقد تبنى فى مسرحياته الواقعية اللغوية الفنية، حتى يخيل إليك أن كل مسرحية من مسرحياته نظمت فى عصر أحداثها: فسمات الشعر الأموى واضحة كل الوضوح فى "قيس ولبنى"، بينما نجد أسلوب "العباسة" أشبه ما يكون بلغة العصر العباسى[5].

وهى إضافة فنية تسجل بالفخر لعزيز أباظة. ولتقرأ هذه الأبيات التى ساقها عزيز فى مسرحية "العباسة" على لسان أحد القواد فى حرب الشام، وهى تذكرنا بجزالة بشار، وفحولة المتنبى فى حماسياته:

---

(١) تقرأ (القران) بضم القاف وفتح الراء، لضرورة الوزن.

(٢) المسرحية ٤٠. وانظر النظرات التحليلية التى ذيل بها المسرحية الأستاذ محمود حسن منتصر (١٠٦-١١٠).

(٣) من تقديم عمر الدسوقى لمسرحية أوراق الخريف ٢٤ من المجلد الثانى: مسرح الشعر لعزيز أباظة. (دار الكتاب اللبنانى- بيروت١٩٦٩).

(٤) انظر: جابر قميحة: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف١٣٦.

(٥) قميحة السابق: ١٣٧.

ولما تلظت ثورةُ الشام واغتلتْ لنا قوةٌ من حقنا لم تلنْ لها
فصلْنا إليها فى العديد الجمْهرِ
وكنا أعزَّ الناسِ جندا وقائدا صَفاةً، وأخرى من زعامة جعفرِ
وكنا أشدَّ الناس صبرا على الوغى سعوْا للمعالى فى الحديد المذكّر
غزاهمْ بخوفٍ شعَّه فى نفوسهم ومن يدَّرع بالصبر للنصر يُنْصرِ
وساورهم بالسيف أقطع باترا ومن يلْق بالخوف المعاركَ يُدحر
وخيَّرهم بين السلامة والندى وثنّى برأى قاطعٍ غيرِ أبْترِ
وبين ركوب الموكب المتوعّرِ(١)

ومسرحية على سرور تشى بأنه شاعر مطبوع، تكاد تنعدم الضرائر الشعرية فى حواره، وكذلك الكلمات المجلوبة للقافية، ولغته هى لغة عصر المسرحية: نهاية العصر الجاهلى، وبداية عصر النبوة المحمدية. وهى لغة سليمة رصينة. وكان الحوار قديرا على رسم ملامح البيئة المكية والمدنية دينيا واجتماعيا. وقد قدمنا نماذج دالة على هذه السمة من قبل. وكذلك بالنظر إلى الشخصيات، كما رأينا من قبل فى حديث أسيد بن حضير أهم شخصيات مجتمع المدينة. فالحوار يتناسب مع المكان والزمان والشخصيات والوقائع والمواقف، ويتمتع بالتدفق والحيوية، وقد تفادى الغنائية التى اشتهر بها شوقى فى مسرحياته حتى ليصلح بعض هذا الحوار أن يكون قصائد مستقلة(٢).

وقد يطول الحوار فى بعض المواقف -وهذا قليل- ولكنها إطالة فى محلها، ويتسع لها صدر القارئ، بل يشعر أنه مع صاحبه فى الموقف الذى يعبر عنه، كالذى جاء على لسان عمر ﷺ الذى امتشق حسامه، وهمّ بالهجرة، فوجه كلامه إلى رءوس الكفر من قريش:

سراة قريشٍ ساء فيكم مقامُنا وقد ربطتنا قبل ذاك الأواصرُ
توثقت الأسبابُ حتى لكنتمو عشائرنا، فاليوم بئس العشائرُ
فما بيننا إلا عليمٌ بدينه وما بينكم إلا لئيمٌ... وغادرُ
وهل يستوى فى شرعة الله مسلم يسبح لله العزيز وكافر؟
وهل يستوى الصبح المنور والدجى؟ لقد فرقتنا يا قريش المقادر
وهذا حسامى فى يدى اشتاق متنُهُ إلى دقّ أعناق الرجال فحاذروا

(١) عزيز أباظة ٢١٢-٢١٣ من المجلد الأول من مسرح الشعر (مسرحية العباسة).
(٢) كحديث كليوباترا إلى هيلانة وشرميون الذى جاء فى قرابة ستين بيتا (ص٢٧٩-٢٨٢) من مسرحية مصرع كليوباترا من (ص٢٠٢-٢٨٧)من المجلد (٨) من الموسوعة الشوقية: دار الكتاب العربى- بيروت ط١، ١٩٩٤.

ومـــن ثكلتـــه أمـــه، فلْيلاقِنـــى   فـإنى إلى ربـى الغـداة مهـاجر[1]

ويأتى الحوار فى أغلبه ذا إيقاع سريع وحيوية متدفقة، معبرا عن جُوّانية المتحاورين. ونحن نعلم أن رءوس الشرك فى مكة كانوا حريصين على التخلص من محمد ﷺ ولو بالقتل، وكانوا متلهفين على تحقيق هذا الهدف الخسيس بأسرع ما يستطيعون، واللقطة الحوارية الآتية تعبر عن هذا التلهف المتوهج إلى درجة اللهاث:

إبلـــــيس: أىُّ بأس لهم وأىّ امتناعٍ؟   كذبوا إنّ بأسكم لشديدُ
يا أبا جهل، إن يكونوا حديدا   أيفل الحديد إلا الحديدُ؟
(صمت. وسكون)

الوليــــــد: ما الرأى يا قومُ، وقد لاحتْ لنا
نياتهم..
إبلـــــيس: الرأىُ ما وعدتنا
نمضى إلى محمد فى داره
نقتله
الوليــــــد: تهيأوا
إبلـــــيس: هيا بنا
....
إبلـــــيس: هيا اذهبوا
الجميـــــع: هيا بنا
الوليــــــد: أوصيكمو أن تكتموا
أبــو سـفيان: إنا عقدنا عزمنا
أبـــو جهـــل: فلنمض ولنجمع له فتْياننا
من كل بطن
أبــو سـفيان: نحن عنهم فى غنى
أبـــو جهـــل: لو شئت وحدى قتل ذلك الفتى
(مقاطعا)

(١) المسرحية٦٩-٧٠.

ما كان شيء منه عندى أهونا

لكن أراها ضربة واحدة حتى يضيع الدم فيما بيننا

وليأتنا أبناء هاشم، وفي قوتهم ضعف، وقد نلنا المنى

إبلــــــيس: رأى سديد فاذهبوا بوركتمو

الوليــــــد: مناة باركيهمو

الجميــــــع: هيا بنا[١]

ومما يرفع من قيمة الحوار ما نراه من بصمات إسلامية قرآنية فى تضاعيفه، وذلك بتضمين آيات قرآنية بنصها، وهى تأخذ مكانها المناسب من السياق، كأنها خلقت له بلا تكلف أو تصيد. ومن ذلك ما جاء على لسان مصعب بن عمير:

لقد أرسل الله هذا النبىّ فكان لنا خاتم المرسلين

وقال له فى الكتاب المبين (وأنذر عشيرتك الأقربين)[٢]

....

وهذى سبيل الهدى يا أسيد (عسى أن تكون من المهتدين)[٣]

أســــــيد: ومن هم أولاء؟

مصــــــعب: هم المسلمون لرب السموات والأرضين

تحيتهم يوم يلقونه سلام)[٤]

أســــــيد: وإنى من المسلمين

مصــــــعب: يقول به الرحمنُ جلّ جلالُه

(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[٥]

أبو لهب:

ولم يزل بى ساخرا يدفعه سوء الأدبْ

يقول فى قرآنه (تبت يدا أبى لهب)[٦]

---

(١) المسرحية٧٢-٧٤.

(٢) المسرحية٤٢- "وأنذر عشيرتك الأقربين" الشعراء ٢١٤.

(٣) المسرحية٤٢- يقول تعالى "... فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين" (التوبة١٨).

(٤) المسرحية ٤٣- يقول تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريماً (الأحزاب٤٤).

(٥) المسرحية ٤٧. يقول تعالى "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف:٢٩).

(٦) المسرحية ٥٥- سورة (المسد:١).

اللغة..

ولغة الشاعر –كما ذكرنا من قبل تتسم بالواقعية الفنية أى أنها لغة عصرها وبيئتها، ولكنه لم يكن موفقا فى استخدام بعض الكلمات على النحو التالى فيما يتعلق باستخدامه كلمتى الأنصاب والأوثان على ألسنة المشركين، كما نرى فى الأبيات الآتية:

- وما على (الأنصاب) من دم هُدِر[(١)]

أبو جهل: عساه ثاب إليه رشده فغدا بعد الهوى (وثنيا) غير مفتون[(٢)]

- الوليد: وبجانب (الأوثان) نحفظ عهدنا زُلفى وقربانا إلى مرضاتها[(٣)]

سعد: يا ويح أسعد أى شىء رابه حتى يعاف عبادة (الأوثان)[(٤)]

مع أن المشركين لم يطلقوا على معبوداتهم: الأوثان أو الأصنام أو الأنصاب، بل كانوا يعبرون عنها "بالآلهة" كقولهم عن رسول الله ﷺ.. ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان:٤٢]. ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝﴾ [الصافات:٣٦].

إنما الثابت أن كلمات الأنصاب والأوثان والأصنام وردت فى القرآن الكريم فى سياق ذم المشركين والنعى عليهم لفساد عقيدتهم، كما نرى فى الآيات الآتية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [المائدة:٩٠]
- ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝﴾ [الحج:٣٠]
- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]
- ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت:٢٥][(٥)].

---

(١) المسرحية ٣

(٢) المسرحية ٥.

(٣) المسرحية ٢٩.

(٤) المسرحية ٣٤.

(٥) وعلى سبيل التمثيل الذى يؤيد ما ذهبنا إليه ما جاء على لسان أبى جهل متوعدا رسول الله ﷺ: يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه..(سيرة ابن هشام١/٢٩٨.). =

وقد تتسلل إلى المسرحية بعض الكلمات والمصطلحات العصرية مثل (حرب الجوع) فى حديث الوليد بن المغيرة:

بل تلك حرب الجوع تقـ ذف بالقبيل جمرها[1]

ولكنها -للحق- قليلة جدا فى المسرحية.

=وقبلها قال وفدهم للرسول صلى عليه وسلم:... لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة السابق٢٩٥(السابق ٢٩٥)

(١) المسرحية:٢٢.

المبحث الثالث: غزوة بدر

ومن المسرحيات الشعرية مسرحية "غزوة بدر" التى وقعت بين المسلمين والمشركين فى العام الثانى الهجرى، وناظمها أحمد محمد موسى عفيفى، وهو واحد من طلاب كلية الحقوق. يقول فى تصديره لها "..... فهذه "غزوة بدر" التى طالعها القراء من زمن فى قالبها النثرى لمؤلفها الكبير الأستاذ عبد الرحمن الساعاتى، أعيدها ثانية فى قالب شعرى من نظمى. وإنى إذ أتقدم بها للقراء أؤكد أن الفضل يرجع أولا وأخيرا إلى حضرة المؤلف الكبير، فهو الذى وضعها، ونسقها، ورتب أشخاصها على هذه الصورة البارعة، وكل ما عملته هو أن نقلتها من نثر إلى شعر."

ووقائع بدر معروفة مشهورة: أسبابها ومقدماتها، ومسيرتها، ونتائجها. ونرى الشاعر التزم خط الواقع التاريخى، وإن أسرف فى توظيف شخصية الشيطان أو إبليس الذى كان يظهر فى صورة "سراقة بن مالك"، بل جعل منه الشاعر شخصيةً لازمة إيجابية، ذات موقع قيادى، وبطولات فذة[1].

وهو المرجع وصاحب الرأى والمشورة، ويتحدث إلى المشركين وهم فى طريقهم لقتال المسلمين فى بدر (وقد ظهر فى صورة سراقة بن مالك):

وأنا أكون مشيركم ودليلكمْ	حتى نطهرَ منهمو الفلواتِ
"عُزَّى" سترعاكم وينصر جيشكم	هبل فهل صليتمو للاّتِ[2]

فلما استحر القتل فى قريش صرخ فيهم (مخاطبا أبا جهل):

إنى بريء منكمو يا صاحبى	هل بعد ذا إلا البلاءُ المرْصدُ؟
قتلوا الوليدَ وشيبةً وأظنه	بهما سيلحق عتبة وسيخمد[3]

إنها طبيعة الشيطان، وطبيعة الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها، كما نرى فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال:٤٨]

---

(١) انظر مسرحية "غزوة بدر" ١٥، ١٦ (مطبعة الكواكب –القاهرة– د.ت).

(٢) المسرحية ٣٢.

(٣) المسرحية ٢٤

الشاعر والطوابع الدرامية:

وكان على الشاعر أن يبعث مزيدا من الحيوية فى الطوابع الدرامية بتعميق الصراع الذى توقف عند السطوح الخارجية، وكان ذلك فى متناول قلمه مع رُؤيا عاتكة[1]، وتجسيم مخاوف قريش، أو تنشيط رفضها، مع تقديم المبررات فى الحالين.

وكذلك ببسط القول فى نزول الملائكة، وتعميق الآثار النفسية التى هيمنت على القرشيين، بعد الخسائر الفادحة التى لحقت بهم. وربما لم ينهج الشاعر هذا النهج لسببين:

الأول: التزامه ما كتب عبد الرحمن الساعاتى، فلم يردْ أن يتخطاه.

والثانى: أن مثل هذه الغيبيات تمثل مناطق حساسة فى الوجود التاريخى، ومعالجتها يحتاج إلى قدر كبير من الحذر، حتى لا يقع المبدع فى حرج.

وقد ألمحت من قبل إلى أن الشاعر كان قريبا جدا من الواقع التاريخى إلى درجة الالتصاق حتى ليحس القارئ -غالبا- أنه يكرر الواقعة التاريخية،ولكن فى ثوب شعرى.

ومع ذلك نجد الشاعر يشرك أبا سفيان فى معركة بدر، يقطع بذلك هذا الجزء من مشهد فى حوار بين أبى لهب، وأبى سفيان:

أبو لهب: أدعوكَ يا ابن أخى فحدّ ... ثْ بالذى قد كانا
ماذا دهى أسْد الشّرى ... ماذا دهى الفتيانا؟
أبو سفيان: عمّاه ذقنا الكرب رغْـ ... ـم أنوفنا ألوانا
ما كنت أنظر فى الفلا ... أسفا سوى قتلانا
واستسلم الباقى وسا ... ر لسجنه حيرانا
أبو لهب: ماذا تقول أصادقا ... أم مازحا فرحانا؟

....

أبو سفيان: العم لو شهد الوغَى ... معنا لحار بيانا
ولكان يعذر جيشنا ... وجرى معى خزيانا
كنا نرى خلف السحا ... بِ فوارسا تلقانا

---

(١) هى عاتكة بنت عبد المطلب، وقد رأت هذه الرؤيا قبل موقعة بدر بأيام، فقصتها على شقيقها العباس وخلاصتها أنها رأت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، فصرخ بالمشركين يوعدهم بمصارعهم، فاجتمع الناس إليه، فقام به بعيره ووقف به على ظهر الكعبة، فصرخ بمثلها، وكذلك فعل وهو واقف على جبل أبى قبيس. ثم أخذ صخرة فأرسلها، فانحدرت إلى أسفل الجبل وتفتتت. فما بقى بيت ولا دار بمكة إلا دخلتها منها فلقة...(انظر سيرة ابن هشام ١/٦٠٨-٦٠٩).

يُلقون فينا الرعبَ حتى روّعُوا الفرسانا[١]

وبذلك وقع الشاعر فى غلطة تاريخية فادحة، فالثابت تاريخيا أن أبا سفيان لم يشارك المشركين فى القتال يوم بدر، لأنه كان مشغولا بأمر "اللطيمة" أى التجارة العائد بها من الشام، ونجح فى الإفلات بها إلى مكة وإنقاذها من أيدى المسلمين بعد أن غير مسار القافلة[٢].

الحوار والواقعية الفنية

وحوار الشاعر لا ينقصه الحيوية، والتناسب بينه وبين الشخصيات والمواقف، ولو أنه طَعّم حواره ببعض الشعر الأصلى الذى جاء تاريخيا على ألسنة بعض الشخصيات، لساعد ذلك على تقوية شعور القارئ بجو المسرحية، وطبيعة شخصياتها، من ذلك أن أبا سفيان حينما نجا "بالعير"- أرسل إلى قريش- وقد خرج جيشها لقتال محمد فى بدر- "إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرا.. فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجُزُر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا"[٣].

وأقبل أبو جهل يقاتل، وهو يرتجز:

ما تنقمُ الحربُ العَوان منى بازلُ عامين حديثٌ سنِّى
لمثلِ هذا ولدتنى أمّى[٤]

ونسجل على الشاعر خروجه أحيانا عن الواقعية اللغوية الفنية، باستعماله بعض الألفاظ والتراكيب العصرية، ولم تستخدم فى عصر المسرحية. ومن ذلك:

١- عقد اجتماع

عقبة: سنديرها نارا

---

(١) المسرحية ٣٠.

(٢) يروى أن كفار قريش لما أصيب منهم أصحاب القليب (فى بدر)، ورجع إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بالعير (قافلة التجارة) مشى إليه رجال من قريش، فكلموه أن يجعل مال هذه التجارة لإعداد جيش أحد الذى كان على رأسه أبو سفيان.(انظر: الحافظ شمس الدين الذهبى: المغازى ١٣٤-١٣٥- تحقيق محمد محمود حمدان- دار الكتاب المصرى- القاهرة-١٩٨٥).

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦١٨-٦١٩.

(٤) السابق ١/ ٦٣٤(الحرب العَوان: التى قوتل فيها مرة فهى لذلك أشد الحروب. والبازل من الإبل: الذى خرج نابه وهو فى ذلك السن تكمل قوته).

شيبة: ألا إنى أرى عقد اجتماع عند دار الأرقمِ[١]

٢- الرسول زعيمنا (وهو شعار من شعارات الإخوان):

(يسمع تكبير المسلمين مدويا فى بدر)

الله أكبر والرسولُ زعيمُنا والحكْم حكمُ اللهِ والقرآنِ[٢]

٣- الجهاد (وهو مصطلح إسلامى قرآنى، وغير المسلمين يستخدمون كلمة القتال):

الأسود (أحد الكفار):

سأسْبقكم جميعًا للجهادِ وأبطشُ فى النجودِ وفى الوهادِ[٣]

٤- المجاهد:

أبو جهل: الآن تجبنُ يا سراقةُ بعدما آنستُ فيك مجاهدا يتوقّد[٤]

٥- خسارة القضية:

الحسيمان: وأبو جهل أصابته المنيةْ ومشى للقبر خسران القضيةْ[٥]

٦- تعادل القوى:

عمير: فكأن فى بدر تعادلت القُوى وتحطمت روحٌ بها وغرور[٦]

---

(١) المسرحية ١٢.

(٢) المسرحية ١٨.

(٣) المسرحية ٢٢.

(٤) السابق ٢٤.

(٥) السابق ٢٦.

(٦) السابق ٣٦ وراجع فى هذه الكلمات العصرية كتاب الدكتور محمد محمد داود: لغويات محدثة فى العربية المعاصرة (دار غريب. القاهرة- ٢٠٠٦)

المبحث الرابع: لبنى وابن ذريح
(فاتنة بنى كعب وشاعر الحجاز)

تعريف بالقصة

هو قيس بن ذريح بن ليث بن بكر بن عبد مناة، وكان رضيع الحسين بن على رضى الله عنهما أرضعته أم قيس.

وكان منزل قومه فى ظاهر المدينة، أو فى (سرف)، فمرّ قيس لبعض حاجاته بخيام بنى كعب بن خزاعة، والحى خُلوف، فوقف على خيمة لبنى بنت الحباب الكلبية، فاستقى ماء فسقته، ووقعت فى نفسه،واستجاب لدعوتها بأن يبترد عندهم، فلما جاء أبوها نحر له وأكرمه، وانصرف قيس، وقد تملكه حبها، وجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وانتشر، وبادلته لبنى حبا بحب.

عرض قيس على أبيه -وكان كثير المال موسرا- أن يزوجه إياها، فرفض، كما رفضت أمه إلا أن يتزوج إحدى بنات عمه، حتى لا يئول مالُه إلى غريبة.

فوسَّط الحسين بن على، فرحب الحباب بما طلب بشرط أن يخطبها ذريح بنفسه، وتم الزفاف، ومرض قيس، وأصرت أمه، وكذلك أبوه على أن يطلقها، ويتزوج إحدى بنات عمه أو يتسرى حتى لا يورث كلالة[1]، فرفض قيس، فأقسم أبوه ألا يظلهما بيت واحد حتى يطلق لبنى. فكان يخرج فيقف فى حر الشمس حتى يستدر عطف ابنه فيطلق لبنى، فطلقها مرغما بعد عِشْرة عام.

فلما بانت حملها أبوها، وأصيب قيس بما يشبه الجنون فأخذ يقبل آثار خف جملها، ومواضع مجالسها، وآثار قدميها. فما جن الليل أوى إلى مضجعه، وأخذ يتلوى من الأسى كالملدوغ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكى، ويقول شعرا، والندم الشديد يستبد به لأنه طلق لبنى.

وأشار بعض القوم على ذريح أن يزوج ابنه بأخرى حتى يسلو بها عن لبنى، فوقع نظره على فتاة فزارية جميلة فخطبها، وتزوج بها، ولكن قلبه كان مشغولا بحب لبنى، فلم يهش للفزارية، ولا دنا منها، ولا خاطبها، ولا نظر إليها فلما بلغ نبأ زواجه لبنى غضبت غضبا شديدا. وقالت إنه لغدار، وقد كنت أمتنع عن إجابة قومى إلى التزويج، فأنا الآن أجيبهم.

---

(١) الذى يورث كلالة: هو الذى يرثه غير أبنائه وغير والديه.

ويقال إن الخليفة معاوية بنى أبى سفيان -بناء على شكوى الحباب مِنْ تعرض قيس لابنته بعد الطلاق -كتب مروان ابن الحكم- أو سعيد بن العاص- يهدر دم قيس إن تعرض للبنى. وأمر معاوية أباها أن يزوجها رجلا من آل كثير بن الصلت الكندى حليف قريش. فأخذ بما أمر.

ويقال إن قيسا أخذ عددا من إبله لبيعها فى المدينة -طمعا فى لقاء لبنى. واشترى منه كثير بن الصلت -زوج لبنى- ناقة، وطلب منه أن يقصد داره فى الغد ليقبض الثمن، وهما لا يتعارفان.

فلما كان الغد قصد دار كثير، فرأته لبنى، ورآها، فانفجر باكيا، وغادر الدار، وأرسلت لبنى إليه رسولا يسأله عن سبب زواجه بعد لبنى، فحلف له قيس: أن عينه ما اكتحلت بزوجته الثانية، وأنه لم رآها فى نسوة ما عرفها، وأنه ما مدّ إليها يده، ولا كلمها، ولا كشف لها عن ثوب.

وأكثر قيس من قول الشعر فى لبنى، وحبه، وحرقة حرمانه، واشتهر شعره فى كل الأوساط، وغنّاه الغريض ومعْبد وغيرهما. وتعاطف معه الناس. أما كثير زوج لبنى فأنبها تأنيبا شديدا، فغضبت وقالت "لقد علمت أننى كنت زوجته قبلك، وأنه أكره على طلاقى، والله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألَمّ بجينا".

ويقال إن قيسا رحل إلى معاوية، ودخل على يزيد، ومدحه بقصيدة فرق له، وقال "سلْ ما شئت" فقال "أحب أن أقيم بحيث تقيم فى البلاد، أتعرّف أخبارها، وأقنع بذلك، من غير أن يُهدر دمي". فأجابه إلى ذلك، وأزال ما كان كتب به أبوه فى إهدار دمه.

وفى نهاية قيس ولبنى هناك روايتان:

فأشهر الروايتين أنهما ماتا على افتراقهما. وخلاصة الرواية الثانية: أن عبد الله بن أبى عتيق سار إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم، وجماعة من قريش، واتفقوا على أن يمضوا جميعا إلى كثير زوج لبنى، فلما رآهم أعظم مسيرهم إليه، وقال لهم "حاجتكم مقضية كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل". قال ابن أبى عتيق: تهب لى ولهم لبنى زوجتك، وتطلقها. ففعل، وبقيت لبنى عنده حتى انقضت عدتها، ثم سأل القوم أباها فزوجها قيسا، فلم تزل عنده حتى ماتت[1].

---

(١) انظر في تفصيل قصة قيس بن ذريح ولبنى: كتاب الأغانى -٩/ ٣٣٠٠-٣٣٤٠(تحقيق إبراهيم الأبيارى -دار الشعب عن طبعة دار الكتب- القاهرة-١٩٦٩.). وانظر تصدير عزيز أباظة لمسرحيته "قيس ولبنى، ١٥-١٩. مسرح الشعر المجلد الأول.=

وقفة نقدية

عرضنا فيما سبق قصة قيس ولبنى موجزة أشد الإيجاز مما كتبه فيها أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه "الأغاني"، وفيها تفصيلات كثيرة جدا استغرقت قرابة أربعين صفحة، وكثير من رواياته لا تخلو من تناقض واضطراب، ومجافاة لكثير من عادات العرب الأصيلة؛ لأن أبا الفرج لم يقصد بكتابه أن يقدم تاريخا موثقا، ولكن جعل أساس مؤلفه الغناء، فبدأ الكتاب بثلاثة الأصوات الرئيسية لثلاثة شعراء متأخرين هم: أبو قطيفة، وعمر بن أبى ربيعة ونُصيب، فالمعول عليه هو الغناء -لا التاريخ والتراجم. واستكمل بقية الأصوات المائة لمغنين وشعراء مختلفين فى العصور. فالصوت هو الأساس الذى يستدعى الحديث عن المغنى أو الشاعر[1].

وحرصا كذلك على دفع الملالة عن القارئ- زيادة على عدم التزام الترتيب التاريخى فى إيراد تراجم الشخصيات -ربما عاد- بعد آلاف من الصفحات إلى الترجمة من جديد لأن صوتا من الأصوات اقتضى ذلك. وعلى سبيل التمثيل يورد الأصفهانى ترجمة جميل بن معمر فى المجلد الثامن[2]، ثم يعود إلى ذكر بعض أخباره فى ثلاث صفحات، فى المجلد السادس والعشرين لأن إسحاق غنى له بيتين[3].

ومعروف أن الأغانى "هو المرجع الأساس للمبدعين الذين يكتبون أعمالا قصصية ودرامية فى قصص الحب التراثية بخاصة. ولكن يجب أن يكون المبدع على حذر فى انتقاء الأخبار التى يعتمد عليها فى إبداعه، بحيث تكون منزهة عن التناقض والخلل، متفقة مع معطيات العقل، وطبيعة الزمان والمكان. وهذا بالطبع لا يحجر على حرية المبدع فى إضافة شخصيات ووقائع ثانوية -بالشروط السابقة- إذا اقتضت ذلك الحبكة الدرامية. وقد أشار إلى ذلك بقوله".. إنما الحتم اللِزام على المؤلفين جميعا أن يختاروا الموقف، ويصْدقوا فى عرضه، والتعبير عنه، ويجمعوا إلى بلاغة الصدق جمال الأداء..."[4].

ويقول إبراهيم عبد الفتاح فى مقدمة مسرحيته لُبنى وابن ذريح": ".. هذه المسرحية الشعرية ألفتها سنة ١٩٣٢، وأنا طالب بدار العلوم العليا، وطويت أوراقها سنين طويلة،

=وتصدير إبراهيم عبد الفتاح لمسرحية لبنى وابن ذريح ٧-٩ (دار القبس- القاهرة- ١٩٤٨)

(١) انظر الأغانى: المقدمة ١/ ١-١١.

(٢) الأغانى ٨/ ٢٨٣٦-٢٩٠٠.

(٣) الأغانى ٢٦/ ٩٠٥٤-٩٠٥٦ وارجع إلى كتاب جابر قميحة:كلمات فى التراث العربى ٦-٤٢(مطبعة الشباب- القاهرة- ١٩٨١).

(٤) من تقديم عباس العقاد لمسرحية أباظة قَيس ولبنى":مسرح الشعر ١/ ٢٤.

حتى ذكرنى بها أحد زملائى، فبعثتها من مرقدها، وأعدت كتابتها مع تعديل فى بعض المواقف، وزيادة يقتضيها السياق. وللشاعر عزيز أباظة مسرحية فى نفس الموضوع، وإنى أقدم هذه المسرحية للنشر، ولكلٍّ وجهة نظره فى الأحداث، وفى الحوار. ولكل أسلوبه وطريقته فى التعبير..."[1].

ومما سبق نخلُص إلى ما يأتى:

١- أن الشاعر إبراهيم عبد الفتاح قد كتب مسرحيته سنة ١٩٣٢. ولكن المسرحية لم تر النور مطبوعة إلا سنة ١٩٨٩م.

٢- أن الشاعر لم يقدمْها للطبع كما كتبها أول مرة، ولكن بعد أن أدخل عليها أشياء من التعديل والإضافة اللازمة، كما قال.

٣- أنه قبل الطبع اطلع -قطعا- على "مجنون ليلى" لشوقى، وقد طبعت سنة ١٩٣١، كما اطلع على مسرحية عزيز أباظة "قيس ولبنى" بعد أن ظهرت سنة ١٩٤٣.

٤- أن من يقرأ المسرحيات الثلاث قراءة متأنية مستوعبة، يكتشف أن مسرحية إبراهيم لا تخلو من بصمات فكرية وفنية للشاعرين الكبيرين وخصوصا "عزيز أباظة".

الصدفة والقدر

وفى وقفتنا النقدية مع مسرحية "لبنى وابن ذريح" نرى القدر قد لعب دورًا أساسيا فى مسيرة الحبيبين: فقيس تسوقه قدماه إلى ديار بنى كعب، يحمل وعاءه ويطرق باب إحدى الدور مستسقيا، فترحب به لبنى دون معرفة سابقة، فيعْلقها قلبه، وتبادله حبا بحب، ويقبل أبوها الحباب، فيرحب بقيس ضيفا، وينحر له شاة، ويحتفى به، ويأمر بإعداد الطعام، ويطلب من قيس الجلوس مرحِّبا به[2].

وتلعب الصدفة دورا آخر يتلخص فى أن كثير بن الصلت الكندى- الزوج الثانى للبنى- اشترى ناقة من قيس، دون أن يعرف أى منهما الآخر، ويدعوه إلى بيته لاقتضاء ثمنها، وفى البيت عرفت لبنى قيسا، وأنكرت نحوله وذبوله، وإن استبد بها الغضب لأنه

(١) ظهرت مسرحية عزيز أباظة سنة ١٩٤٣. وظهرت مسرحية شوقى "مجنون ليلى" سنة ١٩٣١. ويرى الدكتور أحمد زكى أن بين المسرحيتين تشابها توأميا "فالناس هم الناس، واللسان هو اللسان، وأسلوب العيش هو أسلوب العيش، والمدنية هى المدنية، وإنما فى ظرف أكبر. فعزيز يترسم خطوات شوقى، وله فى جزالة لفظه ما يعينه على أن يحاكيه فيقاربه، ويقاربه كثيرا..."(سيد قطب: كتب وشخصيات ١٣٩) - دار الشروق- القاهرة. د. ت.

(٢) المسرحية ٢١.

طلقها وتزوج بأخرى، وكشفت لزوجها عن شخصية قيس، وأنه كان زوجها السابق، فعليه طرده من بيته، ولكن زوجها أنكر عليها ذلك، ولم تأخذه الغيرة، بل أكرم قيسا إكراما طيبا[1].

والموقف ظاهر الافتعال: إذ كيف يبيع قيس ناقة لشخص يجهل اسمه، وقد اشترى الناقة بثمن آجل؟ وكيف يصل قيس إلى دار لا يعرف صاحبها في زمن لم تكن فيه الشوارع مخططة، ولا البيوت مرقمة؟ ثم كيف لا يستشعر هذا العربي الحر ولو مسحة من الغيرة من زوج عاشق أرغم إرغاما على تطليق زوجته؟ وأكثر من ذلك افتعالا، وأشد إقحاما المنظران الأول والثالث من الفصل السادس[2]، وفيهما نفاجأ بأن قيس بن ذريح "شيعي" ضليع في تشيعه، وأنه -لهذا السبب- أهدر معاوية دمه إن تعرض للبنى، أو تغزل فيها، ولو كان هذا صحيحا ما أمر يزيد بن معاوية برفع هذا الإهدار عنه، كما جاء في الأغاني. فنراه يهاجم بني أمية هجوما قبيحا، محولا قضيته العاطفية الخاصة إلى قضية سياسية عامة، مع أنه لم ينقل عنه تاريخيا أنه يمتّ للشيعة بصلة، ومما قاله قيس:

ما كان حبي لزوجي بعد فُرقتها ... يبيح يا ابن أبي سفيان سفْك دمي
إهدارك الدم حقد أنت تضمرهُ ... لكل حرٍّ يفي بالعهد والذمم
لقد نقمتَ على قيس محبتَه ... لابن البتول الشريف الطاهرِ العلم[3]

ويقول:

إن يعيبوا تشيعي لإمامي ... فهْو أمْر به دواما أفاخرْ
إنّ رب العباد يعلمُ أنّا ... أهل حق واللهُ للحقِّ ناصرْ
لستُ أخشى بني أمية ما عشْـ ... ـتُ، وإني على أذاهم لَصابرْ
إن روحي في قبضة الله ربي ... وأمورُ العبادِ رهنُ المقادرْ
كل ظلمٍ إلى زوالٍ وإن طا ... ل، ويخزي الإلهُ كلَّ مكابر[4]

صدمة الموروث الخُلقي: وثمة مواقف ووقائع مقحمة أخرى، وهي تناقض ما عرف من الأخلاق والعادات العربية الأصيلة.

---

(١) المسرحية ٨٦.
(٢) المسرحية: ٧٩-٨١، ٨٣-٨٤.
(٣) المسرحية ٧٩- وهذا الحديث القوي العلني الصريح من ابن ذريح في معاداة بني أمية يناقض ما أجراه شوقي على لسانه في مسرحيته "مجنون ليلى" -الموسوعة الشوقية ٨/ ١١٠.
(٤) المسرحية ٨٣.

ومن هذه المواقف ما قامت به إحدى جارات لبنى من الجمع بين قيس ولبنى فى منزلها سرا، بعد أن أكرمه الحباب والد لبنى، وتدور بين الحبيبين مطارحة غرامية قريبة من روح عصرنا الحديث[1]:

قيس: إنى أحبك يا منى ... نفسى وقلبى مُسْتهام
فضعى يمينك فوقه ... لتخففى حرّ الهُيام
وترفقى بى إننى ... نضْو الهوى بادى السَّقامْ
لبنى: أجننتَ يا ابن الأكرميـ ... ـن فرُحت تهذى بالكلامْ

....

قيس: سنزوركم فى داركم ... نرجو مصاهرة الكرامْ
يا لُبْنَ هل ترضيْننى ... أم لستُ أهلا للمقام
لبنى: يا قيس ما هذا بحقِّ الحبِّ هل هذا كلامْ؟
عجِّل بما تنوى عسى ... أن تخْرِس القومَ اللئام
أنا فى انتظارك دائما ... يا قيسُ يا نسلَ الكرام

ومثل هذا المشهد ما قامت به إحدى قريبات لبنى المشفقات عليها، من الجمع بين المحبين سرا[2]. ويدور بينهما حوار "سرى" منه الأبيات التالية:

لبنى: يا قيسُ قد غضب الأقاربُ كلُّهم ... غضبا تحكم فيهمو.. وتمكّنا
فأبى وعمى والعشيرة كلها.. ... حربٌ عليك لخوفهم من حبنا
يا قيس كف عن التحدث بالهوى ... لا تُلق شعرك هاهنا أو هاهنا

وينتهى حوار التشاكى بقول لبنى:

أنا فى انتظارك فارتحل ... وارجع إلينا فى أمانْ

وأغرب من هذا وأبشع ذلك الدور الذى يشبه -إلى حد بعيد- دور "القوادة". يقول المؤلف "يتعرف قيس بعد ذلك (زواجه من الفزارية، وزواج لبنى من كثير) على جارة للبنى اسمها بريكة، وهى امرأة غنية مات زوجها الحبيب، ففقدت أجمل حب، فهى تعطف على المحبين المحرومين. وقد عملت على أن تجمع بين قيس ولبنى فى بيتها"[3].

---

(١) المسرحية٢٤-٢٦

(٢) المسرحية ٣٦-٣٧.

(٣) المسرحية٨٨.

ويتناجى الحبيبان، ويتشاكيان بشعر طويل. يقول المؤلف بعد أن سمعت بريكة هذا الشعر تتركهما لتحضر لهما تحية، فيشتد الوجد بقيس، وينسى نفسه، ويمد يديه إلى لبنى ضارعا، وقد اشتعلت أشواقه، وزاد هيامه:

قيس: تعالَىْ لبيّنى واسمحى لى بضمّةٍ   وبلّى بعطفٍ منك نارَ فؤادي
تعالى أعانقْك العشيةَ مثلما   فعلْنا ودهرُ السوء غيرُ مُعادِ

فتذكّره لبنى بالتقوى والعفاف، ثم تقول:

تعقل تعقل أنت فى حال جِنّة   نسيت طلاقى يوم رُمْتَ بعادى
لقد صار ما قد كان حِلاً محرَّما   وما قد مضى يا قيسُ غير معاد

ويشرح لها قيس ظروف الطلاق.. فهو طلاق مكره، وينطلق فى مناجاته وشكواه إلى أن يُغشى عليه...

بريكـــــة: قم تنبه قيس
قـــــيس: ما لى ما جرى لى؟
بريكـــــة: أنت فى حال جنون وخَبالِ
قم تنبه. قم وأسرع واخرجَنْ
من هناك اخرج من الباب الشمالِى(١)

***

إنها مواقف استهتارية تتناقض مع العادات والأخلاق العربية الأصيلة،وحدث من لبنى بعد ذلك ما هو أدل على التهور والاستهتار، وحدث من زوجها ما لا يليق بالرجال من خور وطراوة مما يطلق عليه وصف الديوثة، كما نرى فى الموقف التالى(٢):

لُبنى فى دار زوجها كثير، وقد ظهرت عليها أمارات الاضطراب عقب لقاء قيس فى دار بريكة، وكأن جرحها قد عاد إليها بآلامه:

كثير: أنتِ فى حالة تثير شجون النـ   ـفْس أنتِ فى اضطرابٍ شديدِ
أرسولٌ أتى من ابن ذريح   أبنشرٍ أتاكِ أم بقصيدِ

....

هل رأيتِ المجنونَ قيسا قريبا   أم أتى بالقصيد منه وكيلُهْ؟

---

(١) المسرحية ٨٨-٩٣
(٢) المسرحية ٩٣-٩٥.

لبنى غاضبة: كان عندى فما الذى تبتغيهِ؟ كان عندى بنفسه لا رسولُهْ
قال نثرا، وقال شعرا كثيرا أىّ قولٍ تريدنى أن أقولَهْ؟
كثير ملاطفا: جزعى كله لأجلِكِ لبْنى إننى مشفق عليك وحانِ
قد ظننتُ القديم من حب قيس هاجه باعثٌ على الأحزانِ

ولكن المؤلف من ناحية أخرى أشاد ببعض الفضائل العربية الأصيلة، وأهمها الكرم، كما نرى فى ترحيب الحباب (والد لبنى) بقيس بن ذريح دون معرفة، فينحر له شاة، ويأمر بإعداد الطعام:

ضعى الماء لبنى هنا جانبا وهاتى الطعامَ هنا عندَنا
وهاتى الوسائد هاتى البساط لنكرم فى يومنا ضيفَنا
أعدوا الطعام لضيفى الكريم طعامًا يليق بمن أمّنا
وهيا انهضوا واعملوا جهدكم لتقديم أشهى طعامٍ لنا(١)

اللغة والحوار

لغة الشاعر فى حواره لغة سليمة راقية، ولم يلجأ الشاعر إلى الضرائر الشعرية، مما ينم على تمكنه اللغوى وأصالته الشعرية، وكثير من حواره فيه حيوية وإيحاء. ولكن أظهر ما يعيبه هو الإغراق فى الغنائية، والشاعر نفسه قصد إلى ذلك قصدا، وكان يعى هذه الحقيقة، فكتب ملاحظة ذيل بها تصديره لمسرحيته، ونصها:

"عند الرغبة فى تمثيل هذه المسرحية على المسرح يمكن اختصار القصائد الطويلة، أو حذفها، مع بقاء الحوار السريع الحى الذى تعتمد عليه المسرحية، ويصور أحداثها"(٢).

والشاعر فى غنائيته هذه المفرطة تذكرنا بشوقى، وخصوصا فى مسرحيته "مصرع كليوباترة"(٣). وقد يبلغ الإفراط فى الغنائية حدا مملا لا يستسيغه العقل والوجدان كالذى جاء على لسان قيس وبلغ قرابة خمسين بيتا(٤).

وزيادة على هذا الطول الغنائى المفرط نواجه لوحات شعرية تقريرية دون اندماج درامى فى البناء الدرامى للمسرحية، ففجأة دون تهيئة نفسية ينتقل الشاعر (فى الفصل

---

(١) المسرحية من ٢١-٢٢. وانظر كذلك مظاهر إكرام كثير لقيس بعد أن تزوج كثير من لبنى -المسرحية٨٦.
(٢) المسرحية ٩.
(٣) كوصف كليوباترة لمعركة أكتيوم البحرية، وحديثها إلى هيلانة وشرميون. وقد سبق الإشارة إليه.
(٤) المسرحية ٢٧-٢٩. وانظر كذلك الصفحات ٣٩، ٤٩، ٥٦، ٦٢، ٦٨، ٧٠، ٧١.

السادس) من المنظر الثالث إلى المنظر الرابع، مصدّرا بالعبارة النثرية الآتية: "رثاء أم قيس التى كانت من أكبر العوامل على طلاق لبنى. قيس يرثى والدته أمام قبرها". ويورد الشاعر بعدها ثمانية عشر بيتا:

وداعا وإن جرعتنى الهمَّ يا أُمّا وشردتِ لبنى عن منازلنا ظلما

....

ولست بناسٍ فضلَ أمى وبرَّها وحبا لذاتى لستُ أحصره كمًّا[1]

ومثل هذا نهْجُ الشاعر فى المنظر الخامس "رثاء قيس والدَه، وكذلك منْ فقده من أحبابه..."[2]

وفى الحوار غير قليل من البصمات القرآنية والدينية. من ذلك ما جاء على لسان الشيخ عمران (وهو من كبار قوم الحباب) موجها إلى الحباب:

ولا تتْرك العذراءَ تفقد حظَّها ولا ترهق العذراءَ من أمرها عُسْرا

وخذ رأى لبنى فهْو فى الشرع واجبٌ فإن رضيت فاقبل، وكن والدًا برّا[3]

فالبيت الأول متأثر بقوله تعالى ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف:٧٣]. ومضمون البيت الثانى حكم فقهى معروف.

ومن الأحكام الشرعية ما جاء على لسان ابن أبى العتيق مخاطبا "قيس بن ذريح":

يا ابن ذريح يا أخا الكمالِ احرصْ على لبنى بأى حالِ

إن الطلاق أبغض الحلالِ لله ذى الكمالِ والجلالِ

وإنما يباحُ للإخلالِ بواجبات الزواجِ أو بالآلِ

أو فى اختلاف الطبع والخصالِ أو عيش قالية ببيت قالِ[4]

ومن الشواهد التاريخية من حياة النبى ﷺ وصحبه ما جاء على لسان قيس:

وهل فى التجارة من سُبَّة لمن سار فيها حميد السيَرْ

يبجَّل فيها الوفى الأمينُ ويكرَم فيها الصديق الأبرْ

وكان رسول الهدى تاجرا إلى الشام حينا يجدّ السفر

---

(١) المسرحية ٨٤-٨٥.

(٢) المسرحية ٨٥-٨٦.

(٣) المسرحية ٣٣.

(٤) المسرحية ٥٠. وانظر حديثا عن صلة الرحم ص٥١. وعن الكلالة ٥٤.

وكان أبو بكرٍ المجتبَى يجوبُ القرى تاجرا والحضر[١]

وفى الحوار كذلك تضمينات، واقتباسات من الشعر القديم كان الشاعر موفقا فى أغلبها. منها -على سبيل التمثيل- ما غنى به ابن عائشة من لامية كعب بن زهير "بانت سعاد"[٢]، وما أورده الشاعر من أبيات نقلها من الأغانى يمدح بها قيس صديقه وراويته ابن أبى العتيق[٣].

ولكن غاب التوفيق عن شاعرنا فى البيت التالى (على لسان قيس):

إنى جنيت على نفسى ولستُ أنا ممن يقولون: هذا ما جناه أبى[٤]

وواضح ما فى البيت من تأثر لفظى ببيت أبى العلاء المعرى:

هذا جناه أبى عليَّ وما جنيتُ على أحدْ

ومن البدهيات أن التأثر -إذا وقع- يكون بالمزامن أو السابق لا اللاحق، وبين قيس وأبى العلاء المعرى (٣٦٣-٤٤٩)هـ ما لا يقل عن قرنين من الزمان.

ويُذكر للشاعر كثير من الحوار الحى الذى يعبر عن المشاعر النفسية بانفعالاتها المختلفة، ويكون البسط والبطء، والسرعة والتلاحق متوافقا مع طبيعة الموقف من ناحية، وطبيعة الهدف الذى يرمى الشخص إلى تحقيقه من ناحية أخرى. فبعض شباب بنى كعب يطمعون أن يتزوجوا من لبنى، وهم يحقدون على قيس، ويدسون الدسائس لدى أسرتها، لينفروهم منه، ومن هؤلاء "جساس" الطامع فى لبنى فانطلق بكلمات متلاحقة متوهجة -تنم على حقد شديد- يروى للحباب (والد لبنى) كل شعر ينسب إلى قيس، وفيه اسم لبنى بصريح اللفظ:

جســـــاس: .... هذه الأشعار فى لبنى

الحبـــــاب: .... فمن قالها فى الناس باللفظ الصريحْ؟

جســـــاس: .... شاعر لا يرعوى عن غَيِّهِ

الحبـــــاب: .... مَنْ أجبنى

جســـــاس: .... ذاك قيس بن ذَريحْ

---

(١) المسرحية ١٣.

(٢) المسرحية ١٤

(٣) المسرحية ١٠٣.

(٤) المسرحية ٧٥.

الحبـــــاب: ضيفىَ السابق يا ويح له | كيف لاقى البرَّ منى بالجحودْ؟
يدخل البيتَ ولا يرعى لنا | حرمة البيت ويهذى بالقصيدْ
لبنـــــى: لا تصدق يا والدى أى قولٍ | يفتريه غريمُه جساسُ
إنه طامع يدبر أمرًا | وهو ذئب مخادع دسّاسُ
الحبـــــاب: ليس جساس وحده قد رواه | فكثير منه قد رواه الناسُ
لبنـــــى: إن جساسَ أصل كل بلاءٍ | هو للناس ناقل وسْواسُ[1]

ونجح الشاعر –إلى أبعد حد– فيما ساقه على لسان قيس معبرا عن شدة لوعته وأساه، موجها حديثه إلى رجال القافلة التى تحمل لبنى إلى أهلها، بعد أن طلقها مكرها بإصرار من والديه:

لقد نفد الصبرُ الذى كنت عازما | عليه وأحزانى أنوءُ بحملِها
خذونى لها عبدا، خذونىَ خادما | ولا تتركونى للهموم وهوْلها
خذونى لها عبدا خذونى خادما | أرافقها فى ظعنها أو فى محلها
خذونى لها عبدا خذونى خادما | أعيش وأستذْرى بوارف ظلها
أعيدوا لى العقْد الذى قد حللتُهُ | ولا تأخذُوا نفْس الجهول بجهلها[2]

وقوة التأثير فى هذه الأبيات ترجع إلى عاملين أساسين:

الأول: هو الانطلاق العفوى التلقائى دون تزيين أو تنميق.

والثانى: هو التكرار اللفظى فى الشطور الأولى من الأبيات لغرض إبراز شدة الحب وتوهج العاطفة والتلهف.

وفى أول لقاء بين قيس ولبنى والحباب، وقد احتفى بقيس وذبح له شاة قامت لبنى بطهوها، يتحدث قيس بما ينم على الرضا والقناعة والإعجاب، ويشد نظرنا التورية الجميلة التى جاءت فى سياق الأبيات[3]:

طهْو جميلٌ وزادُ محبب مسْتطابُ
إن السماحة بحرٌ يعلو عليه الحبابُ

---

(١) المسرحية ٣٠-٣١

(٢) المسرحية ٧٤-٧٥، أستذرى: أستظل وأحتمى. ظعنها: رحيلها.

(٣) المسرحية ٢٣ (وكلمة الحباب لها معنيان: معنى قريب لا يريده الشاعر وهو ما يعلو على الماء مثل الزبد. ومعنى بعيد يريده الشاعر، وهو الحباب والد لبنى. كما أن الندى تعنى قطرات الماء، وتعنى الكرم. وهو ما يقصده الشاعر.

والناس قشر وأنتمْ وسْط الأنام اللبابُ
ولا يبارى نداكم مهما أفاض السحاب
ديار كعبٍ وكعبٌ فى الجود طابت وطابوا

ذكرنا فى صفحات سابقة أن "الواقعية اللغوية" تقتضى أن يكون الحوار بلغة "عصر المسرحية" لا عصر "لغة الشاعر". وإلا وقع تنافر بين أجزاء السياق الحوارى. ولم يَخْلُ حوار المسرحية من ألفاظ وعبارات حديثة لم توظف فى عصر المسرحية.

ومن أمثلة ذلك:

١- ألف شكر. فقد جاء على لسان قيس بعد أن سقته لبنى (فى أول لقاء): رويت فشكرا ألفَ شكرٍ لفضلكم[١]

٢- سأعمل جهدى. فقيس يخاطب لبنى قائلا:

سأعمل جهدى كى تزوروا نبيَّنا ويسعد أهلونا بأهلك يا لُبنى[٢]

٣- الحسّاس (أى مرهف الشعور)، فابن عائشة المغنى يخاطب قيسا قائلا

ألست الشاعر الحسّاس مهما يدرْ بفؤاده الإحساسُ دارا[٣]

٤- أنا فى انتظارك. تقول لبنى لقيس:

أنا فى انتظارك فارتحلْ وارجع إلينا فى أمانْ[٤]

٥- كسْر الرأس. (وهو لون من ألوان الوعيد عند العوام فى مجتمعاتنا الحاضرة). يقول الحباب عن لبنى:

تخالفنى بنتى وتعصى أوامرى إذن فصلاح الأمر فى كسر رأسِها[٥]

٦- فى يدك الحل (وهى من العبارات الدارجة الدائرة فى كل الأوساط فى عصرنا)، يقول ابن أبى العتيق مخاطبا "كثير" ليطلّق لبنى:

يا كثير الإحسانِ فى يدك الحلُّ فأقدم عليه غيرَ محاذر[٦]

---

(١) المسرحية ١٦
(٢) المسرحية ٨.
(٣) المسرحية ٢٦.
(٤) المسرحية ٣٧.
(٥) المسرحية ٣٣.
(٦) المسرحية ١٠٠

والقارئ يستطيع –مما سقناه سابقا من وقائع ومواقف– أن يستخلص أبعاد الشخصيات التى قامت بها، أو بعض هذه الأبعاد.

ويبقى الحوار هو الآلية الرئيسية التى تُلقى الضوء، وترسم ملامح الشخصية وأبعادها.

وقد استطاع الشاعر أن يبرز شخصية قيس المحب المدنف الذى ظلّ على حبه ووفائه للبنى، إلى أن فارق الحياة، ولم يخفف من دَنَفِه وآلامه زواجه بأخرى. بل زاده ذلك حرقة وشعورا بالحرمان. وإنْ كنا نأخذ على الشاعر تغاليه وإسرافه فى تصنيع الإغماء، فبعد تطليقه لبنى يتبع القافلة التى تحملها إلى وطنها، فيطير صوابه، ويجرى وراء الركب كالمجنون، والرجال يصدّونه، وأخذ يقبل آثار رحْلها، وكل مكان شرفته بنعْلها، ويُجرى دموعه على الثرى، ويغمى عليه، فلما أفاق أخذ بشعره يعبر عن ندمه وشقائه لتطليقه لبنى[1].

وقد يستساغ هذا المشهد لأنه الصدمة الأولى –بل أشد الصدمات التى نزلت بقيس بعد أن طلق لبنى، وشرعت فى الرحيل. ولكن الإسراف غير المستساغ ما حدث فى بيت بُريكةْ حيث جمعتْ –سرا– بين قيس ولبنى بعد أن تزوجت من كثير بن الصلت. ومن الحوار الذى دار:

قـــيس: أنا فى حب لبنى فافعلى ما شئتِ فيَّهْ
وخذى سيفى ورأسى جربى ذبحَ الضحيةْ
أنت أوْلى بى فهاتى ميتة منك شهيةْ

(تدخل بريكة المضيفة، فتجد قيسا ملقى على الأرض فى حالة إغماء):

بريكـــة: لهف نفسى ما دهاه؟

لبنـــى: إنه مُغمًى عليهِ
ويح قيس أنشب الْـ موتُ بقيس مخلبيهِ[2]

فالموقف كله لا يستدعى هذا الإغماء العميق الطويل القريب من الموت. وهذا يذكرنا بما أخذه سيد قطب –رحمه الله– على شوقى فى تصويره شخصية قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى[3].

---

(١) المسرحية ٧٤-٧٥.

(٢) المسرحية ٩٢-٩٣.

(٣) سيد قطب: كتب وشخصيات ١٤٢.

ومما يسجل للشاعر إجادته تصوير شخصية: أم قيس (حماة لبنى) التى فاض قلبها بكراهية لبنى، وحرصها على أن يطلقها ابنها، ويتزوج أخرى تنجبُ من يئول إليه ميراث الأب الثرى. ومن المشاهد التى تعبر عن نفسيتها أدق تعبير وأوفاه، ما نراه فى الحوار التالى بينها، وبين زوجها ذريح:

أم قيس: قم يا ذريح لا تنمْ — رؤيا استمعْها كلَّها
ذريح: لا تفزعى لا تجزعى — رؤياك خيرٌ (علَّها)
أم قيس: رأيتُ غولةً مشتْ — فى دارنا يا هوْلَها
تُتْلف ما تلقى بها — حتى أصابتْ غولَها
وصرعتْنا صرعة — لم يَرَ راءٍ مثلَها
وهدمت بيوتنا — وما بنينا حولَها
ذريح: أضغاث أحلام مضتْ — فلا تعيدى قولَها
أم قيس: فتلك لبنى نفسُها — رأيت فيها شكْلها
فسوف نلقى شرَّها — وسوف تؤذى بعْلَها
فيا ذريح لا تنمْ — عنها بل اقطع حبْلَها
وإن قطعتَ حبلها — فلا تجدِّدْ وصْلها
واخطب لقيسٍ غيرها — يُحلها محلَّها..
فنحن لا نحبها.. — ولا نحبّ أهلَها[1]

ويمضى إلحاحها –فى مواقف أخرى– على ذريح:

فليطلقْ هذه ولِيأتنا — بالتى تأتى إلينا بالبنينْ[2]

ونصل إلى الحديث عن الصراع فى المسرحية، وهو ركنها المعنوى، كما أن الحوار هو ركنها المادى، فلا مسرحية بلا حوار، ولا مسرحية بلا صراع. والصراع فى هذه المسرحية قائم على عرف اجتماعى قهار، مازال له وجوده فى وقتنا الحاضر، وهو حرص الأسرة الثرية على الحفاظ على ثروتها فى نطاق أبنائها أو أقاربها الأقربين، لا لزوجة غريبة عاقر غير ولود، وانفراج الصراع فى مثل هذه الحال يكون بتطليق الزوجة، وإحلال غيرها

(١) المسرحية ٥٢.
(٢) المسرحية ٥٣.

مكانها طمعا فى الإنجاب، مع إيثار أن تكون ممن تمتّ بقرابة قريبة من الأسرة.ويأتى فى المرتبة الثانية: الإبقاء على الأولى، والتزوج بثانية.

وفى المسرحية نرى الوالدين وخصوصا أم قيس يصران على الحل الأول. ومكرها نفذ قيس مشيئتهما. ولكن حبه للبنى ظل متمكنا من قلبه مهيمنا عليه إلى آخر يوم فى حياته.

وفى المعروض المسرحى نلتقى نوعين من الصراع:

صراع داخلى نفسى يمور بقوة فى نفس قيس إذ يتجاذبه شعوران متناقضان: شعور بحبه العميق للبنى، وحرصه على التمسك بها، وشعور بعاطفة البنوة، والحرص على طاعة والديه والوفاء لهما، بالاستجابة لأمرهما بتطليق لبنى والزواج بواحدة من بنات العم.

أما النوع الثانى من الصراع فهو الصراع الخارجى بين قيس من جانب، ووالديه من جانب آخر، اعتمادا على العرف القائم، وفى صفهم فئة الشيوخ التقليديين، هؤلاء الذين قال فيهم قيس:

لهم عرف قديم قدموه ... وليدُ الجهلِ جانبَه الصوابُ
قلوبُهمو وألسنهم علينا ... حرابُ أسىً وأحجار صِلابُ
إذا خالفتُ رأىَ أبى وأمى ... أتانى اللومُ منهم والعتاب[1]

ولكن الصراع الداخلى كان أوْفى وأعمق، وإن جاء متلاحما مع الصراع الخارجى؛ فقد كانت أسبابه وعوامله هى التى ضرّمت هذا الصراع النفسى، وزادته توهجا، ومن الحوار الذى يمثل هذا اللون بعد أن تحولت حياة الزوجين الحبيبين إلى عذاب دائم وهمٌ ثقيل بسبب حرص الأبوين على التفريق بينهما:

لبنى:

أرى الحزن يكسو نور وجهك دائمًا ... فهل لزوالِ الحزنِ عنك سبيلُ؟
أحزْنك يا زوجى لأنى لم ألدْ ... وقد مرّ عهد فى الزواج طويل؟

---

(١) المسرحية ٧٠. مع ملاحظة أن فى المسرحية صراعا آخر بين قيس وأهل لبنى بسبب تشبيب قيس بها، وانتشار شعره فى ذلك، والعرف ألا يتزوج الشاعر بمن تغزل بها، وحرص الطامعون فى لبنى على استغلال هذا العرف لحرمان قيس منها. ولكنه انهزم أمام موافقة أهلها على تزويج قيس بلبنى. ولا كذلك ما حدث لقيس بن الملوح الذى حرمه أهل ليلى من الزواج بها، فعاش عزبا مجنونا بها إلى أن مات، وما ذلك إلا لتشبيبه بها. (انظر مجنون ليلى لشوقى: الموسوعة الشوقية ٨/ ١٣٩-١٥٩).

وأهلك فى شوق لنسْل يسرهم ودهرى بتحقيق الرجاء بخيلُ
ويسأل أهلوك الكرامُ بحسرة لمن بعدهم هذا الثراء يئولُ
وأسمع هذا القول منهم فيعترى فؤادى هم لا يطاقُ ثقيلُ
وأخرج للجارات والوجه باسمٌ وهمى بقلبى فى الضلوع دخيلُ
قيس: نعم أنا يا لبنى حزين، وإنما أصبِّر نفسى والكريم حَمُول
حزينٌ لأن الوالدين كما أرى يريدان أمرا ما إليه سبيل
يريدان لى نجْلا يُورِّث مالَهمْ فهل هو دون الحادثاتِ يحولُ؟
وهل يكفل النسل البقاء لأهله فليس لهم بعد البنين رحيل
وهل لى ذنب أو للبنى إذا انقضى زمان ورب الخلق ليس ينيلُ؟[1]

ويصبح نهب حيرة عاتية.. ماذا يفعل؟ أيطلق لبنى إرضاء لوالديه؟ أم يبقى عليها فيحرم رضاءهما إلى الأبد؟ إنهما حلان أحلاهما مرّ، ويشده هذا الصراع النفسى المر نحو والديه، وخصوصا أنه يرى كيف تعيش لبنى فى عذاب ونكد بسبب الأم القاسية العنيدة، ولا تملك لبنى إلا أن تتوجه بشكواها لقيس بعد الله:

أصبح البيت كالجحيم عذابا مِنْ خصام ملازم وشجار
لك أم يا قيسُ تفتنّ فى الكيْـ ـد، وتشتد فى أليم الحوار
ليس لى ضَرّة ولكن أراها فى حياتى كضَرة فى الضِّرار
قد تقربتُ ما استطعت إليها وهى تأبى إلا شديد النفار

وأمام كل أولئك يحسم قيس الأمر بقرار قاطع، وإن كان على كره شديد منه، ولكن المضطر يركب الصعب كما يقول المثل:

أأُبقى عليها وهْى تُؤذَى بصحبتى ومالى غنى عن والدىَّ وعن قومى؟
إذنْ فعلاجُ الأمر ترْك خليلتى لعلى أنجّيها من الكرْب والغم
وأرحم لبنى من أساها وذلها ومما يسوء النفسَ من كثرة اللوم
أطلّق لبنى -خير أنثى عرفتُها- لعلى أُرضى والدى الشيخ أو أمي

ويتلقف ذريح هذه الكلمات فى بهجة وسرور. ويصيح:

لك الحمدُ ياربى فقيس أطاعنا فما أسعد الأيامَ والعيشَ يا ربي

---

(١) المسرحية ٧٠-٧٢.

ستبتسمُ الدنيا لنا فى حياتِنا ونَنسى الذى قد مرَّ من سالفِ الكرب[1]

إن هذا الصراع لم يبزغ فجأة، ولكن بوادره ظهرت بعد مرور الوقت الذى يظهر فيه الحمل عادة، ودار ونما واطرد انطلاقًا مما طلبته الأم فى إلحاح ازداد اضطراما بمرور الأيام، وهو ما عبر عنه قيس بقوله:

إن أمى تريد أمرا شنيعا هو عندى أخفُّ منه انتحارى
تطلب الأم أن أطلق لبنى باختيار لذاك أو إجبار

فينصحه ابن أبى العتيق بالحفاظ عليها،وعدم تطليقها، وهنا يتناهبه الشعوران النقيضان كما يظهر فى قوله:

أطلق لبنى إنه غاية الظلم أطلقها من غير ذنب ولا جُرمْ!!!؟
أأقتل نفسى بالندامة بعدها فيا شرّ ما ألقى من الهم والغم!!؟
إلى الله أشكو حيرتى ما وسيلتى لإرضاء أهلى أو أبى أو رضا أمى؟
أأهجرهم والهجر فيه عقوقُهم وإن عقوق الوالدين من الإثم؟[2]

وكان أغلب من يعرفون قيسا مع رأى الإبقاء على لبنى، ولا إثم ولا حرج لأن مخالفة الوالدين فى حال الظلم عدل، على حد قول زوجة ابن أبى العتيق لقيس عن الأهل والأقارب:

وإذا تمادى ظلمهم أعفاك من صلة الرحمْ
فإذا عصيتَ الوالديـ ـن لمنع ظلم لم تُلَمْ
الظلم لا يرضى به.. لعباده العدلُ الحكَمْ[3]

ولكن هذه المرحلة من الصراع تنتهى بتطليق لبنى لتبدأ مرحلة جديدة تتمثل فى سعى قيس إلى ملاحقة لبنى.. واللقاء بها استجابة لحبه الذى زاد بالحرمان توهجا، مما يصطدم مع العرف –بل الدين– الذى يعتبر المطلقة أجنبية يحرم على مطلقها اللقاء بها، أو متابعتها، أو الحديث إليها، ولم يحسم الصراع الأخير إلا انتهاء الأجل.

---

(١) المسرحية ٧٣-٧٤.
(٢) المسرحية ٥٠.
(٣) المسرحية ٥١.

المبحث الخامس: المسرح المدرسى

تعريف

المسرحية المدرسية هى الإبداع التمثيلى الذى يكتب للتلاميذ ليمثل على مستوى المدارس بمراحلها الثلاث:

وهذا النوع من المسرحيات يتسم بصفات شكلية وموضوعية. أهمها:

١-القصَر: فالمسرحية المدرسية تكون غالبا من فصل واحد، وإن تعددت مناظرها.

٢-المباشرية والسهولة والوضوح فى معالجة الموضوعات، وفى الحوار والأداء التعبيرى. ومن ثم يكون حظ التعقيد الفنى فيها ضئيلا، كما أن عدد الشخصيات يكون قليلا مع التركيز على الشخصية المحورية. أما الشخصيات الثانوية فمسطحة، لأن قصر المسرحية لا يسمح لها بالنمو.

٣-الهادفية: فهذه المسرحيات تتغيا تحقيق أهداف تربوية، ونفسية، وسلوكية، وخلقية، ووطنية، ومعرفية.

أهمية المسرح المدرسى

والمسرح المدرسى -كما يرى أستاذنا عبد العليم إبراهيم-[(١)].

يعد دعامة قوية من دعائم التربية والتعليم:

١-فهو من العوامل المساعدة على نضج الطالب، واكتمال شخصيته، وتمرسه بفن الحياة، فى اتساق مع نفسه، وانسجام مع المجتمع الذى يعيش فيه.

٢-وهو يمد الطالب بالمعلومات، ويزوّده بأنواع كثيرة من الخبرات والمهارات، فيدربه على الأداء المعبر، والنطق الواضح، كما يعوده الإلقاء الجيد، وتنويع الصوت، ورعاية ما يقتضيه المقام من ألوان السلوك.

٣-والتمثيل المدرسى عمل جماعى يتوقف نجاحه على التعاون، والصبر، والمواظبة، وإنكار الذات، والاعتماد على النفس، وغير ذلك، مما يخلق فى الطلاب صفات الرجولة.

٤-والمواقف التمثيلية علاج ناجح للطلاب الذين يغلب عليهم الخجل والتهيب، ويميلون إلى العزلة والانطواء.

---

(١) الموجه الفنى لمدرس اللغة العربية ٤١٤- دار المعارف بالقاهرة ط١٣-١٩٨٤.

٥-والتمثيل المدرسى يضفى على جو المدرسة المرح والبهجة والسرور، ويخفف عنه من أثقال الحياة الرتيبة الجافة الجامدة.

٦-وهو من الوسائل التعليمية التى تفوق غيرها فى توضيح المعلومات للتلاميذ، وتثبيتها فى أذهانهم، وتأثيرها فى سلوكهم لأنهم يرون الأشياء أمامهم ماثلة ناطقة متحركة.

٧-ويمكن بالمسرح المدرسى توثيق العلائق بين المدرسة وبيئتها، ومعالجة ما فى البيئة من أدواء اجتماعية، أو انحرافات سلوكية، أو نحو ذلك.

٨-والتمثيل المدرسى يتيح للطلاب فرصا يستقلون فيها بحمل التبعات، والاضطلاع بالمسئوليات، ويتعودون فيها مواجهة الجماهير، دون خوف أو تهيب، ويدربون على ضبط النفس، وحسن التصرف، وبذلك تتكامل شخصياتهم.

٩-ومن ناحية المعارف اللغوية يمكن تحويل بعض دروس القراءة والمحفوظات والتعبير والأدب والقصص إلى تمثيليات فيزيد إقبال الطلاب عليها، وفهمهم لها.

كما أن التمثيل المدرسى يزود الطلاب بطائفة كبيرة من المفردات الصحيحة والأساليب الجيدة، ويقوّم ألسنتهم، ويعودهم على النطق الصحيح السليم، مما يسمو بأساليبهم فى التعبير.

الإخوان والمسرح المدرسى

وللإخوان المسلمين أهداف واضحة لا يختلفون عليها، وهم يوظفون المنهج التربوى لتحقيق هذه الأهداف، وهى أهداف معلنة ابتداء من قيام الإمام الشهيد بإنشاء بالجماعة. وقد عرض هذه الأهداف فى قوله:

١-نريد أولا الرجل المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردى.

٢-ونريد بعد ذلك البيت المسلم بالصفات السابقة، ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب.وهذا هو تكويننا الأسْرى.

٣-ونريد بعد ذلك الشعب المسلم فى ذلك كله أيضا، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت... وأن تتيسر فكرتنا، وتتغلغل فى القرى والنجوع، والمدن والمراكز، والحواضر والأمصار..

٤-ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التى تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام.

٥-ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية، وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية..[١]

سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم، وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط[٢].

وبعد هذا البيان تلتقى أهم أهداف المسرح المدرسى مع أهم أهداف دعوة الإخوان، وهو "تربية الفرد حتى يكون مسلما متكامل الشخصية"، لذلك اهتم الأساتذة الإخوان فى المدارس المصرية بمراحلها المختلفة بالمسرح الشعرى والنثرى، وأكثروا من تقديم المسرحيات، وخصوصا ذات المفاهيم الدينية والتاريخية[٣].

وقد أشار أحد المدرسين إلى ذلك فى تصدير المسرحيات التى قدمها، فكتب "هذه مشاهد من التاريخ الإسلامى، صغتها شعرا مسرحيا لأبناء المدارس أولا، ولقراء العربية ثانيا، آملا أن يجدوا فيها متعة لنفوسهم، وغذاء لقلوبهم، وأن يترسم أبناء الجيل ما تضم من أخلاق ومثل، حينما يصبحون قادة المستقبل ورجاله[٤].

وفى الصفحات التالية نلتقى بعض هذه المسرحيات لنتعرف على الأبعاد الموضوعية، والطوابع الفنية لهذا النوع من المسرحيات.

١- الهجرة الأولى... لمحمد يوسف المحجوب[٥]

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا - من رسالة "إلى الشباب" ١٠١-١٠٢ (دار الدعوة - الإسكندرية- ١٩٨٩).

(٢) السابق ١٠٣.

(٣) كنت -وأنا تلميذ فى المرحلة الإبتدائية فى منتصف الأربعينيات واحدا من عشاق التمثيل، لذا كنت عضوا من أعضاء "جمعية التمثيل بمدرسة المنزلة الإبتدائية". وكان القائمون على الجمعية -إشرافا وتأليفا وإخراجا- اثنين من المدرسين الإخوان، هما الأستاذان عباس عاشور، وطه الغوابى- رحمهما الله. وأذكر من المسرحيات التى قدمناها: غزوة بدر، وأصحاب الأخدود، والصياد المحسود، وبائعة اللبن. وكلها كانت تؤدّى بالعربية الفصحى. علما بأن المراحل التعليمية آنذاك كانت ثلاثا: مرحلة التعليم الإلزامى (الأولى)، ثم مرحلة التعليم الإبتدائى (٤سنوات)، ومرحلة التعليم الثانوى (٥سنوات).

(٤) من تصدير الشاعر -المدرس- محمد يوسف المحجوب لمسرحيته: الهجرة الأولى -وعمر والعجوز.

(٥) لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من الإيذاء والبلاء.. وأنه لا يقدر على أن يمنعهم ويحميهم، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرج من المسلمين إلى الحبشة ثلاثة وثمانون من المسلمين على رأسهم جعفر بن أبى طالب، وعثمان بن مظعون وعثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبى ﷺ. وكانت أول هجرة فى الإسلام. وأرسلت قريش: عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بالهدايا للنجاشى وبطارقته لاسترجاع المسلمين. ولكن النجاشى لما استمع=

المسرحية من مسرحيات "الموقف" وأغلب أحداثها تدور فى قصر النجاشى. ومحورها الأساسى هو عرض المبادئ والقواعد والقيم الإسلامية على ألسنة المهاجرين فى مقام عرض قضيتهم، وتقديم حيثيات اعتناقهم الإسلام، وموقف القرآن من السيد المسيح عليه السلام ودعوته.

وأمام النجاشى وبطارقته، ومواجهته لرسولى قريش، خطب جعفر بن أبى طالب ﷺ خطبة طويلة، ومما جاء فيها "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة،ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه وآمنا به... فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى... وخرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك،ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك..."[(١)].

بين الواقع والفنى

كانت هذه الخطبة هى أهم معروض فى الواقع التاريخى الذى لم يبتعد عنه الشاعر كثيرا، ولكن يسجل له أنه تفادى –فى معروضه الشعرى- الغنائية، فلم يعرض مضمون الخطبة عرضا تقريريًا متواصلا، ولكنه جعل النجاشى يتدخل مقاطعا، وبتعبير آخر: لم يكن دور النجاشى مجرد مستمع لقضية تعرض، ولكنه تفاعل مع أجزاء هذه القضية، مما حول معروض جعفر إلى حوار متكامل حى، ولم يخل هذا الحوار من اشتراك عمرو بن العاص فيه. ومن هذا المعروض:

جعفر: مليك الفضل قد عشْنا زمانا ... بدين الجاهليةِ غارقينا
وكنا نعبد الأصنامَ جهلا ... ونرتكب الفواحشَ سادرينا
ولا نرعى الجوار لأى جار ... ولا نرعى حقوق الأقربينا

=للفريقين اقتنع بدعوى المسلمين فحماهم وأكرم جوارهم ورد رسولى قريش خائبين. [انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢١-٣٧٠].

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٦.

عمرو (مقاطعا) أيرضى ذاك مولاى المفدَّى؟

النجاشي لتسكتْ عمرو.. دعه لكى يبينا

جعفر(متابعا): ويأكل أقوياء الجاه منا ضعافهمُ طغاةً.. جائرينا

وكم وأدَ البناتِ بنا أثيم وراح –ضلالةً– يحمى البنينا

إلى أن جاءنا منا رسولٌ رأيناه على الدنيا الأمينا

صدوقا طاهرا عفّا رحيما يواسينا، ويرعى البائسينا

النجاشى: تحدثْ عن رسالته وأفصح فرسْل الله نورُ العالمينا

جعفر: دعا ألا نرى فى الكون إلا إلها، لا شريك ولا مُعينا

دعانا للصلاة فإن فيها صفاءً يملأ الدنيا حنينا

ويُثنى النجاشى على المسلمين، ويصفهم بأنهم رجال "مروءة" و "نبل"، بعد أن قص عليه جعفر موقف الكفار وموقف المسلمين من بلال الحبشى. ثم يواصل جعفر حديثه، فقال أنه بعد أن اشتد عليهم الأذى والظلم والتضييق والبغى:

أتينا للنجاشىّ المرجَّى وهاجرْنا إليه صابرينا

تخيرك "النبي" لنا نصيرا فجئنا نقصد الحصن الحصينا

النجاشى (وقد تأثر واقتنع):

أسْمِعونى قرآنكم.. فيقينى أن فيه هدايةً ويقينا

جعفر (لعثمان بن مظعون):

هات –عثمان– ذكر "عيسى" ورتل وحى قرآننا بيانا رصينا

أسْمع القوم آى مريم يظهر كيف نشدو بذكرها ما حيينا(١)

وتنتهى المسرحية باقتناع النجاشى وبطارقته بصدقية جعفر بن أبى طالب ومن معه، وبعظمة الإسلام ومبادئه، ويأمر رسول قريش بالعودة الخائبة إلى بلده بما حمل من هدايا – أو رشاوى– للنجاشى وبطارقته، فيوجه كلامه إلى عمرو بن العاص (مشيرا إلى الهدايا):

يا كثير الإحسانِ فى يدك الحلُّ فأقدم عليه غيرَ محاذر(٢)

احملوها جميعا ثم عودوا مثلما جئتمو بها صاغِرينا

ثم يتجه إلى جعفر ورفاقه:

---

(١) انظر المسرحية: ١٦–٢٠ (مكتبة مصر– الفجالة– القاهرة) د.ت.

(٢) المسرحية ١٠٠

أيها المسلمون: هذا جوارى فأقيموا فى ظله آمنينا
لن تُراعُوا.. ولن تصابوا بسوء من يرعْكم يشربْ بكفى المنونا

ثم يوجه كلامه لرجاله:

يا رجالى: صونوا وداد رجال آثروا دارنا، وفاتوا الديارا
قد دعاهم نبيهم أن يلوذوا بجوارى فكيف أنسى الذمارا؟
أرضنا أرضهم، فمن يشْك منهمْ مؤلما فليجدكُمُو أبرارا
أسعدوهمْ حتى يحسوا جميعا أنهم أدركوا بنا الأوطارا(١)

وواضح أن الصراع مباشر ظاهر، فهو بين مجموعة حق وجماعة باطل تطرح كل منهما -بمنطقه الخاص ما يحاول أن يقنع النجاشى به.

وواضح أن الجو العام فى مجلس النجاشى -وهو ملك له مكانته وقيمته فى عصره- يوحى بالنقاء والروحانية والحرص على العدالة هو وبطارقته. وجاء الأداء التعبيرى بلغة سليمة، وهى لغة عصر المسرحية، ولم ينزلق الشاعر إلى توظيف كلمات عصرية مستحدثة.

دروس وعظات

والمعروف أن الإخوان -كحملة دعوة- لم يكونوا يهتمون بالفن المسرحى لذاته، فقد كان همهم الأساسى: أداء رسالتهم، وتحقيق أهدافهم الدينية والتربوية والسلوكية (٢).

ومن الدروس والعظات والتوجيهات التى تعكسها هذه المسرحية ما يأتى:

١-على المسلمين-وخصوصا الدعاة منهم- أن يسعوا إلى البيئة الأصلح والأوفق للعيش والمعايشة، والقيام بمتطلبات الدعوة ونشرها. يقول تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء:٩٧].

وقال تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء:١٠٠].

---

(١) المسرحية ٢٣-٢٤.

(٢) من مظاهر هذا الاهتمام أن كثيرا جدا من شُعَب الإخوان كان فها فرق تمثيلية، تؤدى تمثيليات ذات مغزى دينى واجتماعى وكان أغلب هذه التمثيليات تأخذ موضوعاتها من التاريخ الإسلامى.

٢-المسلم مطالب بعرض معتقداته، وقواعد دينه بقدر الإمكان، ما سنحتْ الظروف، وتهيأت الفرص.

٣-على الداعية -لإقناع الآخرين واستمالتهم- أن يختار من الشواهد والآليات أقدرها على تحقيق الأهداف المنشودة.

فنرى في المسرحية "جعفر بن أبي طالب" حرصا منه على كسب ود النجاشي، واستمالته -يذكر ما لاقَى بلال- وهو حبشي من جنسية النجاشي- من تعذيب الكفار وظلمهم، ومما قاله جعفر في حضرة النجاشي:

فهال القومَ ما جئنا.. فراحوا لنا، ولمن أناب معذبينا
وفيما كان يلقاه "بلال" مثال للطغاة.. الظالمينا

النجاشـــي: وماذا كان يلقاه بلال؟ ومن هو؟
جعفـــــر: طيب من طيبينا
كريم من بني الأحباش يحيا بمكة.. قد رضى الإسلام دينا

وأخذ يروى كيف كان يعذبه أمية بن خلف، وكيف اشتراه أبو بكر ﵁، وستة من العبيد، وأعتقهم لوجه الله[١].

٤-الأخذ بمبدأ التخصص في العمل العام، والأعمال الدعْوية، فيقوم أنسب الرجال للعمل بأدائه. فالنجاشي عندما طلب من جعفر بن أبي طالب أن يسمع آيات من القرآن، اختار جعفر لهذه المهمة عثمان بن مظعون لأنه أقدر منه على أدائها:

النجاشي: أسمعوني قرآنكم فيقيني أن فيه هداية ويقينا
جعفر لعثمان بن مظعون:
هات -عثمان- ذكْر عيسى ورتل وحى قرآننا بيانا رصينا
أسْمع القوم آىَ "مريم" يظهر كيف نشدو بذكرها ما حيينا
(يسود الصمت، ويتلو عثمان صدرا من سورة مريم)[٢]

٥-الإيمان الوثيق وحسن النية، والعزيمة الصادقة.. كلها صفات نفسية تقود إلى الفوز والنجاح.

---

(١) المسرحية ١٨-١٩.
(٢) المسرحية ١٩-٢٠

٢- عمر والعجوز الواقعة والدلالات

هى واقعة مشهورة فى سيرة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، مع وقائع شبيهة تدل على رحمة عمر، واهتمامه بالرعية، ومعايشته آلامهم، وحرصه على التخفيف عنهم بأقصى ما يستطيع. وهى مروية على لسان خادمه "أسلم" قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى حرة "واقم" حتى إذا كنا "بصرار"[١] إذا نار... فهرولنا فإذا بامرأة معها صبيان، وقدْر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون[٢]. فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء.. فقالت: وعليكم السلام.. فدنا منها فقال: ما بالكم؟ قالت: ضربنا الليلُ والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت الجوع. قال: أى شىء فى هذا القدر؟ قالت: ماء أُسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر. قال: أىْ رحمك الله، وما يدرى بكم عمر؟ قالت يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟!!.

قال أسلم: فأقبل على، فقال: انطلق بنا. فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا[٣] من دقيق، وكُبة[٤] من شحم، فقال احمله على. فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزرى يوم القيامة؟ لا أم لك.

فحملته عليه، فانطلق، وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها ذُرِّى على[٥]، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها. فقال: ابغنى شيئا. فأتته بصحفة، فأفرغها فيها، فجعل يقول لها: أطعميهم، وأنا أسْطَح لهم[٦].

فلم يزل حتى شبعوا. وترك فضْل ذلك. وقام وقمت معه.

فجعلتْ تقول: جزاك الله خيرا، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين.

فيقول: قولى خيرا، إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله.

ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها، فربض مربضا[٧]، فقلتُ: لك شأن غير هذا؟[٨]

---

(١) بئر قديمة أو جبل على بعد ثلاثة أميال من المدينة.

(٢) يتضاغون: يصيحون ويبكون.

(٣) العدل: الكيل.

(٤) قطعة كبيرة..

(٥) ذرِّى على أى رشى الدقيق فى الإناء ليحركه مع الماء والشحم.

(٦) أسطح لهم: أبسطه حتى يبرد.

(٧) أخذ مكانا بعيدا عن المرأة وأطفالها دون أن يشعروا به وهو يراقبهم ليرى ما يسفر عنه عمله.

(٨) هل هناك عمل آخر ينتظرك؟

فلا يكلمنى، حتى رأيت الصبية يصطرعون[1]، ثم ناموا، وهدأوا.

فقال يا أسلم، إن الجوع أسهرهم، وأبكاهم، فأحببتُ أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت[2].

والقصة تبرز أهم السمات والأبعاد المعنوية للخليفة عمر ﷺ، وهى سمات تتدفق بالمثالية: عدلا ورحمة، وشعورا حيا صادقا بالمسئولية، ومشاركة الرعية فى محنهم، وأزماتهم، وقيامه بنفسه بدفع الكرب الذى ينزل بهم، ومعالجة آثاره:

١-فهو يتجول ليلا يعس، يتحسس مشكلات الناس، قاطعا طرقات المدينة، وما بعدها من الأطراف التى تبعد عن المدينة بأميال.

٢-وهو يصر على أن يحمل الدقيق والشحم بنفسه إلى موقع المرأة وأطفالها الجياع. ويرفض أن يقوم بهذه المهمة عنه خادمه "أسلم" على بعد المسافة بين بيت الدقيق والمكان المقصود.

٣-وهو يشارك الأم العجوز فى الطبخ، وغرْف الطعام للأطفال، ولم يغادر إلا بعد أن أكل الصغار، وشبعوا. ثم أخذ مكانا يراقب منه المرأة وأولادها دون أن يشعروا به، ولم ينصرف إلا بعد أن نشط الأولاد، واطمأنوا، وناموا.

٤-وقبل كل أولئك، رأينا عمرلبقا، يراعى أدب الحديث فحيى العجوز بقوله "السلام عليكم يا أهل الضوء" ولم يقل "يا أهل النار".

وإذا كانت مسرحية "الهجرة الأولى" تعد من تمثيليات "الموقف أو الحادثة"، فإن مسرحية "عمر والعجوز"[3] أدخل فيما يسمى "تمثيلية الشخصية"؛ فالهدف الأساسى منها تقديم صورة الحاكم الذى يعايش رعيته فى سرائهم وضرائهم، ويؤدى أمانة الحكم بصدقية وإخلاص. وقد صرح الشاعر بهذا المغزى فى قوله:

هُم الحكامُ لن يحيَوْا بخيرٍ ... إذا بات الرعيةُ ساغبينا
إذا المحكوم عاش بخير زادٍ ... ففى هذا هناء الحاكمينا[4]

---

(١) يلعبون بالتصارع لشعورهم بالسعادة.

(٢) حتى أرى أثر ما قدمت لهؤلاء، انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٠-٢١ (دار المعارف- القاهرة- ١٩٧٧)، وابن الجوزى: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٩٦-٧٠ (دار الكتب العلمية- بيروت ط-٣-١٩٨٧.)، وعلى وناجى الطنطاوى: سيرة عمر بن الخطاب: ٢٠٦-٢٠٧ (المكتبة العربية – دمشق.د.ت)

(٣) المسرحية من نظم محمد يوسف المحجوب (المدرس بمدرسة مصر الجديدة الأميرية. وهى من ١٦ صفحة (مكتبة مصر بالفجالة- القاهرة- ١٩٤٥).

(٤) المسرحية ١٥.

واهتماما بهذا المغزى، وحرصا على إبراز صورة الحاكم المثالى لم يلتزم الشاعر الواقع التاريخى التفصيلى إلا فى بعض خطوطه العريضة، بأسلوب محرر أباح لنفسه فيه الانطلاق التعبيرى، مفارقا بذلك منهجه فى "الهجرة الأولى". وقد رأينا موقف الشاعر من خطبة جعفر بن أبى طالب فى حضرة النجاشى، فقد كررها -شعرا- فى مضمونها، وفى كثير من ألفاظها.

ويكاد ينحصر الالتزام القليل بمسرحية "عمر والعجوز" فى المواقف الآتية:

١-ما جاء فى الجزء التالى من القصة:

من قول أسلم: "فدنا منها عمر، فقال ما بالكم؟ قالت.. (إلى).. قالت يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟!!"

ترجم الشاعر هذا الموقف فى الحوار التالى:

عمر "متنكرا":

	يا أمَّ معذرةً إذا سرنا إلى	ناديك نسعى فى دُجَى الإظلام
	أَوَ تسْمحين لنا فنسأل ما الذي	أجرى الدموعَ وفاض بالآلام؟
الأم:	أطفالى الجوعى أخادعهم بما	فى القدْر من حجر لفقدِ طعامِ
	لا زاد فى دارى، ولا قلبا أرى	فى الدهر يرعى أو يصون زمامى
	الله فى عمر الخليفة إنه	قد فاتنا للبؤس والإعدام
	لو أنه يرعى الرعية مثلما	شاء الإله لكان خيرِ إمام(١)

٢-ولما طلب منه خادمه أسلم أن يحمل عنه الدقيق والشحم من دار الدقيق إلى العجوز، أصر عمر على أن يحمل ذلك بنفسه، وقاله له "أنت تحمل عنى وزْرى يوم القيامة؟" وفى المسرحية جاء ذلك فى الحوار الشعرى التالى:

أسلم:	خليفةَ الله دعنى	أقمْ ببعض نصيبى
	سأحمل الحملَ حتى	أريحكم... من لُغوب
	فللإمام وقار	ومنزل فى القلوب
عمر (ممتنعا):	يا أسلم اسكتْ ودعنى	ولا تزد فى خطوبى
	إن رحت تحمل عنى	عبئى وترعى مشيبى
	فمن سيحمل عنى	عند الإله ذنوبى

(١) المسرحية: ٧-٨.

سأحمل العبء مهما آذى وأضنني جنوبى[1]

٣-ولما انتهى عمر من مهمته قالت العجوز: جزاك الله خيرا، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين.

فيقول عمر: قولى خيرا، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله.

وفى المسرحية جاء الحوار التالى:

الأم: سوف يجزيك إلهى برَّهُ سوف يعطيك جزاء العاملينْ
لو وَليتَ الأمر فينا سيدى!! أنت أولى من أمير المؤمنين
عمر(متنكرا باسما): انطقى خيرا وصونى "عمراً" إنه يرعى البرايا كل حين
إن تزوريه ترَيْنى دائما عنده أقضى حقوق المسلمين[2]

الحوار والحركة النفسية

وفى المسرحية حركة نفسية موفقة، وفى الحوار حيوية ساعد عليها التحرر الفنى فى الأداء التعبيرى، وإن كنا نأخذ على الشاعر مخالفته للواقعية اللغوية أحيانا فجاء قليل من الحوار غير متسق مع المستوى العقلى للشخصية، فقد جاء على ألسنة الأطفال الجوعى ما يعد أعلى من مستواهم العقلى فى الأداء اللغوى، وذلك مثل:

تريدين النعاسَ لنا؟ محالٌ وكيف ينام جوعان الضلوعِ؟[3]
أمى أكاد أموت جوعا أمى ارحمى منى الضلوعا[4]
(بعد الطعام) -نحمد الله على إنعامه ونحيى من غذانا بالحنين.[5]

فواضح أن "جوعان الضلوع" وطلب "الرحمة للضلوع"، والتغذية بالحنين "تعبيرات استعارية لا تتفق مع لغة الأطفال العفوية البسيطة.

٣- بين خوفو والفاروق[6]

(تمثيلية وطنية) "بين خوفو والفاروق"

- تمثيلية حوارية ثنائية الشخصيات:

---

(١) المسرحية:١١

(٢) المسرحية ١٣.

(٣) المسرحية: ٥

(٤) المسرحية:٦

(٥) المسرحية ١٣

(٦) المسرحية فى ديوان (البواكير) لعبد الحكيم عابدين٨٣-٨٦.

فكلها حوار بين شخصيتين: شخصية "فاروق "ملك مصر فى الحاضر، و"خوفو" فرعون مصر، بانى الهرم الأكبر، ورمز مجدها القديم.

وهذه التمثيلية أعدت -كما يقول ناظمها- لتمثل فى حفلة "أسرة خوفو" من تلامذة الفصول التجريبية "بمعهد التربية".

وهى مجرد حوار موزع بين الشخصيتين بأسلوب مباشر خلا من الحبكة والتعقيد الفنى، وهى مناسبة فى لغتها وأفكارها للمستوى العقلى واللغوى للتلاميذ الصغار الذين قاموا بتمثيلها. فالحوار يمضى على النسق الآتى:

فاروق:

سلامٌ جدى الأعلى وإكبارٌ وإجلالُ
وكم شوق بنا يجلى فهل لعلاك إقبال؟

خوفو

عليك تحيتى تتلى بُنىّ وفيك أختال
فخذ بالخطة المثلى ففيك لمصر آمال[1]

ويمضى "خوفو" مستنهضا همة الملك الشاب أن يعيد أمجاد الفراعنة الذين كانوا "ليوث البوادي"، وكانت دماؤهم نارا على عدو البلاد:

فعشْ لأبناء مصر ملكا رفيع العماد
واتبع سبيلى واحفلْ بسائر الأجدادِ[2]

ولكن "فاروق" مع إيمانه بكل ما قاله، ووجهه إليه خوفو يرى أن يجمع إلى اعتزازه بالفراعنة اعتزازه بأجداده العرب، ويستدعى أقباسا من تاريخهم وأمجادهم:

فإن فخرتُ بجدى فرعونَ ذى الأوتادِ
فكم أعزُّ بأنى سليلُ عُرْبٍ بوادي
كفاهم الدهر فخرا وحسْبهم من أيادي
أن جاء فيهم نبيٌّ يدعو لسبْل الرشاد
يهدى الغواة وأنعمْ بأحمدٍ من هاد[3]

---

(١) المسرحية ٨٣.

(٢) المسرحية ٨٤

(٣) المسرحية ٨٥.

ويشير الفاروق إلى أنه يقتدى بصحابة رسول الله ﷺ، من أمثال عمرو بن العاص، والمقداد بن الأسود، والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهم:

وأقتدى فى يقينى (بعمرْو) و(المقدادِ)
أقيم عهد سميى فى العدل بين العباد
وعن أبى حفصٌ أحيى مناهجَ الإسعاد[1]

وتتغلب العاطفة الدينية، والاعتزاز العروبى عند الشاعر، فينطق خوفو بقوله:

لو أننى أدركتُ عهد (محمد) لجعلتُ شرعته لمصر شعارا
أو كان إخوانى شهودَ حياته لغدوْا له الأعوانَ والأنصارا
ما كان فرعون ليسجد قط للـ أصنام أو يزجى لها الأحرارا

٤- رابطة القبر[2]

(تمثيلية الصوت الواحد)

نظمها عبد الحكيم عابدين، وأهداها للشيخ سلامة العزامى إمام الطريقة النقشبندية. وكتب فى تصديرها: "من ضروب الذكر عند السادة النقشبندية أن يغمض الذاكر عينيه، ويتخيل أنه مرض مرضا أفضى به إلى الموت، فخلعتْ ملابسه للغُسل، ثم ألبس الكفن وحُمل على النعش، فسار به الناس حتى أودع القبر، حيث لا ينفعه مال ولا جاه، ولا يؤنسه من وحشة القبر إلا عمله الصالح فى الدنيا.

عند ذلك يخشع قلب المرء، ويندم، ويصر على العمل الصالح، ويكون ذلك سبيلا إلى التوبة.

ويسمون هذه الحالة المتكررة كل يوم "رابطة القبر".

وقد يذكرنا هذا المعروض بالمسرح الذهنى، وإلى حد ما، بمسرح "اللا معقول"، غير أن الحوار كله لا يصدر من شخصيات متعددة إنما هو لون من الحوار الداخلى، أو البوح الذاتى يصدر من شخصية واحدة هى شخصية "المريد المتصوف" فى سياحة غيبية تمرّ بالمراحل الآتية:

المرض الأخير- سكرة الموت- الغُسل- الكفن- النعش، المدفن- وحشة القبر- اليقظة.

---

(١) المسرحية ٨٥

(٢) عبد الحكيم عابدين ٤٩-٥٤ من ديوان "البواكير" (دار الصاوى- القاهرة- ١٣٥٥-١٩٣٧).

ويقف هذا المريد أمام كل مرحلة من هذه المراحل، واصفا إياها فى دفق روحى شفاف إلى أن يخلص من هذه السياحة إلى المغزى المنشود منها، وذلك فى آخر مرحلة وهى اليقظة:

فى بداية هذه التجربة الصوفية يتحدث صاحبها عن "المرض الأخير" مستهلا بالأبيات الآتية:

حتّام أشكو الداءَ والأوجاعا   وإلام تنساب الهمومُ تباعا؟
أوَ هكذا الأمراضُ تعبث بالفتى   وتخونه عزماتُهُ فتداعى؟
رباه إن الداء أثقل مهجتى   فغدت حطاما باهتًا ورقاعا

وبعد حديثه عن سكرة الموت، والغسل، والكفن يقول فى "النعش":

الآن أُودَعُ آلةً حدباءَ لا   تدع القوى ولا تهاب شجاعا
يلتفّ بى آلٌ وصحب كلهمْ   يشرى ولو بالروح لى إرجاعا
عبثا تمنوا لا مفرَّ إذا أتى   أجلٌ ولو ذخروا البلادَ قلاعا

....

ومما قاله عن المدفن:

الآن يرسو النعشُ بى متثاقلا   بين المقابر حائرا مُلتاعا
فليحفُرُنَّ القبرَ، لا يتردّدوا   وليفرشوا لى بالدعاء القاعا

....

وفى لوحة من عشرين بيتا جاء حديثه عن "وحشة القبر" وهى تصلح أن تكون قصيدة مفردة، وقد جاءت أعمر أبياته بالوجدان وتدفق الشعور. ومما جاء فيها.

فتلقنى يا قبر وارأف بى وخفـ   ـضمة لك تحطم الأضلاعا
ما بال قبرى ضيقا حُرم الهوا   ـف وأبتْ عليه النيراتُ شُعاعا؟
مالى وحيدا لا أرى بجوانبى   فى القبر أصحابا، ولا أتباعا؟
....
أكذا يكون الأتقياء فويلتى   ما بال غِرٍّ للفروض أضاعا؟!
قد أشفق الأخيار من حشر فكيـْ   ـف بمن أناب لنفسه وانصاعا؟
ذو البر مبتئس فكيف بمذنب   قد لجّ فى شهواته إفظاعا؟

ويختم آخر المراحل "اليقظة" وهى المرحلة التى يعود فيها إلى الدنيا بعد هذه التجربة الروحية الغيبية المقصودة.. وجاء هذا الختام بهذا المغزى الحاسم:

حسْب الجهول مُؤدبا ذكْر البِلَى | أغلظ به وعظًا لنا ردًّاعا
ألفيتَ فيه الأتقياءَ وقد خشوا | هولَ الحساب وزُلزلوا إفزاعا
ورأيت رأى العين ما يغنيك عن | وعظٍ ويصقل للنفوس طباعا

وهذا الارتباط العملى بالقبر يعد ملمحا من ملامح التربية الروحية عند المتصوفة[1].

وهذه القصيدة التمثيلية جديدة فى موضوعها، متسقة منتظمة فى أفكارها، وهى متكاملة العناصر، وفق الشاعر فيها فى معايشة كل مراحل الحضور عند النقشبندية، مما يدل على قوة التمثل عنده.

وجاء هذا الحوار الداخلى –الذى دار فى حدود الذات الأحادية– متنوعا فى الحركة النفسية من جانب، وفى أساليب الأداء التعبيرى من جانب آخر، ما بين خبر وإنشاء والتفات، وتصوير بيانى يعتمد على التجسيم والتشخيص.وكل أولئك ينم على حس صوفى مرهف عند الشاعر[2].

٥- انتصار

(من المسرح السياسى) لعبد الحكيم عابدين

كان عبد الحكيم عابدين الطالب بكلية الآداب –جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) –يعتز بعميدها الدكتور طه حسين، ومن شعره فيه قصيدة بعنوان (الليث أولى بعرينه)، نظمها بعد عودته إلى الجامعة بعد إبعاد، وفيها يقول:

من للعرينةِ غير الليث يحميها | من للكمائم إلا الزهر يَحليها؟
من للبدُور سوى الجوزاء تسكنها | من للسماء سوى الأقمار تأويها؟
ومن لأفئدة الأبناء غير أب | ومن له غيرهم يزهو بهم تيها؟

وختمها بقوله:

(كلية الأدب) الزهراء غرسك يا | (طه) وأنت بكُرْه الدهر جانيها

---

(١) كتب الإمام الشهيد حسن البنا: .. كان لأخينا فى الله الشيخ محمد أبو شوشة –التاجر بالمحمودية– فضل فى التربية الروحية، إذ كان يجمعنا عشرة أو نحوها، ويذهب بنا إلى المقبرة حيث نزور القبور، ونجلس بمسجد الشيخ النجيلى نقرأ الوظيفة، ثم يقص علينا من حكايات الصالحين وأحوالهم ما يرقق القلوب، ويسيل العبرات، ثم يعرض علينا القبور المفتوحة، ويذكرنا بمصيرنا إليها. وقد يأمر بعضنا بالنزول فيها، والاضطجاع لحظة يتذكر فيها مصيره إليها ، وظلمة القبر ووحشته، ويبكى فنبكى معه، ثم نجدد التوبة فى خشوع، وحرارة واستحضار عجيب،وندم وعزم (مذكرات الدعوة والداعية ٢٦-٢٧ الزهراء للإعلام العربى- القاهرة ١٩٩٠).

(٢) انظر قصيدة عابدين نزعة صوفية فى ديوانه(البوكير) ٤٤-٤٧

أُبعدتَ عنها زمانا ردّ حالتها كالروضة امتقعت من بعد ساقيها

واليوم عاد زمانُ الحق منتصرا فليأخذ القوسَ رغم الظلمِ باريها[1]

ومضمون هذه القصيدة الغنائية التى تمجد طه حسين، وتمدحه، وتعلى من شأنه ومقامه، هو الذى يسيطر على التمثيلية الشعرية الطويلة، ذات الفصول الأربعة، وسماها عابدين (انتصار)[2]. وقد صدرها الشاعر بقوله: هى قطعة رمزية من الشعر التمثيلى، تصور إقصاء الدكتور طه حسين بك عن الجامعة المصرية، وفترة غيابه عنها، ثم إعادته إليها، يتخلل ذلك التعرض لبعض الأسباب السياسية فى إبعاده مع تصويره لبعض خصائص الدكتور وآرائه فى الحرية الجامعية، وصلة الطالب بالأستاذ، وموقف الفتاة فى الجامعة."

وكان الشاعر حريصا على أن تمثل هذه المسرحية فى أحد الاحتفالات باستقبال طه حسين وعودته إلى الجامعة بعد إقصائه عنها، ولكن أمله لم يتحقق.

كما أن الشاعر نشرها كما نظمها فى صورتها الأصلية، ولم يتحقق أمله فى إدخال تعديلات عليها، ومنها رجوعه عن بعض آراء طه حسين التى مجدتها التمثيلية، وخصوصا مذهبه فى نحل الشعر الجاهلى. والتمثيلية تعرض رؤية طه حسين فى واقع الجامعة، ووضع الطلبة والطالبات، والسياسة والأدب بعامة، والجاهلى منه بخاصة.

وتعرض رأى طه حسين فى الأدب الجاهلى، وخصوصا الشعر، فهو منحول فى نظره، وهو يعرض رؤيته مدعمة بأسانيده وأدلته النقلية والعقلية، ويعتبر ذلك "نظماً" لما كتبه -نثرا- فى كتابه "فى الشعر الجاهلي"، ثم غير العنوان إلى "فى الأدب الجاهلي". يقول الشاعر عبد الحكيم عابدين على لسان طه حسين متحدثا إلى بعض طلاب كلية الآداب عن الشعر الجاهلى ونحله:

ودونكم شعرهم فى دقة فلكم به دليل على ما قلت أو مثلُ

انظر لرقة هذا البيت متئدا أذاكَ يُعزَى إلى الأعشى ونحتمل؟

"ودع هريرة إن الركب مرتحلُ وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟"

الطالب "مقتنعا": حقا.

د. طه:

إنى يُدعّم هذا الرأى عندى تجـ ريح الرواة الألى للشعر قد نقلوا

---

(١) البواكير ١٠٦.

(٢) السابق ١٠٧-١٣٢

كانت دوافع من دين ومن خلق ... مع السياسة تغريهم بما فعلوا
ومن عوامل نحل الشعر عندهمُ ... تعصبٌ قبلىّ ليس يحتمل
قد يمسخ الشعر راوٍ إن أريد به ... هجاء قوم لهم يُنمى ويتصل
إلا 'زهيراً' فلم تجرح قصائده ... ولم يشُبْ شعره -فيما أرى- دَخَلُ

وما عرضناه -شأن أسلوب التمثيلية- يمثل جدلا منطقيا ذهنيا ليس فيه من الشعر إلا الوزن والقافية[1].

الشخصيات

وشخصيات المسرحية كلها تاريخية حقيقية معاصرة لطه حسين، وهى: صدقى باشا رئيس الوزراء، ومؤسس 'حزب الشعب'، وأحمد لطفى السيد مدير الجامعة، وحلمى عيسى باشا وزير المعارف، ثم نجيب باشا الهلالى الذى أعاد طه حسين إلى الجامعة[2]. وشخّص الشاعر 'الجامعة، فكان لها حضورها المحورى فى الحوار، زيادة طبعا على الطلبة والطالبات.

وفى التمثيلية بصمات سياسية واضحة، منها ما يظهر فى حوار بين 'صدقى باشا' رئيس الوزراء والجامعة، وبينه وبين طه حسين، نقتطف منه الأبيات الآتية:

الحاجب: (الذى يعلن عن حضور صدقى إلى الجامعة) ... رئيس الحكومة

الجامعة: ما جئتنا ... هنا اليوم إلا لأمر شديد
صدقى باشا: أجل قد أتيتُ لشأن خطيرٍ ... أرى نيله منك غيرَ بعيدْ
الجامعة: إذا كان ذلك فى طاقتى ... وإلا فمن لا يجدْ لا يجود
صدقى: علمت بقوتى وعظيم آدي ... وكيف أخفتُ أنصار الجهادِ
وكيف بطشتُ بالأحرار لما ... مضوْا عنى ولجّوا فى العناد

---

(١) من الآراء التى عرضتها التمثيلية لطه حسين ذهابه إلى أن الشعر الجاهلى منحول لأسباب سياسية وقبلية ودينية وفنية، وإيمانه بالمساواة بين الطلبة والطالبات فى الاختلاط وعضوية الاتحاد الجامعى، وغيرها.

(٢) انظر (النظارات والوزارات فى مصر: الجزء الأول من ٢٨ أغسطس ١٨٧٨-١٨ يونية ١٩٥٣) من ص٣٥-٣٨، ومن ص٥٤١-٥٤٤. (جمع وترتيب: فؤاد كرم: الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة- طـ٢-١٩٩٤. هذا وقد تولى صدقى باشا رياسة الوزراء مرتين (من ١٩/ ٦/ ١٩٣٠ إلى ٢٧/ ٩/ ١٩٣٣).
وقد أثار كتاب طه حسين عليه حملات متعددة وانبرى عدد من النقاد ينقضون آراءه. وقد طرد من الجامعة، ولم يعد إليها إلا بعد سقوط حكومة صدقى (ارجع إلى: عبد المتعال الصعيدى: القضايا الكبرى فى الإسلام ٣٩١-٤٠٠) مكتبة الآداب -القاهرة. وكذلك: جابر قميحة (منهج العقاد فى التراجم الأدبية ٤٩-٥٦) مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٨٠.

الجامعة: لَدّا شيء يبغضكم إلينا ويجعل كرْهَنا لك فى ازدياد

صدقى: أبدتُ ٱلوفدْ

الجامعة: إن الوفد باق أعزّ شريعة بأعز وادي

صدقى: دعى هذا لقد أسستُ حزبا ويدعى (الشعب) يضم من الكرام ذوى الأيادي

الجامعة: منه الشعب يْبرا

صدقى: أخاف عليك عاقبة التمادي

صدقى: (وهو يبرز جريدة الشعب)

وتلك (جريدتى) سيكون (طه) محررها لتنهض بالبلاد

ويتجه صدقى بعد ذلك بالحديث لطه حسين:

تعال محررا (بالشعب) واسأل تجبْ ما شئت عندى من مراد

دكتور طه حسين (فى أنفة):

معاذ البر لست أبيع رأيى ولا بالكون يصبح فى قيادى

لَبَتْرُ يدى –ولا أعصى ضميرى– أحبّ –ولا مراء– إلى فؤادى

وما مثلى، ولا أمثالُ مثْلي لمثلك ناصرين على الفساد

فرمْ غيرى على الإرهاق عوْنا حسابُك فى غدٍ فاحذر عنادى

ويستمر مسلسل الرفض من طه حسين، فهو يرفض ما جاء يطلبه حلمى عيسى باشا وزير المعارف، وهو فصل الطلبة عن الطالبات، وإلغاء اتحاد الطلبة. وأمام هذا الإصرار الرافض يأمر الوزير طه حسين بترك الجامعة، فتظهر الجامعة مرتدية ثياب الحداد. ويشاركها الطلاب حزنها مظهرين نقمتهم وثورتهم.

وقفة نقدية

وهذه التمثيلية –تقترب– إلى حد ما من المسرح المدرسى، وهى –كما ألمحنا– لا تزيد على كونها مجموعة من اللوحات المتراصة التى تتسع لعدد من الإسقاطات السياسية والثقافية الصريحة المباشرة، بأسلوب أقرب إلى ٱلنظمْ منه إلى ٱلشعرْ، والأحداث تمضى بطيئة متثائبة مملة، والصراع خارجى سطحى.

وفى التمثيلية إسراف وغلو وسذاجة فى التصوير "والتشخيص"- أى رسم أبعاد الشخصيات- مما يصطدم بالعقل والواقع المشهود. فالمعروف مثلا أن الحاكم الظالم -فى أى موقع، وأى بلد كان- يصف الخارجين عليه، الثائرين على حكمه الغاشم، بأنهم خونة، وأنهم أعداء الشعب، وأنهم من دعاة الفتنة. ولكننا رأينا صدقى باشا -نمر السياسة المصرية كما يصفه من كتبوا عنه -يصف- بسذاجة واضحة- هؤلاء بأنهم مجاهدون أحرار، فيذكر للجامعة "كيف أخاف أنصار الجهاد" وكيف "بطش بالأحرار"، وأنه "أباد حزب الوفد" ليحل محله "حزب الشعب" الذى أنشأه.

ومن التطرف التصويرى كذلك أن الشاعر عرض شخصية طه حسين متسنما قمة المثالية قدرة وعزما وإرادة وتصميما وإدارة وثقافة، كما جعل من كتابه درة عصماء، وثروة أدبية ونقدية لا تبارى.

أما الأداء التعبيرى فمثقل بالتكلف المقيت، مما يقرب التمثيلية من الأداء النثرى، كما قلت آنفا.

وصفوة القول أننا نرى من الصعب أن ننسب هذه التمثيلية للفن المسرحى بعناصره الدرامية المعروفة. كما نستنتج أن الشاعر كتبها قبل انخراطه فى جماعة الإخوان المسلمين، والتزامه بفكرهم، ونهجهم الإسلامى.

الفصل الثالث: فن الأوبريت[1]

كان عبد الباسط عبد الرحمن – شقيق الإمام الشهيد حسن البنا مكثرا من هذا اللون[2] منها: القائد المنتصر: إبراهيم باشا (٩-١٥)- الجندى المجهول (١٦-٢١)- مجد العروبة (٢٢-٢٨)- إكليل الغار (٢٩-٣٣)- الأنشودة الفائزة (٣٤-٤١)- نشيد المبرة(٤٣-٤٧). وفى ديوانه بالعامية: أوبريت:معجزة الزمان (٤٨-٥١) وأوبريت: الزمان يتكلم (٥٢-٥٤).

وواضح أن هذه الأوبريتات –وقد استغرقت الديوان كله- تعالج موضوعات متعددة: تاريخية، ووطنية، وعربية واجتماعية، وفنية.

وحتى نتعرف على طبيعة هذا الفن وأبعاده عند الشاعر نعرض لإحدى هذه الأوبريتات، وهى "أوبريت مجد العروبة"[3]، والأوبريت استقر مفهومه عرفا على أنه "مزج فنى من الشعر والنثر، ويكون فيه حظ الشعر أوفى".

يستهل الشاعر الأوبريت بعبارات نثرية بليغة، بدأها بالسطور الآتية:

"آية كتبها رب المشرق والمغرب على صفحة من نور.. العروبة.. العروبة، أنشودة الزمان على مر الأيام، ووديعة الآمال فى ذمة التاريخ... إنها تطل من سماء عليائها التى أظلت الشرق وبلاده..."

ثم ينبعث صوت شعرى فى هيئة نشيد مصبوغ بنبرات بدوية:

---

(١) الأوبرا: اسم أعجمى، يراد به رواية غنائية، تعتمد على الغناء فى حوار المسرحية، مع مصاحبة الآلات فى أكثر فصولها.

وعرفوا الأوبريت بأنه لفظ أعجمى يطلق على رواية غنائية (فكاهية غالبا)، يتخللها التمثيل والحوار المسرحى فى الأجزاء التى تربط فصولها الغنائية، ولا يلتزم فيها الاعتماد على التلحين الغنائى جملة، كما فى الأوبرا. وهى تحتوى على أجزاء تمثل بلغة الحديث، وبدون أشعار. انظر فى هذا الموضوع:

- معجم مصطلحات الأدب: مجدى وهبة:٣٦٨-٣٦٩.
- الموسوعة العربية الميسرة:٢٥٣ (طبعة دار الشعب- القاهرة١٩٦٥).
- الموسوعة الثقافية ١٤٨- إشراف د. حسين سعيد مؤسسة فرانكلين- القاهرة ١٩٧٢.

وفى العربية –فى العصر الحديث بخاصة- رأينا لفن الأوبريت حضورا أكثر من الأوبرا، لأن الفن الثانى أكثر تكلفة، ويحتاج أداؤه إلى إمكانات فنية وصوتية كبيرة. وفى العرف الأدبى نرى "الأوبريت" مزجا من الشعر والنثر وإن كان للشعر الغلبة.

(٢) وذلك فى ديوانه: تحت راية الفاروق (دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة- د.ت).

(٣) الديوان ٢٢-٢٨.

حـــيٍّ العروبــــة حـــىْ | حـــى العـــلا بـــسماه
مخـــلا جمـــال الـــضىْ | أنعـــــم بنـــــور الله
أنعـــــم بنـــــور الله | حـــى العروبـــة حـــى

....

....

الفخــــر بعـــــد الفخــــر | يزهــــو مـــع التيجـــان
والنـــــصر تلـــــو النــــصر | حييـــــت يـــــا فرســـــان
أى المحافـــــــــــل أىْ | وافـــــــاك نـــــــصر الله
أنعــــــم بنـــــور الله | حـــــيٍّ العروبــــة حـــىْ

ثم ترفع العروبة صوتها منادية:

أيها العرب... تألبت عليكم شعوب طامعة، وهضمت حقكم دول جائرة، أضمرت لى الأذى، محاولة إيلامى فى أختكم فلسطين عندما صرخت فى وجهى.

(بعد فسحة من الموسيقى):

فلسطين:أماه إن شرف نسبى إليك يا أماه، واحتمائى بمجدك العظيم جعلنى أتحمل من أذى البشر –لا بل من عبث الشياطين– ما أنقض ظهرى، وأدمى قلبى.

قد سعت للشر والطغيان عصبةْ | ما لهم عيش على أرض المحبَّةْ
هم على الدنيا شياطين ونكبةْ | هالهم أنى بمجد الله خصبةْ
قد ضممت المصطفى الهادى وصحبهْ | فى جناحى سبَّح المختارُ ربَّهْ

وتوجه العروبة حديثها –نثرا وشعرا– إلى فلسطين محاولة التخفيف عنها.

وبعدها ينطلق "نشيد الجهاد المقدس إلى فلسطين":

إلى فلسطين انهضوا واعقدوا الرحالْ | دعت حماة مجدها لساحة القتالْ
وإنما تصونها عزائم الرجالْ | إلى فلسطين انهضوا واعقدوا الرحال

وبعد انتهاء النشيد تواصل العروبة حديثها:

... والله الذى لا إله إلا هو لن تغلبوا من قلة...

فإن معكم قوة الله التى لا تغلب، وجنده الذى لا يهزم...

ناديتُ باسمِ الحقِّ فرسانى ومن يفدينى

فرأيتُ أبنائى ليوثَ الحرب حول عرينى

إن اتحادكمو الوثيق على الزمان مُعينى

ثم يأتى نشيد حماة العروبة ومطلعه:

يــــا عروبـــــة اســـــلمى فـــــاز جيـــــشُك اســـــلمى
النـــــداء فـــــى فمـــــى والفـــــداءُ فـــــى دمـــــى

يا عروبة اسلمي

ثم يختم الأوبريت بنشيد (صوت الفتى الشرقى):

يــــا عروبـــــة اســـــلمى يــــا عروبـــــة اســـــلمى
عنـــــد ذروةِ العــــــلا نلـــــتُ قـــــدر أســـــهمى
وانطلقـــــــت هاتفــــــا والفـــــداء فـــــى دمـــــى
دعـــــوة... يكنهـــــا مـــــن إليـــــك ينتمـــــى
دمـــــت رمـــــزَ وحـــــدة بالإلـــــــه تحتمـــــى
صـــــان عرشـــــك الـــــذى قـــــال باسمـــــه احكمـــــى
يــــا عروبـــــة اســـــلمى يــــا عروبـــــةُ اســـــلمى

وبالاستقراء نرى أن "الأوبريت" هو أقل الفنون وجودا فى أدبيات الإخوان، وقد يرجع ذلك إلى ما يحتاجه هذا اللون من إمكانات فنية وأدبية راقية متنوعة، بعكس "الأناشيد" التى أكثر منها الإخوان نظما وأداء. وفى الصفحات الآتية نقف ونعيش معها.

***

الفصل الرابع: الأناشيد

تمهيد

عرّفت الموسوعة العربية النشيد بأنه صنف من الأقاويل المنظومة فى صفات الشجاعة والوطنية، وكذلك فى أعمال المهن الخاصة، ويوضع النشيد لغرض ما، وقد يكون فى الغزل. والتلاحين التى تصنع فيها النشائد يكون إيقاعها -أكثر الأمر- من الهزج والخفيف، ونغمها من جنس الراست أو الجهاركا.

والنشيد غير الأنشودة، فهذه صنف من الأقاويل التى تنظم أصناف الأهازيج فى الأغانى، وأكثرها فى الغزل. وكلاهما قد يكون الغناء فيه منفردا، أو بمصاحبة الآلات، وقد يكون جماعيا كذلك. وأصبح لكل دولة نشيدها القومى الخاص بها[1].

وبأسلوب أكثر إبانة، واعتمادا على النظر الميدانى فى الساحة العربية يمكن أن نعرف النشيد بأنه "عمل شعرى منظوم على بحور قصيرة غالبا، وبلغة سهلة واضحة، يُتغنى به فرديا أو جماعيا، أو بالمشاركة (بين منشد رئيسى وكورس أى مجموعة). وذلك بآلات موسيقية، أو بدونها."

ولكل دولة نشيدها القومى الذى يعبر عن أمجادها وعزها وعظمة ماضيها وحاضرها وتطلعاتها وآمالها. ويعتبر النشيد القومى الفرنسى (المارسليز) من أشهر الأناشيد القومية حتى الآن.

كما أن النشيد قد يكون -بل غالبا ما يكون- فئويا، أى يكون نشيدا خاصا بجماعة، أو ناد، أو معهد، أو جيش، أو تجمعات كشفية: كشافة وجوالة، ومن الطبيعى أن تظهر فيه طوابع الجماعة أو الفئة، وفكرها، ومعتقداتها.

وللنشيد فوائد وآثار طيبة، من أهمها:

١- تدريب المنشدين على النطق السليم، والأداء اللغوى الصحيح.

٢- خلق الروح الجماعى، والارتقاء بالغريزة الاجتماعية.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٨٣٥(دار الشعب-القاهرة-١٩٦٥) وفى ص٢٤٥ كتبت الموسوعة عن الأنشودة أنها نشأت فى بلاد اليونان وهى عبارة عن قصيدة قصيرة تنشد مصاحبة إحدى الآلات الموسيقية وهى القيثارة - فى العادة. والكلمة نفسها (أنشودة) تشير إلى الخاصية الغنائية التى يتميز بها هذا النوع من الشعر. ومنها الأنشودات الدينية، وأنشودات الرعاة، وبعضها يتناول وصف المناظر الرعوية والريفية، ثم أصبحت محصورة فى الإنتاج الأدبى الذى يدور حول الموضوعات الرعوية.

٣- غرس الحماسة وروح الوطنية والقيم الخلقية والسلوكية بما يحمله النشيد من مضامين إنسانية وعقدية رفيعة.

٤- تحقيق الجانب الدعائى للشعب أو الجماعة لكثرة ترداد النشيد.

٥- تحقيق المتعة النفسية والعقلية.

الإخوان والأناشيد

لكل أولئك اهتم الإخوان بالأناشيد، وما زال اهتمامهم فى زيادة مطردة حتى أصبح لهم جماعات للأناشيد فى شُعَبهم. وارتبطت أناشيدهم -من ثلاثة أرباع قرن- بالطفولة والأطفال (الأشبال) والجوالة، والمناسبات الدينية والوطنية المختلفة، والتعبير عن فكر الجماعة ومنهجها التربوى.

وكانت أول مؤسسة للإخوان فى سبيل التربية الإسلامية الصحيحة بالإسماعيلية (معهد حراء) الذى تطوع عبد الباسط البنا (شقيق الإمام الشهيد) للتدريس فيه سنة ١٣٥٢هـ(١٩٣٢م). وأول ما حفظه تلاميذ هذا المعهد نشيد "نحن أبناء الرسول" لعبد الباسط. ونصه

نشيد المعهد

نحـــن أشـــبالُ حـــراءْ   نحـــن أبنـــاء الرســـولْ
بالتواصـــى والإخـــاء   ننـــشد المجـــد الأثيـــل

فى حمى هذا العرين
ننصر الحق المبين

فـــى رحـــاب الله جئنـــا   نطلـــب العلـــم المجيـــد
ربنـــا إنـــا قرأنـــا   باســـم خـــلاق الوجـــود

فى حمى هذا العرين
ننصر الحق المبين

طاعـــة الله عمـــادى   يـــا إمـــام الأنبيـــاءْ
إن تقـــوى الله زادى   والرضـــا منـــه الرجـــاءْ

فى حمى هذا العرين
ننصر الحق المبين[1]

---

(١) عبد الباسط البنا: الحق المبين فى أناشيد الإخوان المسلمين٣٦.

وعودا على بدء نذكر بأن الإخوان يرون أن الغاية من الأناشيد: إثارة الحماسة بقوتها وروحانيتها، وغرس المعانى الطيبة الممتلئة بها هذه الأناشيد فى نفوس الجوالة. لذلك وجب مراعاة الآتى:

١- فهم معنى النشيد ومراميه بوضوح تام.

٢- التأثر بهذه المعانى وتخيلها تماما.

٣- العناية بمخارج الألفاظ والنطق بها فخمة ظاهرة واضحة.

٤- مراعاة الدقة التلحينية للنشيد بضبط طبقات الصوت ونبراته.

٥- الإلقاء بقوة وحماسة وجرأة بحيث لا يتعارض ذلك مع التلحين.

٦- السير مع المجموعة فى الإلقاء، فلا يتقدم المنشد عليهم، ولا يتأخر عنهم وإذا أحس بخطأ يخفض من صوته فى الحال. ثم يستمر مع المجموعة بعد الإصلاح.

وبمراعاة هذه النواحى يبعث النشيد الحماس والإعجاب والإيمان فى قلوب الإخوان خاصة والناس عامة[1].

وقد تعددت موضوعات الأناشيد ومحاورها وفى الصفحات التالية نعيش مع ما نظمه الإخوان من أناشيد مختلفة.

***

(١) مقدمة رسالة الأناشيد (إدارة الجوالة العامة بالإخوان) وهى مختارات من أناشيد نظمها عدد من شعراء الإخوان المسلمين.

المبحث الأول: أناشيد الأطفال والناشئة

لعبد الحكيم عابدين اهتمام واضح بأناشيد الأطفال وأغلبها يهيمن عليه الطابع الوطنى، وذكر مآثر مصر ومعالمها كالنيل والهرم والعلم المصرى. ومن أناشيده: نشيد: إننى شبل الهرم[1] وقد استهله بالمقطوعة الآتية:

نحـــن فـــى صـــبح العُمُـــر — نفتـــدى مجـــد الـــوطنْ
ولمـــــصر نـــــدخرْ — كـــل عـــزم وقُـــوَى
همنـــــا أن تنتـــــصر — حـــرة طـــول الـــزمنْ

تحت أكنافِ العلمْ

ويدور فى الفلك نفسه نشيد "فليحى النيل"[2]. ومطلعه:

نحـــن الأشـــبالْ — نحمـــى الأوطـــانْ
ولنـــا آمـــالْ — فـــى المجـــد حِـــسانْ

وينهج عابدين النهج نفسه فى نشيد "فتاة النيل"[3] وقد ختمه بالأبيات الآتية:

فيـــا ابنـــة النيـــل لا — تـــدعْ يـــداك العَلَـــمْ
وأثبتـــى للمـــلا.. — إبـــاء بنـــتِ الهـــرم
فتـــاة مـــصر انهـــضي — لرفـــع مجـــد الـــوطنْ
إلى العـــلا يـــا فتـــاة — فقـــد دعـــاك الجهـــادْ
ولا تريـــدى الحيـــاة — بـــدون عـــز الـــبلادْ

ولكنه ينقل نشيد الأطفال نقله نوعية، فيصبغه بالطابع الإسلامى، ويعرض فيه القيم الإسلامية العقدية والسلوكية التى يجب أن يتحلى بها المسلم والمسلمة. وكل أولئك نراه فى نشيد "ابنة الإسلام"[4]، وهو يهديه إلى شقيقته الصغيرة. وفيه يقول:

يـــا ابنـــة الإســـلام قـــومى — فـــى حمـــى رب الـــسماءْ
ولـــه صـــلىِّ وصـــومى — فـــى خـــشوع وصـــفاءْ
املئـــى قلبـــك نـــورا — مـــن هُـــدى الـــدين القـــويمْ

---

(١) البواكير ٩٩ .
(٢) السابق١٠٠.
(٣) السابق ٩٨ .
(٤) البواكير ٦٠.

واجعلـــى الـــنفس طهـــورا بتُقَـــــى الله العظـــــيم

يـــا ابنـــة الإســـلام قـــومى ....

عــــاملى النــــاسَ بلـــينْ وأطيعــــــــى والـــــديكِ

واشـــكرى فــــى كـــل حـــينْ نِعـــــم اللهِ عليــــــكِ

يـــا ابنـــة الإســـلام قـــومى ....

أنـــت فـــى فجـــر حياتـــك للعــــــــلا تـــــستقبلينْ

فـــاتبعى فـــى خطواتـــك أمهــــــــاتِ المـــــؤمنينْ

ولشعراء آخرين أناشيد تربط، وتدور حول مناسبات إسلامية معينة كنشيد الهجرة للأشبال[1]. ومن كلماته:

أشــــــرقى بالأمـــــــانى يـــــا نجـــومَ الـــسَحرْ

واهتفــــــــى بالتهـــــــانى يـــــا طيـــورَ الـــشجرْ

هـــا هنـــا هـــا هنـــا هـــا هنـــا هـــا هنـــا

ها هنا مطلعُ الصباحْ

شـــارقٌ رفَّ فـــى الـــدجى حفّـــه النـــورُ والجـــلالْ

موكـــبُ الحـــق والهـــدى يتهـــــادى ع الرمـــــال

يـــــؤذّنُ الكـــونُ يـــــؤذن الكـــــون

يؤذن السكونُ فى الصباحْ

أشــــرقى بالأمــــانى..... ....

ومن فضول القول أن نذكر فى هذا المقام أن الأناشيد التى نظمها شعراء الإخوان للأطفال راعت مستويات السن والتفكير والتعلم، فكانت الموضوعات معروفة، يسهل على الطفل إدراكها.

كما كانت الأوزان قصيرة خفيفة، واللغة سهلة واضحة، كما كان الاهتمام واضحا بإبراز القيم الوطنية والدينية والاجتماعية فى أصولها السهلة المباشرة.

ومثل هذه الأناشيد يسهل تلحينها حتى بآلة مفردة، كما يمكن إنشادها –وهذا يحدث فى الغالب الأعم– بدون آلات موسيقية.

---

(١) رسالة الأناشيد٣٧.

المبحث الثانى: الأناشيد الوطنية

النشيد الوطنى أو القومى- أعنى به فى بحثنا هذا -النشيد الذى يجعل من مصر موضوعه الأساسى، افتخارا بأمجادها وآصالتها ومظاهر عظمتها ونهضتها، وحثًا لأبنائها أن يجاهدوا ويواصلوا مسيرة النجاح من أجلها. كما أن "العلم المصرى" -ذا الهلال والنجوم الثلاث واللون الأخضر، وهو رمز للبلاد -حظى بعدد من الأناشيد. أو تكرر ذكره فى الأناشيد الوطنية فى سياقة النشيد.

والعلم لا يُذكر لذاته، ولكن كرمز ومدخل للقيم الوطنية كما نرى "نشيد العَلَم" لعبد الحكيم عابدين[1]، ومنه الأبيات التالية:

أيها الخافق ظَلّل العالمين | كلنا يفتديكْ
نيلنا الدافق كوثر الطامحين | للعلا من بنيك
استقل السما أيهذا العلمْ | وارتفع فى أمان
وابهر الأنجما بجلال الهرم | رغم أنف الزمان
أيها الخافق....
المعالى لنا من قديم الزمان | شيدتها الجدودْ
فتعالوا بنا نبن مجد الوطن | بدماء الجنود
أيها الخافق....
مصرُ سودى الملا واستردى علاك | بالشباب الأباةْ
إن وردنا البِلى وقضينا فداك | فهْى أشهى حياةْ
أيها الخافق....

وفى واحد من أناشيد "العلم" معان طريفة مبتكرة كما جاء فى نشيد "يا علمى"[2]:

يا نسيج الأمهاتْ فى الليالى الحالكاتْ | لبنيهن الأباةْ
كيف لا نفديك | كل خيط فيك
دمعة من جفنهن | خفقة من صدرهن

---

(١) البواكير ٩٧ .

(٢) رسالة الأناشيد١٣.

قبلة من ثغرهن

يا عَلَمْ

وأغلب أناشيد العلم -كما ألمحنا- تعرض أمجاد مصر قديما وحديثا، وتقف وقفات أمام النيل العظيم، ومنها ما يتحدث عن صفاء جوها، وغنى تربتها. وأغلبها يعرض، ويدعو إلى "الفداء" والتضحية بكل غال ونفيس فى سبيل العَلَم، أى فى سبيل الوطن. فالعلم رمز لهذا الوطن:

قد رفعنا العلمْ للعلا والفدا ... فى ضمان السماءْ
فارخصى يا نفوسْ كل غال يهون ... كل شىء حسن
إن رفعنا الرءوس ليكن ما يكون ... ولتعش يا وطن

ولتعش يا وطن[(١)]

وقد يتخذ من العلم مدخل سريع عابر فى البيت الأول من النشيد الوطنى الشامل كما نرى فى النشيد الآتى:

فى حمى الله وظل العَلَمِ ... انهضى مصر وسودى واحكمى
وانشدى مجدك فوق الأنجمِ ... لا تهابى، لا تنى، لا تحجمى
أيها الغاصب مهلا سترى ... كيف تحمى الغاب آسادُ الشَّرى
لا سقانا النيل حتى يطهرا ... من أعاديه بنا أو نُقبرا
إن الاستشهاد فى المجد رضابْ ... مستساغ للأباة الآنفين[(٢)]

ومن نشيد آخر:

علم الحرية أخفِقْ فى السما ... وبمجد النيل هُز الأنجما
وطنى هذا دمى ... بحياتى أفتديك
صُلْ على الدنيا عزيزا سيدا ... بشباب خُلقِوا حتْف العدا
هُتَّفٌ من قلبهم تبتْ يدا ... من ينى عنك بميدان الفدا
وطنى هذا دمى ... بحياتى أفتديك
هاتفا سدْ واعظمِ ... واسمُ فى ظل المليك[(٣)]

---

(١) من نشيد العلم- رسالة الأناشيد ٧ .

(٢) من نشيد "فى حمى الله" لعبد الحكيم عابدين. البواكير ٩٤.

(٣) عابدين (النشيد الوطنى) - البواكير٩٥.

ومن نشيد "وثبة للعلا"[1]

وثبــــــة للعـــــــلا فــــــى ظـــلال العلـــــمْ
صـــــرخة فـــــى المَـــــلاَ مـــــن صـــميم الهمـــمْ

مصر. مصر.مصر فوق الأمم

أيهـــــذا الـــــشبابْ علّـــــم العـــــاملين
إن مُـــــرّ العـــــذابْ حـــــافز للـــــهممْ

مصر. مصر. مصر فوق الأمم

....

قـــد بـــذلنا الـــدماءْ كلنـــا بـــاسمين
قـــد صـــعدنا الـــسماء قـــد خطونـــا القمـــمْ

مصر. مصر. مصر فوق الأمم

ومن الأناشيد الوطنية المصرية الخالصة "نشيد الجهاد"

للشاعر بدر الدين الجارم[2] وفيه يقول:

آن يـــا مـــصرُ الجهـــادْ آن تحريـــــر الــــبلادْ

قد خُلقنا للشدائدْ

....

نحـــن أبنـــاؤك مـــصرُ يـــوم يـــدعونا النـــداءْ
ســـنحيل الليـــل فجـــرا.. وربـــى النيـــل دمـــاءْ
هـــب لنـــا يـــاربّ نـــصرا أو أمتْنـــا شـــهداءْ
نحـــن لا نملـــك أمـــرا.. ولنـــا فيـــك الرجـــاء
آن يـــا مـــصر الجهـــادْ آن تحريـــر الـــبلاد

قد خلقنا للشدائد

وما أكثر الأناشيد الوطنية، وقد قدمنا نماذج قليلة لأبيات من بعض هذه الأناشيد، تبين عن طبيعتها وأبعادها، وبسهولة نستطيع أن ندرك أن هذا النوع من الأناشيد يعتمد فى أوزانه على الإيقاع ذى الجرس العالى الذى يشبه أنغام الموسيقى النحاسية، لإثارة الحماسة، وتوقد الوجدان.

---

(١) رسالة الأناشيد ١٥. وانظر كذلك نشيد (إلى الأمام) ١٢.

(٢) انظر: عباس السيسى - فى قافلة الإخوان المسلمون (١/ ١٧٨)- دار الطباعة والنشر الإسكندرية ١٩٨٧.

ومن ناحية المحتوى الفكرى يتسع النشيد الوطنى -ويمكن أن نسيمه القومى أيضا- لكل ما يتعلق بالوطن من مضامين، كمشاهد الطبيعة، والآثار، وكذلك مظاهر النهضة فى كل المناحى، وأمجاد التاريخ ماضيه وحاضره، والإشادة بعظماء الأمة: برثاء الأموات، ومدح الأحياء.

وكذلك حث المواطنين -وخصوصا شباب الأمة- على التضحية والفداء فى سبيل تحرير الأمة من أعدائها. وعلى الإخلاص فى العمل سواء أتعلق بهم أم المجتمع، وأداء الرسالة المنوطة بهم.

وأهم من كل أولئك التحلى بالخلق الكريم والعزيمة الجادة، والإصرار المتين، والأمل فى التقدم إلى ما هو أحسن وأرقى، فلا عمل بلا أمل، ولا نجاح بلا عزيمة، ولا عزيمة إن لم تؤسس على إيمان وثيق عتيد.

ويمكن أن تصدق الملامح السابقة -أى تُلْحق بالأناشيد الوطنية -ما يمكن أن نسميه "النشيد الفئوى" أى النشيد الذى يعبر عن طائفة أو فئة وطنية معينة مثل: نشيد الطيران[1] -نشيد الدفاع[2]- نشيد الجيش[3]- نشيد الجوالة[4].

ومن نشيد الطيران:

هيئـــــوا للجـــــوِّ ... أبـــــراجَ الـــــصقورْ
الحيـــــاة اليـــــوم ... نهـــــبٌ للنـــــسورْ
امْـــتَط الجـــوَّ وخـــاطر ... إن تكـــن للمجـــد نـــاظر
لم يعـــش إلا المغـــامرْ ... الـــذى يلقـــى الأمـــورْ

....

يـــا شـــباب العـــصر ... يـــا نعـــم الـــشبابْ
عـــصركم جِـــدٌّ فجـــدُّوا ... فـــى الطـــلابْ

استهينوا بالصعابْ
مزقوا سِتْرَ الضبابْ
ذللوا متْنَ السحابْ

---

(١) رسالة الأناشيد ٤١.
(٢) السابق ٤٣.
(٣) السابق ٥٤. وفى نفس الفلك يدور نشيد التعبئة (العسكرية)٦٢.
(٤) السابق٦١.

والبسوا ريش الصقور

فـــــــالعلا حـــــــــقٌ ولكـــــــن للجَــــــــسورْ

هيئـــــــوا للجـــــــو أبـــــــراجَ الـــــــصقور

والنشيد الوطنى تهيمن عليه -كما ذكرنا- القيم والمشاهد القومية الخاصة بـالوطن، ولكنه قد يكون -مع ذلك- مطعّما ببعض الإشارات والقيم والمواقف الإسلامية والعربية كما نرى فى نشيد العلم[1]:

أيهـــا الخـــافق ظلـــل العـــالمين كلنـــــا يفتـــــديك

....

كلنـــا فـــاعلموا أمـــةٌ واحـــدةْ رغـــم بُعـــد المقـــامْ

المنـــى والـــدم ألـــسن شـــاهدةْ بالإخـــا والوئـــامْ

أيهـــا الخـــافق......

الحجاز... الشام... العراق..اليمن حصن مصر الحصينْ

فالأمـــام الأمـــام نبتنـــى للـــوطن عـــزةَ الـــسالفين

***

(١) عبد الحكيم عابدين: البواكير٩٧.

المبحث الثالث: الأناشيد الإسلامية والعروبية

وهى الأناشيد التى تعرض المفاهيم والقيم والأمجاد الإسلامية والعربية، وتحث على استعادة هذه الأمجاد، وتحقيق الوحدة العربية والإسلامية، ومن ثم كانت هذه الأناشيد أوسع، وأرحب مدى فى المضامين والتصوير من الأناشيد الوطنية، وإن لم يَخْلُ بعضها من بصمات إسلامية، وقيم دينية وعروبية كما ذكرنا آنفا.

ومن هذه الأناشيد ما جاء عروبيا خالصا فى مضامينه وتوجهاته كنشيد "بلاد العرب أوطانى"[1] ومن أبياته:

بـــلادُ العُـــرْب أوطـــانى　　　مـــن الـــشام لبغـــدانِ
ومـــن نجـــدٍ إلى يمـــنٍ...　　　إلى مـــصر.. فتطـــوان

....

لنـــا مدنيـــةٌ ســـلفتْ　　　ســـنحييها وإن دثـــرت
ولـــو فـــى وجهنـــا وقفـــتْ　　　دعـــاة الإنـــس والجـــانِ
بـــلاد العـــرب أوطـــانى　　　..............................

وفى هذا الفلك يدور نشيد "العرب"[2] الذى يهيب بالعرب أن يعيدوا أمجادهم، وينهضوا ويبنوا حاضرهم:

يـــا رجـــال العُـــرب هيـــا　　　نجمـــع الـــشمل القـــصيّا
ونعـــد الملـــك حيـــا　　　والفخـــار اليعرُبيّـــا
نـــدبّر ملكنـــا والأمـــر شـــورى　　　ونجعـــل هامَنـــا لعـــلاه سُـــورا
وصـــوت العْـــرب نرفعـــه جهـــورا　　　يزلـــزل وقعُـــه العـــاتى القويـــا
يـــا رجـــال العـــرْب هيـــا...
تؤلـــف بيننـــا خـــيرُ اللغـــاتِ　　　ونجمـــع شملنـــا بعـــد الـــشّتاتِ
حيـــاة العـــرب فـــى مـــاض وآتِ　　　يعـــزز ركنهـــا مـــن كـــان حيـــا
يـــا رجـــال العـــرب هيـــا　　　..............................

---

(١) رسالة الأناشيد ١٨

(٢) السابق ٢٥ – وانظر كذلك نشيد الراية ٥٠.

أناشيد الإخوان

وأكثر أناشيد الإخوان هى الأناشيد الإسلامية، وهى غالبا مصبوغة بصبغة إخوانية، ففى تضاعيفها تبرز مبادئ الإخوان، وما جاء فى شعارهم، الله غايتنا، والقرآن دستورنا، والرسول زعيمنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا.

وكثير من هذه الأناشيد تتوجه فى استهلالها بالحديث إلى الشباب، نرى ذلك فى نشيد "فتية الإسلام"[1]

واستهلاله:

فتيةَ الإسلام يا أذكى شبابْ — يا نواةَ الخير فى خيرِ انقلاب
يا نجاةَ الجيل من سوء العذابْ — لا برحتُم سلوةَ الشرق المصابْ

واستهل عابدين نشيده "فتية الإسلام"[2] بقوله:

جدد العهدَ وجنّبنى الكلامْ — إنما الإسلام دين العاملينْ
واقرع الطبل وقلدنى الحسام — فبحدّ السيف يعلو كل دين
فتية الإسلام هيّا — نتفانى فى الجهادْ
لنرى القرآن هدْيا — ساطعا فى كل وادْ

واستهلال نشيد "شباب الحنيف"[3]:

شبابَ الحنيف هداة الشباب — تعالوا تعالوا لفصل الخطابْ
أهابَ النبىّ ونادى الكتاب — إلى الله ندعو إليه المآب.
فطوبى لداع دعا واستجابْ

ويستهل عبد الباسط البنا نشيده "صرخة الشرق"[4] بالأبيات الآتية:

شباب يعربٍ جنود طه — جنايةُ الطغاة ما مداها؟
رسالة الهدى دمى فداها — وحقُّ ربِّها ومن حماها
ونارنا سيصطلى لظاها — جميعُ من يحاربون اللهَ

شباب يعربٍ جنود طه

---

(١) محمد حسن النجمى: مجلة "الخلود" العدد ٤٧-٨/ ١٢/ ١٩٣٩

(٢) عبد الحكيم عابدين: البواكير ٥٤.

(٣) مجلة النذير – السنة الأولى – العدد ١١ – ١٢جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ / ٨اغسطس ١٩٣٨م.

(٤) الحق المبين فى أناشيد الإخوان المسلمين٢٧.

ومن أشهر الأناشيد الإخوانية -إن لم يكن أشهرها- ثلاثة أناشيد:

الأول: نشيد "جدِّد العهد"[1]. ومطلعه:

جـدد العهـد وجنبنـى الكـلامْ ... إنمـا الإسـلامُ ديـنُ العـاملين

واقـرع الطبـل وقلـدنى الحسـامْ ... فبحـدّ السـيف يعلـو كـل ديـن

فتيـةَ الإسـلام هيـا ... نتفـانى فـى الجهـادْ

لنـرى القـرآن هـدْيا ... سـاطعا فـى كـل واد

والثانى وهو نشيد "هو الحق"[2] ومطلعه:

هـو الحـقُّ يحـشد أجنـاده ... ويعتـدُّ للموقـف الفاصـل

فـصفوا الكتائـب آسـادَهُ ... ودكّـوا بـه دولـة الباطـل

أما النشيد الثالث فهو نشيد يا رسول الله"[3]. ومطلعه:

يـا رسـول الله هـل يرضيـك أنـا ... إخـوة فـى الله للإسـلام قمنـا

نـنفض اليـوم غبـار النـوم عنـا ... لا نهـاب المـوت لا بـل نتمنـى

أن يرانا الله فى ساح الفدا

وقد ذكر الدكتور يوسف القرضاوى فى مذكراته أن الإخوان -وهم فى معتقل الطور- كانوا يرددون نشيدىْ "هو الحق" لعبد الحكيم عابدين، و"يا رسول الله" لأحمد حسن الباقورى[4].

---

(١) عبد الحكيم عابدين: البواكير ٥٤- ورسالة الأناشيد١٩.

(٢) عبد الحكيم عابدين- رسالة الأناشيد٣.

(٣) أحمد حسن الباقورى - رسالة الأناشيد ٢٢ وانظر القرضاوى ٣٦٤-٣٦٥: ابن القرية والكتاب (دار الشروق القاهرة٢٠٠٢).

(٤) ومما ذكره القرضاوى فى هذا الشأن أن بعض الأخوة السلفيين اعترض على نشيد الباقورى؛ لأنه يتوجه بالرضا لرسول الله ﷺ والمسلم إنما يعمل لإرضاء الله وحده. ولذلك كان بعض الإخوة يغيرون فى صيغة هذا النشيد، ويقولون: يا إله الكون هل يرضيك عنا؟ ويرى القرضاوى أن هذا التوجه الأخير أسلم، وأبعد عن كل شبهة، فإنما يكون الرضا لرسول الله ﷺ مقترنا بالرضا لله لا منفردا، كما قال تعالى "والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين" التوبة ٦٢. وقد كان من شعارات حسن البنا: الله غايتنا، أى رضا الله وحده هو غايتنا، وليس رضا أحد سواه، كما قال تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝) لا شريكَ لهُ وبذلكَ أُمِرتُ وأنا أوّلُ المُسلِمينَ) [الأنعام ١٦٢-١٦٣]، (القرضاوى: السابق٣٦٥-٣٦٦). ونحن نرى أنه تشدد فى غير محله، فرضا رسول الله ﷺ من رضا الله، ولو لم يذكر ذلك صراحة.

وتبقى الأناشيد الثلاثة السابقة –في المضامين والتصوير والتعبير– على مستوى رفيع جدا، ونماذج حية للنشيد الإخواني.

المحاور والمضامين

وقد أشرنا من قبل إلى أن الأناشيد الإسلامية الإخوانية في هذه الفترة الزمنية (١٩٢٨-١٩٤٩) –وهي الفترة التي نغطيها بدراستنا الأدبية والنقدية– كانت عامرة بالقواعد والمبادئ والقيم الإسلامية، بعضها في صورته العامة، وأغلبها متدفق بروح الإخوان وتوجهاتهم وبصماتهم الدينية والخلقية والسلوكية.

وفيما يأتي نعرض للمضامين التي عرضتها هذه الأناشيد:

فأهم ميراث في أمجادنا هذه الثلاثية الخالدة: كتاب الله، وسنة نبيه، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده:

نسعى ولا يريبنا ... شيء لعز العرب
فينا الكتاب المنزلُ ... منا النبي المرسلُ
والخلفاء الأُولُ ... في الأرض مثل الشهب[1]

ومصدر قوتنا وجاهنا وعزتنا إخلاص الولاء لله ورسوله والتمسك بكتابه والعيش على هداه:

نحن عصبةُ الإلهْ ... دينُه لنا وطنْ
نحن جندُ مصطفاه ... نستخف بالمحن
ولنا الكتابُ جاه ... نهجه هو السَّنَن
فلنعش على هداه ... سادة أعزةً[2]

أو نمتْ له فِدَى

ويلح الشعراء على مفهوم "دستورية القرآن"، ونحن نعلم أن "القرآن دستورنا" جزء من الشعار الإخواني:

قرآننا دستورُنا ... وحْي الهدى روحُ الهممْ
في آيِهِ آيُ النُّهى ... كنتمْ به خيرَ الأممْ
هذا فخار للزمنْ ... هذا دواء للسقم

---

(١) رسالة الأناشيد ٥٥.

(٢) السابق ٥ .

لا تهجـــروه واطلبـــوا — الخـــيراتِ فيــه والـــنعمْ
لا تعـــدلوا علْمـــا بـــه — وارضـــوا بمـــا الله قـــسم[1]

يتردد ذكر الله والرسول ﷺ فى الأناشيد الإخوانية وقد يكون ذلك بتوجيه الخطاب المباشر كما نرفى فى الأبيات الآتية:

نبـىّ الهـدى قـد جفَونـا الكـرى — وعفْنـا الـشهىَّ مـن المطعَـمِ
نهـضنا إلى الله نجلـو الـسُّرى — بروعـــة قرآنـــه المحكـــم
ونُـشهدُ مـن دبَّ فـوق الثَّـرى — وتحـت الـسما عـزةَ المـسلِم
دعـاةً إلى المجـد لـسْنا نـرى — لـه فديـةً دون بـذلِ الـدمِ[2]

وقريب من هذا المعنى ما نراه فى أبيات الباقورى:

يـا رسـول الله قـم فـانظر جنـودا — لن يكونـوا فـى الـوغى إلا أسـودا
كرهوا العيشَ علـى الأرض عبيـدا — ورأوا فيـك نعيمـا لـن يبيـدا[3]

ويردد عبد الباسط البنا شعار الإخوان الرسول زعيمنا فى حديثه عن الرسول ﷺ:

زعيمُنـــا محمـــد المفـــدَّى — وروحنـا فـدا الـزعيم تُهـدى
سـيخذل الإلـهُ مـن تـصدى — ويـصرعُ الحـسام مـن تعـدى[4]

ومن الطبيعى أن تطل علينا فى السياق أصوات تاريخنا المجيد، مع ذكر شواهد من هذا التاريخ:

ســـل التـــاريخ عنّـــا — وســـل عنـــا الزمـــانْ
يجبـــك الـــدهرُ أنّـــا — ملكنـــا الـــصولجانْ[5]
رفعنـــا رايـــةَ الحـــقّ — بـــلادُ الـــشرق للـــشرق
ملأنـــا الأرض إيمانـــا — صـــدقنا فـــى نوايانـــا
ونـــصر الله وافانـــا... — ونـــورُ مـــن ســـنا الـــبرق[6]

---

(١) السابق ٣٠ .

(٢) رسالة الأناشيد٣.

(٣) السابق ٢٢.

(٤) الحق المبين فى أناشيد الإخوان المسلمين ٢٨.

(٥) عبد الباسط البنا: تحت راية الفاروق٣٩.

(٦) السابق نفس الصفحة.

وفى نشيد آخر ترد الشواهد القاطعة بصدق هذه المقولة:

سلوا الكفر من ردَّ طغيانَهُ سلوا الشركَ من ردَّ أعوانَهُ
سلوا الكون من هز تيجانَهُ سلوا الحق من مدّ سلطانَهُ
تروْا يومَ بدر سديدَ الجوابْ
سلُوا أُحدا وسُلوُا خيبرا سلُوا الدمَّ خضَّب وجهَ الثرى
سلوا مُلْك كسرى سلو قيصرا سلوا الحقَّ فوقهما كبِّرا
سلوا البيدَ كم كشفتْ من حجابْ"[1]

وبالدين والعلم والعدل قام بنيان الأمة.. أمة الإنسان فى أرقى صورها:

يا أمةً قد أخرجتْ دينا أضاء وقدّمتْ
مجدا وعلما، وطدتْ خير النظامِ وأسَّستْ
بالعدلِ صرحا للرقى"[2]

وفى الأناشيد عرضٌ لطبيعة الإخوان، وملامحهم النفسية والدينية والرابطة القوية التى تربط بين أفرادهم وصفوفهم، ومن حقهم أن يفخروا بهذه الرابطة القوية العميقة فى أناشيدهم فى مسيرات الجوالة، والمحافل العامة، والمناسبات الإسلامية كذكرى الهجرة والمولد النبوى الشريف:

بلغوهم أن عصبتنا فخرها بالطيِّب الحسنِ
بلغوهم أن نهضتنا سرّها فى الروح والبدنِ
بلغوهم أن وحدتنا فى سبيل الله والوطنِ
ليس فى التطويل طائلة نحن أهل نحن إخوانُ
نحن فى السرّاء عائلة نحن فى الضراء أعوان
أمة للخير عاملة دينها عدل وإحسان[3]

فهى أخوة فى الله لا لمصلحة شخصية، ولا لمطلب دنيوى، وكان الإخوان يوصفون -ولا يزالون- بأنهم رُهبانٌ بالليل، وفرسان بالنهار.

تآختْ على الله أرواحُنا إخاءً يَرُوع بناءَ الزمنْ

---

(١) رسالة الأناشيد ٢٠.
(٢) السابق ٢٩.
(٣) السابق ١٤.

وباتــت فــدى الحــق آجالُنــا　　بتوجيـــه مرشـــدِنا المـــؤتمن
رقــاقٌ إذا مــا الــدجى زارنــا　　غمرنـــا محاريبنـــا بـــالحَزَنْ
وجنـــدٌ شـــدادٌ إذا رامَنَـــا　　لبـــأسٍ رأى أســـدا لم تهـــن[1]

ودعوةُ الإخوان عقيدة وإيمان والتزام صادق قولا وفعلاً وسلوكا:

نحنُ جند الدين فى عصر المحنْ　　وســرايا المجــد خُــدّام الــوطنْ
كـل مـن يمشى على هـذا السَّنَنْ　　فهْـوَ منّـا فـى حـضور أو غيـاب
لـيس منّـا مـن مـضى فـى نومِـهِ　　فَلـــها عـــن دينـــه أو قومـــهِ
لـــيس منـــا جاهـــل فـــى علمـــه　　يأخـــذ القـــشْر ويرمـــى باللّبـــاب
شـــرعةَ الإســـلام يـــا نـــورَ الأمـــم　　وحيـــاة الكـــونِ مـــن بعـــد العـــدمْ
لا تخـــافى نحـــنُ حـــراسُ العَلَـــمْ　　إن عـــدا عـــادٍ. وحفـــاظُ الكتـــاب[2]

***

(١) رسالة الأناشيد٣.
(٢) محمد حسن النجمى: مجلة الخلود – مرجع سبق.

المبحث الرابع: أناشيد الجهاد وفلسطين

الجهاد أساس من أسس مبادئ الإخوان، وهو هتاف يأخذ مكانه الرفيع في شعاراتهم: الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، وما زال الإخوان يؤمنون بهذا الشعار معتقدا، وقولا، وعملا، ويأخذ فقه الجهاد مكانا مهما في كتابات الدعاة وخطبهم، وللإمام الشهيد رسالة في 'الجهاد' مشهورة[1]، شرح فيها فرضية الجهاد اعتمادا على شواهد القرآن والسنة، عارضا رأى فقهاء الأمة، والحكمة من الجهاد. وختمها بقوله.

'أيها الإخوان: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم، واحرصُوا على الموت توهب لكم الحياة.

واعلموا أن الموت لابد منه، وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم.. فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة..'[2].

وبوعي ديني سديد يستجيب شعراء الإخوان لهذه الدعوة، ويعيشوا -عن اقتناع وقناعة- هذا التوجيه، فكثرت أناشيدهم في الجهاد، إما بأناشيد مستقلة، وإما في سياق الأناشيد التي تجمعه مع المبادئ الإخوانية، والقيم الإسلامية الأخرى. ونقدم فيما يلي قطوفا من بعض هذه الأناشيد. فمن الأناشيد التي تعالج الجهاد بمفهومه العام 'نشيد الجهاد' الذي يدعو الأمة إلى استعادة أمجادها[3]. ومن أبياته:

مجدُ العروبة في فمي ... ولظى الحماسة في دمي
ولقد هتفتُ تقدمي ... يا أمتي وتكلمي
بالنار لا بالمنطق
هيا نراجعُ ما مضى ... ونعيدُ ما كان انقضى

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا٢٧٣-٢٩١(دار الدعوة- الإسكندرية١٩٨٩).
(٢) السابق ٢٩١.
(٣) رسالة الأناشيد ٢٩ .

سـيروا سـراعا ركّـضا ... ودعُـوا اللئـيم المبغـضا

في زفرة وتحرُّقِ

....

ومن أناشيد الإخوان نشيد إلى الجهاد أيها المسلمون[1]، وفيه يقول الشاعر:

....

نجاهـدُ إخـوةً فـى الله غُـرا ... ونفـدى أربُـعَ الإسـلام طُـرًا

بمكـة والـشآمِ وأرضِ مـصرا ... وأنّـى تـستمع لله ذكـرا

نُسمّ القومَ إخوتَنا الكراما

....

نبيـعُ الله أنفـسَنا بفخـر ... ولا نرجُـو لهـا ثمنـا لعمْـرِي

وإن وُعـد المجاهـدُ خـيرَ أجـرِ ... نحـبُّ الله عـن صـدق وبـرٍّ

وتحت سيوفه نهوَى الحِماما

إذا فـتن الـورى بمهـا وغيـدِ ... فُتنـتُ بعزمـةٍ لابـن الوليـد

هـواى المـوتُ فـى ظـل البنـود ... وقعقعـةُ الـسيوف بهـا نـشيدى

ولذ عناقهُا لدمى مُداما

....

وارتبط جهاد الإخوان فى مصر بخاصة والبلاد العربية عامة بقضية فلسطين والدفاع عنها سياسيا وعسكريا وشعبيا[2]. وكانت فلسطين محورا مرموقا من محاور قصائدهم الشعرية، وكذلك أناشيدهم.

وفى سنة ١٩٤٧ جند الإخوان شبابهم للجهاد فى فلسطين بقيادة الصاغ محمود لبيب، فطلبتْ إدارة التطوع لفلسطين بالمركز العام للإخوان إلى الشاعر عبد الباسط البنا أن ينظم نشيدا يرتله المتطوعون فى رحلتهم المباركة، وجاء برسالة التكليف التى كتبت بتوقيع القائد محمود لبيب فى غرة ذى الحجة ١٣٦٦-١٥ من أكتوبر ١٩٤٧:

---

(١) عابدين: البواكير٥٦.

(٢) انظر: مذكرات الدعوة والداعية للإمام البنا: ٢٨٠-٢٨٣، ٣٠٣-٣٠٤، ٣٥٠-٣٥٩. وانظر: عباس السيسى- فى قافلة الإخوان المسلمين ١/ ٢٨٨ وانظر - جمعة أمين الإخوان والمجتمع المصرى والدولى (٣٨٠-٤٧٨) وجابر قميحة: الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل:١٣١-١٣٨(دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة ١٩٩٨. وارجع إلى كامل الشريف: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين.

"...لقد هبت علينا ريح الجنة، وعُرف الطريق إلى ميدان الاستبسال، وساحات الاستشهاد، وفلسطين التى نفتديها بالدماء شاء الله أن تكون الميدان الأول الذى تاقت نفوس الإخوان المسلمين إلى تجهيز الجيوش له وإعداد الكتائب التى تخوض معاركه، فتُصْلى أعداء العروبة والإسلام نارا تحيلها ضراما، وتجعلها عصفا مأكولا.

وإدارة التطوع.. لا ترى حاديا يأخذ بأعنة هؤلاء الأجناد المغاوير إلى ميدان النصر... غير الأناشيد الحماسية التى تتفجر أبياتها قوة وبأسا وغيرة يرتلونها فى حلهم وترحالهم فى نشوة وطرب وعزة وفخار..."

واستجاب البنا لما طُلب منه، ووضع نشيد (الجهاد المقدس) ولحن بعدها مباشرة، وانطلق مجاهدو الإخوان يرددونه فى ساحات التدريب والجهاد، وكذلك كان الإخوان فى الشعب والمناطق ينشدونه، ويتغنون به[1].

ومن كلمات هذا النشيد:

إلى فلسطينَ انهضوا ... واعقدوا الرحالْ
دعتْ حماةَ مجدِها ... لساحة القتال
وإنما تصونها... ... عزائمُ الرجالْ
إلى فلسطين انهضوا ... واعقدوا الرحال
ناداكمو النفير ... يا شبابُ فاسمعوا
لمشرق الهداية السنية افزعوا..
لقبلة الصلاة ... يا غُزاةُ أسرعوا
وفى حمى النبوة الشريفة اجمعوا

....

بواسل الجهاد ... يا كتائب الرسول
فى صحبة الإله ... فى رعاية القبول
وهاتف حيالكم ... مهنىءٌ يقولْ
يبقى عظيم مجدكمْ ... وغيرُهُ يزولْ
تسابقوا تسابقوا ... وكالشعاع أشرقوا

(١) الحق المبين فى اناشيد الإخوان المسلمين١٦.

تـــــدفقوا علــــى مبـــــا		دئ الهـــــدى تـــــدفقوا
فمجـــــدكم مهيـــــأٌ		ونـــــصركمْ محقـــــق
لعزهـــــا البقـــــاء		والعـــــدو للـــــزوال
دعـــــت حمـــــاة مجـــــدها		لـــــساحة القتـــــال[1]

***

(١) انظر: النشيد كاملا فى الحق المبين ١٨-٢١ وتحت راية الفاروق٢٤-٢٥ وانظر نشيد (دمعة عند المسجد الأقصى)- الإخوان المسلمون الأسبوعية- السنة ٤- العدد١١- ٤ من ربيع الآخر ١٣٥٥-٢٣ من يونيو ١٩٣٦.

الفصل الخامس: شعر الجهاد وفلسطين

في سياق حديثنا عن الأناشيد في شعر الإخوان كان لنا وقفة مع بعض الأناشيد التي نظمها شعراء الإخوان عن فلسطين والجهاد من أجلها. وفي السطور التالية نقدم بعض ما نظمه الإخوان من قصائد -عرضا وتقييما- في هذا الموضوع. وقبل ذلك نقدم فذلكة تاريخية عن مكان فلسطين قضية ومأساة وشعبا وكفاحا- في الفكر الإخواني وعمل الإخوان وجهدهم وجهادهم.

***

المبحث الأول: فذلكة تاريخية

- كان الإخوان المسلمون أول هيئة تبنت قضية فلسطين، ودعت لها، وتحركت من أجلها إعلاميا وسياسيا وجهاديا، فبمجرد تأسيس الجماعة بادر الإمام حسن البنا بإرسال رسالة إلى مفتى فلسطين كانت تعبيرا عن اهتمامه المبكر بقضية فلسطين.
- وفى عام ١٩٣١ بعث برسالة مطولة إلى المؤتمر الإسلامى العام المنعقد بالقدس تضمنت حلولا ومقترحات عملية لقضية فلسطين.
- وفى عام ١٩٣٣ اندلعت ثورة المظاهرات فى فلسطين، فتجاوبت معها جماعة الإخوان بمصر، ونشرت جريدتهم المقالات والأخبار المتعلقة بالقضية.
- احتفل الإخوان عام ١٩٣٣ بذكرى الإسراء والمعراج، وذكروا المسلمين فيها بواجبهم نحو فلسطين، واستمر إحياء هذه المناسبة كل عام.
- فى مارس ١٩٣٦ تكونت اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين، ونشطت حركة جمع التبرعات والدعاية لقضية فلسطين فى القاهرة والأقاليم.
- فى إبريل ١٩٣٦ أفتى المرشد العام بجواز صرف جزء من زكاة المال لإعانة مجاهدى فلسطين، ودعا مكتب الإرشاد إلى القنوت من أجل فلسطين.
- فى مايو ١٩٣٦بدأ الإخوان أول حملة شهدتها مصر لمقاطعة المحلات اليهودية المساندة للصهيونية بالقاهرة.
- فى يوليو١٩٣٨ قام الإخوان بتوزيع كتاب (النار والدمار فى فلسطين)، وقبض على الإمام الشهيد حسن البنا بسبب ذلك.
- وفى يناير ١٩٣٩ اتحد الإخوان مع الهيئات الإسلامية الأخرى، وتكونت منهم هيئة عرفت باسم جمعية القرش لإعانة منكوبى فلسطين.
- فى ١٩٣٨/٧/٢٩: قامت لأول مرة مظاهرات عامة فى جميع أنحاء البلاد فى ذكرى وعد بلفور المشئوم.
- فى ٧ من أكتوبر ١٩٣٨ انعقد أول مؤتمر دولى لأجل فلسطين، وهو المؤتمر البرلمانى العربى الإسلامى بالقاهرة. وقام الإخوان المسلمون بجهد كبير فى إعداده وتنظيمه.
- فى ١٩٤٥/١١/٢ قام الإخوان بأضخم وأعنف مظاهرات شهدتها مصر لأجل فلسطين.

- فى سنة ١٩٤٧ قام الإخوان بتوحيد منظمتى "النجادة والفتوة" الفلسطينيتين، وأرسلوا الصاغ محمود لبيب قائدا، ومدربا لها.
- وفى السنة نفسها قام الإخوان بحملة كبرى لتسليح المجاهدين شملت: جمع السلاح من مخلفات الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية، وشراءه من قبائل البدو فى الصحراء، وصعيد مصر. وإنشاء مصانع وورش لصيانة وإصلاح الأسلحة والذخائر التى تم جمعها فى حلمية الزيتون ومرسى مطروح. وتصنيع المتفجرات، وإمداد المجاهدين بها، مثل قطن البارود، وكذلك تطوير الساعات العادية إلى ساعات توقيت لتحديد وقت انفجار العبوات الناسفة.
- فى نوفمبر ١٩٤٧ شارك الإخوان فى تشكيل هيئة وادى النيل لإنقاذ القدس.
- فى ١٥/ ١٢/ ١٩٤٧ قام الإخوان بمظاهرة كبرى لتأييد فلسطين.
- ثم كان للإخوان- بعد أن دخلوا فلسطين- جهود وبطولات وتضحيات تحدث عنها العالم كله، وشهد بها قادة الجيش المصرى، وقادة الأعداء الصهاينة:

١- فقدموا ما لا يقل عن مائة شهيد، ومائة جريح.
٢- وحموا النقب، وجبهة جنوب فلسطين، فى جبهة تمتد شمالا من رفح إلى المجدل، أى أكثر من سبعين كيلو مترا، وكان اليهود يطلقون على الإخوان "شياطين النقب".
٣- إنقاذ ثلث الجيش المصرى المحاصر فى الفالوجا.
٤- حماية مؤخرة الجيش المصرى أثناء الانسحاب، والتصدى لليهود الذين كانوا يهدفون إلى إبادة القوات المصرية المنسحبة[١].

---

(١) انظر: موقع "إخوان أون لاين" Ikhwanonline ‏٢٣/ ٤/ ٢٠٠٦ إعداد عبد الحليم الكنانى. وانظر كتاب (الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين) لكامل الشريف، وانظر مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (٢٧٣-٢٩١) وانظر له: مذكرات الدعوة والداعية، وخصوصا الصفحات: ٢٨٠-٢٨٣، ٣٠٣-٣٠٤، ٣٥٠-٣٥٩. وانظر عباس السيسى: فى قافلة الإخوان المسلمين١/ ٢٨٨. وانظر: جابر قميحة: الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل: ١٣١-١٣٨. وانظر: جمعة أمين: الإخوان والمجتمع المصرى والدولى (٣٨٠-٤٧٨).

المبحث الثانى: فلسطين والجهاد فى نبض الشعر

وقد واكب شعراء الإخوان هذه المراحل كلها، فعاشوا بشعرهم قيم الجهاد والكفاح والحرص على التضحية والفداء والشهادة، انطلاقا من شعارهم الخالد: "الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا." وقد رأينا فى السطور السابقة كيف أخذوا أنفسهم عمليا بهذا الشعار.

وما نظمه الإخوان من شعر الجهاد وقضية فلسطين فى فترة التأسيس (١٩٢٨-١٩٤٨) لو جمع كله لصنع دواوين متعددة، وإن كان من الشعراء من لم يأخذوا من الشهرة حظا كبيرا، وخصوصا من عاشوا فى الأقاليم بعيدا عن القاهرة. وظهر شعرهم فى الصحف والمجلات الإخوانية: كجريدة "الإخوان المسلمون"، والنذير، والشهاب، والرسالة، وغيرها.

وفى شعر المناسبات الإسلامية كالإسراء والمعراج كان لفلسطين بعامة، والقدس بخاصة مكان وذكْر. يقول الشاعر عبد الحكيم العيلى فى قصيدة عنوانها (القدس والمعراج)[1].

يا خير خلق الله أولُ قِبلة ... للمسلمين تهزها الأنواءُ
سلْ ثالثَ الحرمين عن بأسائه ... ينْبيك كيف تحرش الدخلاء
يا ويحهم خسئوا أينهض عاجز ... إن عاجلته الليلة الدهماءُ؟
عجبا لقد عظم البغاث بأرضنا ... واستأسد الرعديد وهْو خواء
يا فيلق الإسلام حيٌّ على الوغى ... ولتجْرِ عبْرَ المشرقين دماء

ويتخذ الشاعر جمال السنهورى من "ذكرى الإسراء"[2] منطلقا للدعوة إلى الجهاد لتخليص أرض الإسراء، وأوطان المسلمين برجال يحركهم الإيمان والعزم القوى، والعمل الجاد:

يا ربوعَ المعراج عصبةُ حق ... ترفع الذلَّ بعد طول هوانِ
إن يوم المعراج يومُ فلسطيـ ... نَ فأدوا ضريبة الأوطان
أيها الناس نحن كُثْر ولكن ... قلةٌ بالعقوق والعصيان
لن تُنال الرغابُ إلا بركب ... عامرٍ قلبُهُ بسامى المعاني

---

(١) الإخوان المسلمون. عدد١٥٩ – السنة الخامسة ١٦ من شعبان ١٣٦٦، ٥من يوليو ١٩٤٧.

(٢) الإخوان المسلمون: السابق.

اذكروا مصعبا، وحيّوا عليا وابنَ زيد فى جَحْفلِ الإيمان

كما أبرز شعراء الإخوان جناية الغرب بسياسته وأدواره الشيطانية فى خلق نكبة فلسطين، والتمهيد لزرع دولة الصهاينة فى أرض الإسراء، وكان "وعد بلفور" من أهم آليات هذه الجناية، مما يلزم العرب، ويوجب عليهم التصدى بالجهاد والقوة والإيمان لهذه القوى الشيطانية. يقول مصطفى محمد فى قصيدة بعنوان "يوم الجهاد"[1]:

أبلفورُ لا تبعد فما نحن بالأُلَى يُسرُّ لوعدٍ حافلٍ بالمظالمِ
ألم تدْرِ أن العرْب تأْبى مذلةً وترفضُ جارا عيشُه بالجرائم
سنفدى بأرواحٍ ومالٍ وأنفسٍ ضحايا فلسطينٍ فدى غيرِ نادِمِ
هلمّوا شباب المسلمين وجاهدوا ولا تستحلوا عيشةَ المتألمِ
كفانا من "التاميز" هزلا وخدعةً هلموا لوصل الاتحاد المصرّم
هلموا لحمل السيف إنا أعزة لا تألفوا بالنوم عين التبرم

وعرض الشعر كثيرا من النكبات والمصائب والجرائم التى ارتكبها الصهاينة فى حق الشعب الفلسطينى. ومن أبلغ القصائد وأقواها بيانا وتصويرا فى هذا المجال قصيدة "فلسطين الدامية"[2] للسيد محمد أحمد الفقى، وفيها يصور مأساة فتاة فلسطينية اغتصبها اليهود، فيقول:

هل حرامٌ على البرية دمعٌ حينَ يُمسى الحرامُ حِلاً يُنضَّدُ؟
أم حلالٌ على الجبابر صوْلٌ بات فى الكون طاغيا يتمرد؟
هدَّنا الشجْو مذْ سمعنا فتاةً تستعين الإله فالخطبُ أنكدْ
ديسَ فيها العفافُ بالقدم الضا رى فأين الغضوبُ يا منْ تنهدْ
ثم ماتت من الفجور وراحت تسرد الذنب فى حياء المندّدْ
يرحم الله فى الفتاة فؤادا حيث ماتت بنارها تتوجَّدْ

ثم ينعى الشاعر على العرب والمسلمين تراخيهم واستسلامهم وتواكلهم فى أبيات منها:

من دواهى الوجود أنا بُلينا فى دنا النفس بالفؤاد المجرَّد

---

(١) مجلة "النذير" السنة الثانية- العدد٥-٢٩ من المحرم١٣٥٨-٢١ مارس ١٩٣٩. وانظر كذلك مطولة أبو الوفا رمزى نظيم بعنوان "وعد بلفور والجهاد المقدس" النذير – السنة الأولى- العدد ١٩ –٩ من شعبان ١٣٥٧- ٣ من أكتوبر ١٩٣٨.

(٢) النذير: السنة الأولى- العدد ١٨-٢ من شعبان١٣٥٧- ٢٦ سبتمبر ١٩٣٨.

إن موتـا إلى المـشاعر يـسرى ... يحفـر القـبر للحيـاة لترقـد
فـإلام الـصِّغار إنـا سـئمنا ... مـا نـرى اليـوم مـن حياة المشرد
يـا لأهـل الحنيـف إيتـوا إلينـا ... رحـم الله مـن أرانـا التجلّـدْ
من وراء الدهور يزْهـى طـويلا ... فـى (فلـسطينَ) أمجـدٌ وممجَّـدْ
شـهد الـدهر أن لهـا الفخْـ ... ـرَ فحسب الـشآمِ مـاضٍ مخلـد

وبالنظر إلى واقع فلسطين الدامى تتوالى قصائد الحث والاستنهاض لتخليص الأرض السليبة، وإعادة الحق إلى أهله. فمن قصيدة طويلة بعنوان "وثبة السماء فى فلسطين"(١) يقول الشاعر إبراهيم مأمون:

أجـل إن اليهـود بغـوا علينـا ... وشـانوا القـدس بالفحـشا وشـابوا
ورامـوا بيننـا وطنـا عزيـزا ... كـأنهمو بـه شـبّوا وشـابوا
أيزحمنـا بـبطن الأرض هـوجٌ ... نَبـتْ بهـم المـواطنُ واليبـابُ؟
تـسمَّعْ مـوطنَ الإسـراء يبكـى ... وقـلْ لى أيـن أهـل الـشرق غـابوا؟
وأيـن الجـيش والجُلـىّ تنـادي ... وصرعى القدسِ بالجرحى أهـابوا؟
شـرايينُ الحنيـف قطعـن قـسْرا ... وطـابَ بهـن للبـاغى خِـضاب
وأشـلاء التقـى متنـاثرات ... تـضج بهـا المغـاورُ والـشعاب
وأولى القبلـتين يُهـان فيهـا ... عبـادُ الله للـداعى أنـابوا

ومن المعانى الطريفة فى هذا المقام تحذير الشاعر عبد المنعم فارس لليهود من تصديق وعود الإنجليز وأهل الغرب لهم، لأن العرب جربوا مثل هذه الوعود، فخانوا وغدروا، ولم يفوا بما وعدوا. ومن قصيدته الطويلة "فلسطين"(٢) يقول الشاعر:

بنـى صـهيون لا تثقـوا بوعـدٍ ... مـن البـاغين. وعْـدُهمو ريـاءُ
لقـد بـذلوا لنـا وعـدا فخـانوا ... ووعـدكمو كـذلكمو هبـاء
لقـد كنـا وكنـتم فـى أمـان ... إلى أن مـسَّنا مـنكم عنـاء
وغـرتكم كنـوز فـاعتزمتم ... تملـك دارنـا وهْـو الـبلاء
كـذبتم أيهـا الأغـرارُ إنّـا ... نقطَّـعُ بالـسيوف ولا نُـساء

(١) النذير- السنة الأولى- العدد٢٠- ١٦ من شعبان ١٣٥٧- ١٠ من أكتوبر ١٩٣٨.
(٢) النذير- السنة الاولى- العدد٢٣- ٧ من رمضان ١٣٥٧- ٣١ من أكتوبر ١٩٣٨.

ثم يوجه الشاعر حديثه للمسلمين، يحثهم على اليقظة والجهاد، ودفع كيد الأعادى:

بنــى الإســلام يكفينــا منامــا   وردوا مــن يكيــدُ ولا تُــساءُوا
فــإن لم تــدفعوا كيــد الأعــادي   فــدين محمــدٍ مــنكمْ بَــرَاء
ومن يـصمد لكـل أذى ويـصبرْ   فعنــد الله فــى ذاك الجــزاءُ
ومن يُرخِصْ فدا الإسلام نفسًا   يعــز، ومــن يَــذل لــه الفنــاءُ

والأمثلة الشعرية فى هذا المجال أكثر من أن تحصى، ومنها ما جاء فى قصائد كاملة مستقلة، ومنها ما جاء فى سياق القصائد المنظومة فى المناسبات الإسلامية التاريخية. وكل هذا الشعر -كما أشرنا آنفا- يعكس مبادئ دعوة الإخوان، ويتدفق بقوة العاطفة، وحرارة الإيمان والوجدان، كما ينطلق من القيم والمعطيات الإسلامية الأصيلة. وكان له -بلا شك- آثار طيبة فى تحميس الشباب، والارتفاع بمشاعرهم إلى صدق الولاء للدين، وتشرب قيم الحق والقوة والحرية.

***

الفصل السادس: منوعات فى المجتمع والسياسة

تمهيد

المنوعات وشعر المناسبات

وغير ما قدمناه فى الفصول السابقة نقف فى هذا الباب وقفات سريعة أمام أغراض أخرى نظم فيها شعراء الإخوان فى نطاق الذات والشخصيات والمجتمع المصرى والعربى والإسلامى، وما يقع من أحداث، وانتصارات وانكسارات، وأغلبه يطلق عليه شعر المناسبات الذى يصاغ فى قصائد تعكس هموم الوطن والأمة العربية والإسلامية ارتباطا -كما ألمعنا- بمناسبات سياسية أو اجتماعية أو عالمية، أو شخصيات ظهرت أو اختفت، وكان لها دورها الكبير -سلبا أو إيجابا، نفعا أو إضرارا، بناء وتعميرا، أو تخريبا وتدميرا- على الساحة المحلية أو العربية، أو الإسلامية، أو العالمية.

وقد يتسرع بعضهم، ويزرى بهذا اللون من الشعر بدعوى أنه "شعر مناسبات"، مرددا المقولة المشهورة "إن شعر المناسبات من الألوان الأدبية التى لا تأخذ مكانها إلا فى المركبة الأخيرة من قافلة الشعر".

وأقول: إنها غلطة قاتلة تصاغ فى "معلومة" تحشر فى أذهان المتأدبين، وللأسف تلقن لأبنائنا الطلاب فى المرحلة الثانوية. وأكرر إنها غلطة شاعت بلا مبرر، وبلا تدبر؛ لأن الناقد الحصيف لا ينظر إلى القصيدة من خارجها، ولكنه ذلك الذى يعايش القصيدة موقفا، وموضوعا، وفكرا، وتصويرا، وتعبيرا، ومشاعر وأحاسيس، يستوى فى ذلك أن تدور القصيدة حول نكسة يونيو ١٩٦٧، وانتصار أكتوبر ١٩٧٣، وانتفاضة الحجارة، وتصوير آلام النفس فى تجربة خاصة.

ومن ثم ليس بالنقد البصير أن نزرى بالقصيدة لأنها تدور حول مناسبات ووقائع "خارجية". وليس بالنقد البصير كذلك أن نجلّ القصيدة، ونعظمها لأنها قصيدة من "قصائد الذات، والعواطف الخاصة".

ولكن النقد البصير هو ذلك الذى يبحث عما فى هذه أو تلك من ثراء الفكر، وبراعة التصوير والتعبير، وحيوية الشعور.

ثم هل فى الشعر -على مدار التاريخ الأدبى كله- قصيدة بلا "مناسبة"؟ الواقع يقول: لا، فكل قصيدة -واسأل تاريخ الشعر- تدور حول "مناسبة" ما، أو موقف ما، أو واقعة

ما. وهذه المناسبة أو الواقعة قد يكون محورها "ذات" الفرد، وقد يكون موضوعها "خارج هذه الذات" تاريخيا، أو سياسيا، أو اجتماعيا. المهم أن "نرى الشاعر" في القصيدة، أيا كانت مناسبتها أو موضوعها. وهذا هو -في نظري- معيار التقييم الصحيح الراشد السديد[1].

***

(١) جابر قميحة: مقدمة ديوان: لله والحق وفلسطين ٧-٩ (الدار المصرية اللبنانية- القاهرة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

المبحث الأول: الوحدة العربية

والمعروف أن الإخوان قد تبنوا الدعوة للوحدة العربية والعمل على تحقيقها، فكان لشعرائهم عشرات من القصائد فى الوحدة العربية لتكون قوة يعتد بها فى التصدى للاستعمار وقوى الشر المتربصة بالإسلام والشعوب العربية والإسلامية. فمن قصيدة "الوحدة العربية" للشاعر السيد محمد أحمد الفقى[1] نقتطف الأبيات الآتية:

وحدة تجمع القلوبَ على الود ... وتحيى صلاتها الخالدات
فبدا الشرق فى الوجود كبدر ... طوقته العيون بالنظرات

....

هذه مصر والحجاز ولبنا ... ن، وما بين نيلنا والفرات
أخواتٌ أحاطهن سياج ... عز إيلافه على النكبات
ناظرات إلى المعالى بعين ... حيل ما بينها وبين السُّبات

....

إنما وحدة العروبة فى الشرْ ... ق ثمارُ الجهود والعزمات
أرسل الله ذو الجلال إليها ... ملهمات السداد والبركات
وجمال الحياة بين البرايا ... فى اتحاد القلوب والمهجات
نحن قوم إذا أردنا عُلُوا ... لا نبالى بشائك العقبات
قد جعلنا من الأخوة فى الله ... سبيل العلا إلى الغايات

وكانت المشاركات العملية والوجدانية من آليات الإخوان لمساندة الشعوب العربية، والوقوف بجانبها فى كفاحها ضد الاستعمار، فهب شعراء الإخوان بقصائدهم يعبرون فيها عن مواقفهم هذه، من ذلك شعرهم فى "نكبة دمشق" التى ضربها الفرنسيون بالطائرات. يقول الشاعر: سعد أحمد دعبيس، فى قصيدة له بعنوان "سوريا"[2].

سوريا دموعى حيرى فى مآقيها ... حسبى من الدمع ذكرى لست ساليها
صرختِ، فاهتزت الدنيا بأجمعها ... ومادت الأرض قاصيها.. ودانيها

---

(١) الإخوان المسلمون- السنة الثالثة- العدد٧٩- ٢٦ من ذى الحجة ١٣٦٤- ١من ديسمبر ١٩٤٥.
(٢) الإخوان المسلمون -السنة الثالثة- العدد ٦٢- ١٨ من رجب ١٣٦٤- ٢٨ من يونيو ١٩٤٥.

وخــف نحــوك جــيران بأفئــدة		تــأبى الحيــاة إذا ضــاعت معانيهــا
طاروا مع الـريح تحدوهم عـواطفهم		إلى "دمــشق"، وقــد دكّــت أعاليهــا
تــذكروا ماضــيا كانــت منارتُــهُ		دمــشق.. حاكمــة الــدنيا وقاضــيها
أيــام "مــروان" هــل ضــاعت معالمهــا		وهــل تنكــرت الــدنيا.. لماضــيها؟

ونرى الشاعر "إبراهيم عبد الفتاح" يبرز فى قصيدته مظاهر بطولة الشعب السورى فى تصديه لهذا العدوان، ومن أبياته فى هذه القصيدة الطويلة(١):

ثـار الأسـودُ علـى البـاغى فروَّعَـهُ		زئير غـاب يلاقـى الـضيمْ غـضبانا
غطَّى الزئيرُ على قـصفِ المدافع لم		يـسمع وأرْعـبَ فـى بـاريس آذانـا
بغضبة المـضرىِّ الـشهم قـد وثبـوا		يكفكفـون عـن الأوطـان عـدوانا
لما بغـى خـصمهم ثـارت كـرامتهم		واستبسلوا فى الوغى شـيبا وشـبانا
واستقبلوا الموت لم يضعف عزائمهم		بـل زادهـم بجـلال الحـقِّ إيمانـا
وصارت الطائرات النكْـر عنـدهمو		مثل الذبابِ حقيرَ الـشأنِ قـد هانـا

الشخصيات العربية

واتساقا مع الإيمان بهـذه الوحـدة كـان الإخـوان يـستقبلون الوفـود والشخـصيات العربية، ويحتفون بها، ويمجد شعراؤهم المجاهدين منهم، كعبد الكـريم الخطـابى، ومحمـد علال الفاسى الذى نفاه المستعمرون الفرنسيون.

ومن الشعر الذى نظم فيه قصيدة "فتى الأطلس" بمناسبة الذكرى السنوية لنفيه. وهـى مطولة. مطلعها(٢):

إيمــان قلبــك مــصدر الإيمــان		للمغـرب الأقـصى البئـيس العـانى
فـإذا نفـوك عـنِ العيـون وأخرجـو		ك من الـبلاد فأنـت فـى الوجـدان
أو أبعـدوك فـإن روحَـكَ مـا تـزا		ل تنــازلُ الأعــداءَ فــى الميــدان
عــلال إنــك صــرخة أبديــة		فــى ســاحة العــدوان والبهتــان
زعمــوك منفيــا ولــستُ مــصدقا		مــا دام فينـا شخـصُك الروحـانى
إنــا نحـسّ خطـاك تهـدينا إلى الــْ		ــحرية الغــراء فــى اطمئنــان

---

(١) من وحى الدعوة الإسلامية ٤٨.
(٢) النذير- السنة الأولى- العدد٢١، ٢٣ من شعبان ١٣٥٧- ١٧ من أكتوبر ١٩٣٨.

وتلخصت فيك الأماني كلها — وغدوتَ رمز العدل والإحسان

الكل يهتف باسمك الميمون حتـ — ـى ألسن الأشياخ والصبيان[1]

***

(١) علال الفاسي (١٩٠٦-١٩٧٤) رجل سياسي مغربي، وزعيم حزب الاستقلال. قاوم الاستعمار الفرنسي.واعتقله الفرنسيون عام ١٩٣٨، ونفوه إلى مستعمرة الجابون الإفريقية حيث بقي هناك طيلة تسعة أعوام، عاد بعدها إلى طنجة عام ١٩٤٦ حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية.

التجأ إلى القاهرة عام ١٩٤٧، وتابع النضال الوطني فيها من خلال المكتب المغربي العربي. عاد بعد الاستقلال إلى المغرب العربي. حيث استقبل استقبال الأبطال، وأخذ مكانه الطبيعي في رئاسة حزب الاستقلال عام ١٩٥٦.

وواصل كفاحه السياسي والاجتماعي. ورفض الاشتراك في الحكم عام ١٩٧٢. وتوفي في بوخارست في ١٧ من مايو سنة ١٩٧٤. (موسوعة السياسة ٤/ ١٥٨- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- ط(٢) بيروت ١٩٩٠).

وانظر كذلك قصيدة قدوم مبارك للشاعر محمد صالح المسيري في تحية الأمير اليمني سيف الإسلام الحسين. (النذير- السنة الثانية- العدد٢- ٨ من المحرم١٣٥٨-٢٨ من فبراير١٩٣٩.

المبحث الثانى: مع المجتمع والسياسة

وواكب شعراء الإخوان بشعرهم كثيرا من المناسبات الاجتماعية، والمواقف السياسية، وكان الشاعر إبراهيم عبد الفتاح من المكثرين من النظم فى هذه المناسبات، ففى ١٥ من يناير ١٩٣٥ نشرت له الأهرام قصيدة فى "عيد الوطن الاقتصادى" نالت الجائزة الثانية فى مهرجان الشعر(١).

وله كذلك قصيدة طويلة فى "مشروع القرش"(٢) نالت أيضا الجائزة الثانية فى المهرجان الأدبى الذى أقامه رجال المشروع سنة ١٩٣٥. ومما جاء فيها:

يا شباب الحمى وآمالَ مصر	جالدوا الدهر أو بما ضن يرضى
وأرُوا الخصمَ: قد تعامى غرورا	أن حول العرين أسْدا رُبّضا(٣)
واجمعوا المال يا بنى مصر وابنوا	حائطا من حياتها صار نِقضا(٤)
وأقيموا بمصر فى عزمة الخضـ	ـر جدارا يريد أن ينقضا
إن تحت الجدار كنزا ثمينا	لذوى الفقر فاض بالمال فيضا(٥)

١- الأزهر: ثورة ومحنة

ونال الأزهر جامعا وجامعة. حظا طيبا من شعر الإخوان، ولا عجب فقد عاش منارة علم، ومنطلق جهاد، وكان طلابه فى طليعة المظاهرات والتصدى للمستعمرين وأعداء الإسلام والوطن.

ومن منبر الأزهر الشريف- نيابة عن طلبة الجامعة المصرية سنة ١٩٣٥- ألقى عبد الحكيم عابدين قصيدة بعنوان "الأزهر فى ثورته"(٦). ومن أبيات هذه القصيدة:

يا أزهرا شيّب الدهرَ الفتىّ ولم	تزل بجدته الأجيال تفتخر
فردوس من صان للإسلام حرمته	وللخئون الذى لم يرعها سقر

(١) ديوان: من وحى الدعوة ٧٢-٧٦.
(٢) السابق ٨٣-٨٥ .
(٣) ربضا: رابضة.
(٤) نِقضا (بكسر النون): مهدودا.
(٥) فى البيتين الأخيرين تأثر بقصة موسى والخضر. ففى سورة الكهف "فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه.." الكهف ٧٧."وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا..." الكهف ٨٢.
(٦) ديوان البواكير ٣٥-٣٧.

لو ألف الدهر سفْرا للخلود يُرى | لكنتَ عنوانَه الأعلَى لمن بصروا
مرت قرونٌ فلم تحفل بهن كما | مرّ الهواء بأرضٍ ما بها مَدَرُ
هذا شبابك خِلْتُ النارَ غضبتهم | تهْوى على الظلم لا يتتابها خور
كم يرهبُ الضيمُ إلماما بساحتهم | إذا أتيح له من غيرها وُكُر
شمٌ وإن ظُلموا، غرٌ وإن جُحدوا | أُنُف وإن غُمطوا، بُلْج وإن سُتروا
لا يبلغ البرق مجراهم إذا وثبوا | والأسْدُ دونهمو بأسا إذا زأروا

وإذا كان للأزهر هذه المكانة فى قلوب الإخوان وأشعارهم فلا غرابة أن يهتزوا، ويستبد بهم الأسى والغضب، إذا ما نزلت به نازلة، أو أسيء إليه، وخدشت كرامته. ويسجل التاريخ أنه فى أواخر سنة ١٩٣٨ قامت مظاهرة من طلبة الأزهر، فانبرى لمنعها فريق من الجنود، واقتحموا الحرم الأزهرى، وداسوه بالنعال ليطلقوا النار على المتظاهرين.

وقد تجاوب شعراء الإخوان مع هذا الحدث المؤسف الأليم الذى يعد عدوانا على الأزهر والوطن والإسلام.

ولا سابقة له إلا ما ارتكبه الفرنسيون فى حملتهم على مصر.

وفى هذا الحادث الجلل يقول الشاعر رشيد أبو مرة[1].

ما كنت أنتظر الحياة مخوفةً | حتى علمتُ بوقع ما فى الأزهرِ
فى صفحة التاريخ سُجل حادثٌ | أن اليراع يخطه بتعثر
من عهد نابليونْ لم نر مطلقا | فعل الفظاعة غير هذا المنكر
أيجوز فى الإسلام أن جنودنا | يغزون بيت الله دون تفكر؟
داسوا الكرامة بالنعال فدُونتْ | تلك الإساءةُ فى جبين الأعصر
لا تفتأ الأيامُ تذكرها غدا | يا ليتهم لم يَخرجوا من مخفر
قد راعنا أن الجنود تحرشوا | لا بالعصى ولا بحد الخنجر
لكن بطلْقاتٍ أشرّ من البلى | نيرانها اصطادت حماةَ المنبر
إنى ضللت الشعر لا أشكو الردى | إلا لمن هو عالم بخواطرى[2]

(١) ديوان: إخوانيات١/ ١٨.

(٢) كانت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، ودخل نابليون القاهرة فى ٢٤ من يوليو من هذا العام. وقد ثار أهل القاهرة ضد الغزاة وكان يوم ٢٣ من أكتوبر ١٧٩٨ أهم أيام ثورة القاهريين حيث قتل منهم المئات،=

٢- وقفات حق للبرلمان

وإذا كان رجال السلطة قد أجرموا، فداس جنودهم حرمة الجامع الأزهر، واستهانوا بمكانته وشرفه فإن الله قد قيض للأمة فى البرلمان المصرى من النواب من ينتصر لدينه، وينتصف لحقها، فانبرى شعراء الإخوان يحيّون هؤلاء النواب بقصائد متعددة، منها مطولة عبد الحكيم عابدين "متى ترضون بالقرآن حكما؟"[1]، وفيها يقول:

رجالَ الرأى فى الوادى سلام — عليكم لا يفارقه اختيالُ
لنا بكمو وُثوق واعتزازٌ — وآمال ينوء بها المقال
على مصرَ ائتمناكم، فأدّوا — وأنتم للأداء بها مثال
حمدت لكم مواقف أمس غرّا — لها من روعة الماضى جمال
رجال الرأى عبئكمو ثقيل — وعن تبعاتكم تَعْيىَ الجبال
فهل أنتم لها حتى نرجى — بكم نصر الهدى؟ ومتى ننال؟

ومن المعانى التى وجه إليها الشاعر أن الكلمات وحدها لا تكفى فلابد أن يبعثها عزم قوى، ويصحبها عمل مخلص دائب:

رجالَ الرأى لا يكفى نقاش — لدى الجلسات يعقبه جدال
فتمضى جلسة وتمر أخرى — ويطوى الاقتراحاتِ الملالُ
ألا ما بالنقاش يسود حق — إذا لم يتْلُه العزم الفصال
وإصرار وتضحية ونفس — فدى الإسلام قد بذلت ومال

وفى مطولة أخرى -فى الموضوع ذاته- عنوانها "عصا الإسلام تلقف إفكهم" للشاعر إبراهيم المأمون[2]. نقرأ الأبيات التالية:

من كان يحسب للحنيف قيامة — فى البرلمان تشيع فى نوابه؟
كذبت ظنون الخاطئين، وألقيت — حجبُ الضلال، وبان سر نقابه
ومشت عصا الإسلام تلقف إفكهم — والسحر تكذبه رُقى أربابه

=بعضهم فى الأزهر على أثر ضربه بالمدفعية ودخول الفرنسيين إليه بخيولهم. وكتب نابليون يوم ٢٦ منه إلى الجنرال رينيه حاكم الشرقية يقول ".. عادت السكينة إلى القاهرة. وفقد الثائرون نحو ألفى قتيل. وفى كل ليلة تقطع رءوس نحو ثلاثين من الرجال، وكثير من زعماء الأهالى". (موسوعة السياسة ٢/ ٥٨٤-ط٢ بيروت ١٩٩١).

(١) النذير- السنة الثانية- العدد٢١- ٢٢جمادى الأولى ١٣٥٨-١٨/ ٧/ ١٩٣٩.

(٢) النذير- السنة الثانية- العدد ٢٣- ٧ من جمادى الآخرة١٣٥٨- ٢٥ من يوليو١٩٣٩.

....

يأيهـا النـواب: عـزّ مكـانكم... فـى البرلمـان وعـز سُمْك قبابـه
ما جئت أشكر مـن يـضن بدينـه فَلـذلك المـأمولُ مـن أحبابـه
لكـم المثوبـةُ يـوم تـضطرب الخطـا يـوم ارتقـاب المـرء حسْنَ ثوابـه
لم يبـق إلا أن يكـون كتـابكُمْ دسـتور مـصر، وأنتمـو لِطلابِـه

٣-نقد اجتماعي

وعرض الإخوان فى شعرهم كثيرا من المشكلات الاجتماعية ومظاهر من الاختلال الخلقى، ولا شك أن الفلاح المصرى عاش يعانى الحرمان والشقاء بسبب الاستعمار من ناحية، وحكام مصر من ناحية أخرى. وفى ذلك يقول الشاعر إبراهيم عبد الفتاح[(١)]

لقـد خـرب المـستعمرون ديارنـا فلم نر إلا الفقر فـى مـصر يُرديهـا
سلو البـائسَ الفـلاح أشـقاه بؤسـه وساسـة مـصرٍ جـاهلون بمـا فيهـا
فيا حقلَ مـن يلقـى البـذور بعزمـه وبـالعرق المعـصور والـدم يـسقيها
وإن جـاء ميعـاد الحـصاد فإنهـا لظالمـه -رغـم الخَـصاصة- يجنيهـا
هو البـائس الفـلاح لم يلـق منـصفا إلى أن تصير النفس تـشكو لباريهـا
وإقـرار حكـم الله طـبّ لدائـه جراح بحكم الـدين يـبرأ داويهـا[(٢)]

عبث الشباب

الشباب هم قوة الحاضر، وأمل المستقبل. وصلاح الأمة يتوقف على وجود شباب قوى مؤمن، منزه عن السقوط والعبث واللامبالاة.

ومما يؤسف له أن فى مصر شبابا يحكمه الهوى واللهو، والعبث، والاستهانة بالمسئولية، وإهدار الوقت فى دور اللهو، والمنازه، وشواطئ النيل[(٣)]. وبأسلوب مرّ ساخر نقد الشاعر عثمان المراغى هذه الظاهرة الكريهة بقصيدة طويلة، نقتطف منها الأبيات الآتية[(٤)]:

علـى شـاطئ النيـل الـسعيد منـازه تحـدثُ عـن أسـرارهن مـواخرُهْ

---

(١) ديوان: من وحى الدعوة الإسلامية ٦٢.

(٢) وللإخوان كذلك قصائد فى مشكلة الغلاء، وما يعانيه الفقراء وصغار الموظفين منها. انظر قصيدة "غلاء المعيشة" لرشيد أبى مرة- إخوانيات ١/ ٢٠.

(٣) انظر لعبد الحكيم عابدين قصيدة "لقد رقدت ضمائرنا" التى نظمها الشاعر سنة ١٩٣٣-ديوان البواكير ٧٠-٧١.

(٤) النذير – السنة الثانية- العدد٢١- ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٥٨- ١٨ من يوليو ١٩٣٩.

على جانبىْ نيلِ البلاد فضائح   تميد لها أضلاعنا وتناظره
وقد وقف البوليس يرنو بطرفه   فلا هو مناعٌ ولا هو ناكرهْ
هنا المنكر الملموس بالكف وقعه   وقد وقعت فى كل حى نظائره
هنا المنكر المنظور بالعين قبحُهُ   فأقذت عيون المؤمنين مناظره
هنا المنكر المفتوح للنشء سوقه   وقد كثرت تجّاره وسماسِرُه
ألا فارس يقضى على كل فاسق   وتنسف هامَ المفسدين بواترُهْ؟
ألا رجلُ الآداب يسْترق الخطا   ويكشف ما تحتَ الملاءة ناظره؟
ألا صادقٌ يأتى على كل صالة   فما تلكم الصالات إلا مصادره

ويرى الشاعر إسماعيل شلبى سعفان أن تعليل هذه الظاهرة يكمن فى ضعف الوازع الدينى، ونبذ القيم الإسلامية، وجهل هؤلاء الشباب حقيقة الرسالة التى خلق الإنسان لأدائها، فيقول تحت عنوان "شباب عابث"[1].

شباب فى الهوى أسْرى لليلى   وقد نبذوا الشريعة والكتابا
على دنس التخنث قد تربوْا..   فعاشوا فى الورى شرا وعابا
وهم عار على وطن نماهم   إذا قيل الجهاد بدوْا سرابا
يرون حياتهم أكلا وشربا   ومن نسج الهوى لبسوا الثيابا
ومن عجب يعيش بغير دين   معاشر ضعفهم فاق الذبابا
وما يكفى الديانة أن يقولوا   شهادتها إذا رغبوا انتسابا
وهم فى الشعب تحسبهم رءوسا   ولكن فى الحقيقة همْ ذُنابَى
يروم الدين شبانا كراما...   من الديان قد خافوا العقابا
يزكى فعلهم خلق ودين   ويعمر سعيهم دنيا خرابا

***

(1) الإخوان المسلمون- السنة الثانية- العدد٣٧- ٢٦ من جمادى الآخرة ١٣٦٣- ٢٥ من يوليو ١٩٣٩.

الفصل السابع: شعر العامية[1]

أغلب ما نظمه الإخوان وما ينظمونه يتخذ العربية الفصيحة أداته فى الأداء التعبيرى، ولكن بعض شعرائهم نظم بالعامية، وبعضهم جمع بين النظم بالعربية الفصيحة والعامية، وخصوصا الأناشيد.

وإيثار شعراء الإخوان الفصيحة فى نظمهم على العامية أمر لا غرابة فيه بداعية ثقافتهم الإسلامية، واعتزازا بلغة القرآن الذى ينادى به الإخوان "دستوراً" للشعب والبشرية جمعاء، ولغة القرآن هى العربية الفصحى فى أرقى صورها.

***

(١) ويطلق عليه الزجل، وهو لا يتقيد بقواعد اللغة، وخصوصا الإعراب، وصيغ المفردات، وقد نظم على أوزان البحور القديمة وأوزان أخرى مشتقة منها، ويظهر أنه نشأ فى القرن السادس الهجرى. ومثاله:

السياسة تخرب الدنيا العمارْ ... ما تلاقيشِ منها غير بس الدمارْ
يعنى دى شبهتها بلعب القمارْ ... شوف ولاحظ حالة الساسة الكبارْ
لجلْ ما تصدق بدون ما احلف يمِيني

(مجدى وهبة: معجم مصطلحات الأدب ٦١٥. وانظر كذلك: الموسوعة العربية الميسرة ٩٤٠) .

وممن لم يخل نظمهم من بعض "العاميات" عبد الباسط البنا -رحمه الله- ومن أزجاله الرشيقة تحت عنوان "أغنية المهرجان":

المهرجـــــان المهرجــــانْ — المهرجـــــان المهرجــــانْ
المهرجـــان وشمـــوع بتْقيـــدْ — المهرجـــان والفـــرح يزيـــدْ
المهرجـــان وصْـبحنا فـــ عيـــدْ — بنغنـــــــى للمهرجــــــان
المهرجـــان مــــا تعطلنــــيشْ — سيبنى أغنـــى وأقـــول للجـيش
يـــاللى نـــصرت الـــشرقْ تعــيشْ — والـشعب يعـيشْ بيـك فرحـان[1]

ومن أغنية بنت الريف:

جـيش أوطاننــا كتبْـت سـلامةْ — للأوطـــانْ وبَعَـــت ســـلامْ
امْــلا الــدنيا أمــلْ وكرامــةْ — وعلــمْ مــصر فُــوق الأعــلامْ
ورِّى الــدنيا نــشاطْنا الحرْبــى — ورِّى الكُــون فــن الــشجعانْ

مكتوب لك تتهنَّى يا قلبى
وتقول فلتحيا الأوطانْ[2]

وفى معتقل الطور نظم الشاعر أنشودة كانت تغنّى جماعيا عنوانها "يا زمان... يا زمان"[3]. وفيها يقول:

يـــا زمــــان.. يـــا زمــــان — كـــل الـــدنيا بقـــتْ إخـــوانْ
.. أنـا جيـت لـك يـا بـلاد سـينا — يـــاللى اسمـــك جبـــل الطـــورْ
النــــاس فاكرينــــكْ ضــــلمةْ — وانْـــتِ عليكـــى بركـــةْ ونـــورْ

....

ودّونـــى الطـــور ونفـــونى — غـــدْر وظلـــم... وعـــدوانْ
علـــشان مـــا بـــصوم وباصـــلّى — وأعبــــد ربـــــى... الـــديّان

---

(١) تحت راية الفاروق ٤٨.

(٢) السابق ٥٠.

(٣) الحق المبين فى أناشيد الإخوان المسلمين ٤١ وأنغام هذه الأنشودة صعيدية. والمطلع على نغمة (سلموا لى عليه). وباقى الأنشودة على نغمة (يا وابور الساعة ١٢).

ع المركـب رحنـا فْـواجْ فْـواجْ | وبقينـا هنـاك ألوفـاتْ
وتـشوفنا تقـول دول عيلـةْ | وتلاقـى ألكـل خْـواتْ
يـا زمـان.. يـا زمـان.. | كـل الـدنيا بقـت إخـوان
سـكان سـينا بلـد بركـاتْ | نـاس أُمـرا وطيـبين
فرحـوا بينـا وصـلوا معانـا | وبقـو إخـوان مـسلمين
يـا زمـان.. يـا زمـان | كـل الـدنيا بقـت إخـوان

وكان هناك من الإخوان – فى الثلاثينيات والأربعينيات- شعراء ينظمون بالعامية، وخصوصا الأناشيد، ولكنها كانت على مستوى الشُّعب، ينشدها الجوالة فى المناسبات الإسلامية، والاستعراضات الكشفية، وقد استمعت لكثير منها، ولكنها للأسف لم تجمع فى دواوين، كما أن أغلبها لم ينشر فى صحف الإخوان[1].

***

(١) وما زال يعلق بحافظتى نشيد غناه جوالة بور سعيد فى زيارتهم للمنزلة مسقط رأسى، وذلك سنة ١٩٤٧، وكان المنشد الرئيسى الذى يقود الكورس –واسمه رجاء مكاوى- جميل الصوت آسر النبرات، ومن كلمات هذا النشيد:

يـارب بـارك فـى الإخـوانْ | يـارب بـاركْ فـى الإخـوان

بارك ياربي

يـارب بـارك فـى الإخـوان | وانـصر مرشـدْنا
قائـد دعوتنـا... | يـارب بـارك

بارك يا ربى

المبحث الثانى: العيلى "أمير الزجل"

ولكن بين يدى الآن ديوانًا كاملاً فى الزجل نظمه عبد اللطيف العيلى مندوب جوالة الإخوان المسلمين بشعبة "ملوى"[1]. وفى السطور الآتية نقف وقفة أمام هذا الديوان الزجلى القيم، وقد استهله الشاعر الزجال –قبل المقدمة– بنداء متوهج للمسلم يقول فيه:

"أيها المسلم: تذكر أنك محتاج فتعلمْ، وضعيف فتقوَّ، ومتفرق فاتحد، وأعزل فاستعد، ومستعبد فتحرر.

أيها المسلم: لا حياة إلا بغاية، ولا غاية إلا بوسيلة، ولا وسيلة إلا بقيادة، ولا قيادة إلا بدستور، ولا دستور إلا بعمل. فليكن الله غايتك، والجهاد وسيلتك، والرسول قدوتك، والقرآن طريقتك، والشهادة أمنيتك، تكن السعادة نهايتك.

أيها المسلم: المرشد يدعوك، والإخوان ينتظرونك، فهيا إلى الانضواء تحت لواء دعوة "الإخوان المسلمين" دعوة العقيدة والجهاد والنصر. وامددْ كفك لتبايعَ فضيلة مرشدنا العام الأستاذ "حسن البنا"، أو نوابه فى الأقاليم، فالإخوان لهم فى كل بلد دار، وفى كل قرية مقر. وإليك أركان بيعتنا:

بيعـــة الإخـــوان أُســـسْها ... عـــشرة فـــاحفظ فـــى الفـــؤادْ
تـــضحيةْ، وفهـــمْ، وأخـــوةْ ... والتجـــــردْ والجهـــــادْ
والعمـــــل، وثبـــاتْ وطاعـــةْ ... والثقـــــة، وإخـــــلاص مـــــتينْ
يالّلـــهْ بـــايع لاجْـــل تبقـــى ... مـــن جنـــود المـــسلمين

وفى هذه الأبيات استطاع الشاعر ببراعة وعفوية، أن يضمّن أبياته الأركان العشرة التى شرحها الإمام حسن البنا فى رسالة التعاليم، وهى: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة[2].

المحاور والمعروض

وهذا الديوان الزجلى يدور على عدد من المحاور أهمها:

١– عرض مبادئ الإخوان وشعاراتهم.

---

(١) وعنوانه: فى مبادئ الإخوان المسلمين: دعوة الحق والقوة والحرية. ط(١) شوال ١٣٥٩ – المطبعة الأهلية بملوى.

(٢) ارجع إلى "رسالة التعاليم" للإمام البنا فى مجموعة الرسائل (٣٨٧–٤٠٥). (دار الدعوة – الإسكندرية ١٩٨٩).

٢- المناسبات الإسلامية كالإسراء والمعراج.

٣- جهود الإخوان فى سبيل رفع شأن الإسلام والانتصار لدعوتهم.

٤- الإشادة بمرشد الجماعة والدعوة إلى بيعته والسير على درب الإيمان والحق معه.

٥- حث المسلمين على التمسك بعقيدتهم، والتحلى بقيم الإسلام، والجهاد فى سبيله، والتضحية من أجله، والتوحد والتعاون على البر والتقوى.

٦- الإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ، وأبطال المسلمين، وحث المسلمين على الاقتداء بهم، وإعادة أمجادهم.

ومن أوْفَى قصائده الزجلية وأنضجها قصيدة "الله أكبر"[1] وهى قصيدة طويلة نقتطف منها المقطوعة الآتية:

اهتفـــوا الله أكـــبرْ ... وانـــشروها للـــسلامْ
واســتعدوا صــف واحــدْ ... واخمــدوا نــار الخــصام
دينّــا واحــدْ ليــه نزاعنــا ... نــادوا نــادُوا بالوئــام
واعملــوا يــا جنــد طــه ... انقــضى عهــد الكــلام
الحقــوا حوشــوا أمْكــمْ ... تحــت أســنان الكــلاب
اصــرخوا: الله أكــبر... ... اهتفــوا بْهــا يــا شــباب
اكتبوهــا بــدم أحمــرْ.. ... وارفعوهــا ع الحــرابْ

ويخص الشاعر ذكرى الإسراء والمعراج بقصيدة جاء فيها[2]:

....

الرســول طــه المعظــم ... لمــا زاد للــرب. شــوقُهْ
جــه بــراق مخــصوص مطهَّــمْ ... والأمــين جبريــل يــسوقه

لاجل خير الخلق طه

الرسل فـى القـدس جُـمْ لـكْ ... لاجْــل إظهــار الكرامــةْ
صــف واحــد صــلوا خلفــك ... اعــتراف لــك بالإمامــةْ

يا حبيب ربك يا طه

---

(١) الديوان ٧.

(٢) الديوان ١٩ .

....

السما نارت برسمة	لما كان طالع يهادى
عند عرش الله بإسمة	استمع لله ينادى

مرحبا بحبيبى طه

وعاش حسن البنا مرشدا، وقائدا للجماعة، وهم يُجمعون على حبه والاعتزاز به، والإشادة به، فى كل المناسبات ومن ذلك قول الشاعر:

النسيم عمال يهفهفْ	خلَّى كل الأرض جنةْ
والقلوب فى الكون بتهتفْ	مرحبا أهلا يا بَنّاْ

البلد نالتْ مناها

لك دُرَرْ فى الحق غاليةْ	لك عمل فاق الكلامْ
يا حسنْ لك همة عاليةْ	أمضَى من حد الحسام

فى السما ساكنةْ فى علاها

مهما أمدح مش هاوَفّى	وابقى يا مرشد ظلمتَكْ
يا حسنْ اسمك دا يكفى	فى الدلالة عن عظمتَكْ

بَنّاْ للإخوان بناها[1]

وإذا كان الشاعر يشيد بالمبادئ والقيم الإسلامية، وبدعوة الإخوان، ومرشدها، وجنودها، فإنه -بالمقابل- ينعى على حضارة الغرب، ومذاهبه، وسياساته، وزعمائه، كما نرى فى قول الشاعر:

النيران فى الغرب قادتْ..	عمَّ تحصدْ فى البريةْ
والمبادئ السافلة هاجتْ	من فشسْت ومن نزيّةْ

ومن شيوعى ومن سواها[2]

دبّاتْ إيه وإيه مدافع	وإيه غازات أو إيه قنابل؟
دا الإله عنك يدافع..	لو لنصر الدين تقاتلْ

لاجْل تحيى شرع طهَ

ألف دوتشى، وألف هتلرْ	لو يعدّوا ألف حملة

---

(١) الديوان ٢٠، وانظر الصفحات ٩، ١١، ١٤.

(٢) الفاشية والنازية والشيوعية مذاهب سياسية غربية.

وألـــف مـــسيو وألـــف مـــسترْ   يعجـــزوا عـــن قتـــل نملـــةْ

لو أراد الله حماها(١)

ويوظف الشاعر ظاهرة فنية معروفة عند شعراء الفصحى، وهى "ظاهرة التشخيص".. أى إبراز غير البشرى فى صورة بشرية كأنه إنسان نبضا، وإحساسا، وقولا وسلوكا. ونرى هذه الظاهرة فى "حمامة غار الهجرة"، فى الحوارية الآتية:

أنـــا شـــفت حمامـــةْ   قلتلـــــها قـــــوليلى
عـــن يـــوم الهجـــرةْ..   يـــا حمامـــةْ احكيلـــي
عشـــــشتى وبـــــضْتى   علـــــى بـــــاب الغـــــار
ضـــــللتى الكفـــــرة..   وعملتـــــى ســـــتار
قـــام قالـــت أبـــدا   دا نـــــور المختـــــار
مـــن شـــدة ضـــوءهْ   أعمـــــى الكفـــــارْ
هـــاجر متخفـــى..   مـــن مكـــة لطيبـــة
ورجـــع بفيـــالقْ   وبـــألف كتيبـــة
والنـــاس فـــى شـــريعته   دخلـــت أفـــواج
كـــان قاضـــى فـــى شـــعبه   نـــصر الأخـــلاقْ
وقانونـــه قرآنـــه   تـــأليف خـــلاق(٢)

ونكتفى بهذه النماذج التى اخترناها مـن هـذا الـديوان الزجلـى القـيم، وفيـه نـرى الشاعر الزجال متمكنا من لغته وفنه: فكرا، وتصويرا وتعبيرا، وقد جمع بين عفوية الأداء، وجمال التصوير، وموسيقية النظم ورشاقته.

***

(١) الديوان ٢١-٢٢. والدوتشى هو موسولينى زعيم الطليان.
(٢) السابق ١١-١٢.

الباب الثالث

من شعراء الإخوان

الفصل الأول: عبد الحكيم عابدين

(١٣٣٢-١٣٩٦هـ) (١٩١٤- ١٩٧٦م)

يعتبر عبد الحكيم عابدين من أهم الشخصيات على المستوى العام، وعلى مستوى الوجود الإخوانى، ويرجع ذلك إلى أسباب متعددة من أهمها:

١- موهبته الفطرية شاعرا مطبوعا، وخطيبا مفوها ذا إلقاء آسر جذاب.

٢- قوة شخصيته وفاعليته، وقدرته على الاندماج والتكيف والإدارة، وإثبات الوجود الذاتى. وهى ملامح اعترف بها -عمليا- الأساتذة الكبار، فكان مدير الجامعة أحمد لطفى السيد، وعميد كلية الآداب طه حسين يأنسان للطالب عبد الحكيم عابدين، بحكم نضوجه الأدبى، وسرعة بديهته، ونزعته الشعرية الأصيلة، حتى إن طه حسين كان يطارحه الشعر، وكان لطفى السيد يسأل الطالب عبد الحكيم عن دعوة الإخوان المسلمين، وعابدين يشرح له، ويتدخل طه حسين، ويقول لمدير الجامعة: إن الإخوان المسلمين يريدون أن يستردوا الأندلس.

٣- الأدوار التى اضطلع، وقام بها فى جماعة الإخوان، ونشاطه الدعوى والسياسى فى البلاد العربية والإسلامية.

مسيرة طويلة وحياة حافلة

- ولد عبد الحكيم عابدين سنة ١٩١٤ فى قرية "فيدمين" مركز "طامية" بمحافظة الفيوم بمصر.
- درس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل على إجازة اللغة العربية وآدابها (الليسانس) عام ١٩٣٧م.
- حصل على إجازة الحقوق عام ١٩٥٤.
- عمل بإدارة جامعة القاهرة بعد تخرجه عام ١٩٣٤، (أمينا لمكتبة الجامعة).
- تعرف على دعوة الإخوان وأخلص الودّ لها وهو طالب فى الجامعة، وكان معجبا بمنهج الأستاذ البنا فى الدعوة واختيار الشخصيات التى تمثل اللبنات الأولى فى بنائها.

يقول عبد الحكيم فى مذكراته "... كان الأستاذ البنا يعمد إلى انتقاء لبنات الأساس الأولى للدعوة من العناصر التى لا يُعرف عنها أى سمْت دينى، فالتقط هذه اللبنات من

المقاهى لا من المساجد. ولما جاء إلى القاهرة حرص على أن يلتقط لبنات الأساس الأولى للدعوة من الجامعة قبل أن يتجه إلى الأزهر، ولعل حكمته فى ذلك -كما يبدو لى- أنه يريد القلوب الخالية، والعقول التى لم ترهق أو تفسد بالقضايا الجدلية والنظرية، وبتصور احتكار الدعوة الإسلامية، وما شاكل ذلك...".

- عمل سكرتيرا عاما للإخوان المسلمين بمصر.
- اختاره الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ليكون مستشارا للهيئة العربية العليا فى بيروت تحت رياسة سماحته.
- اختارته رابطة العالم الإسلامى بمكة ليكون مستشارا لها.
- قام برحلات دعوية متعددة إلى سوريا ولبنان والسعودية والأردن وفلسطين والعراق واليمن.
- اعتقل مع إخوانه حين حُلت الجماعة فى ٨/ ١٢/ ١٩٤٨ وخرج من السجن بعد أن ألغت حكومة الوفد الأحكام العرفية سنة ١٩٥٠، وسقط قرار الحل.
- خرج من مصر للحج قبل حادث المنشية، فقد ألصق العساكر بالإخوان – كذبا وزورا- تهمة محاولة اغتيال عبد الناصر سنة ١٩٥٤. ولم يعد بعدها إلى مصر لأن الحكومة العسكرية قامت باعتقال آلاف من الإخوان بمصر، وزجت بهم فى السجون، وشنقت عددا من قادتهم، وبقى عبد الحكيم عابدين يتنقل من بلد عربى إلى آخر، باذلا أقصى جهده للدعوة، ونصرة دين الله، وإعزاز كلمة الإسلام.
- عاد إلى مصر سنة ١٩٧٥ حيث مارس العمل الدعوى مع إخوانه بقيادة المرشد الثالث عمر التلمسانى، وانتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٧٧، بعد عمر حافل بالنشاط الإسلامى داخل مصر وخارجها منذ شبابه، حتى آخر مراحل شيخوخته[١].

آفاقه الشعرية

صدر لعبد الحكيم عابدين ديوانه الوحيد "البوكير" الذى جمع أغلب شعره، وقد قدمه لقرائه فى ٨من ذى الحجة سنة ١٣٥٥هـ - ٩ من فبراير سنة ١٩٣٧م. وقد أهداه إلى

(١) ارجع إلى مذكرات وذكريات عبد الحكيم عابدين (مسجلة صوتيا).- ومعجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين: إعداد أحمد الجدع ٥٧٨-٥٧٩- المجلد الثاني:- والمستشار عبدالله العقيل: من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة ٥٠٩-٥١٨. مكتبة المنار الإسلامية- الكويت ١٤٢٢-٢٠٠١م.

المرشد حسن البنا "الرجل الفرد فى رجولته .. الغريب الذى يصلح فساد الزمن... واسطة العقد بين الشباب والإسلام.. الشاب الذى يبهر الدنيا قبل اكتهاله.. ولتعلمن نبأه بعد حين"...

وهو إهداء شاعرى ينم على حب الشاعر لأستاذه المرشد.

وهو حب يمتد ويتغلغل فى دعوة الإخوان، وعنها يقول فى تقديمه لديوانه أنها "امتزجت بدمى، وسيطرت على وجدانى -فى غفلة منى- باندماجى بين جماعة الإخوان المسلمين الذين أحسنوا فهم الإسلام حين أساء فهمه الناس، واقتنعوا بكفايته لتمدين الحياة حين تنكر له الناس، وأعدوا مناهجهم واعتدّوا بإيمانهم وما يملكون من قوة لإعادة القرآن دستورًا للدنيا.. فلم يقفوا من فهمه عند حد الصلاة والصوم، بل ذكروا أنفسهم والناس مع ذلك فريضة الجهاد فى سبيل الله التى كان طغيان المادة على المسلمين صارفًا لهم عنها...".

وديوان "البواكير" الذى نظمه الشاعر، تدور قصائده على عدة محاور رئيسية هى -كما رتبت فى الديوان:

١- تحت الراية الإسلامية (٣-٦١).

٢- بين يدى الوطن (٦٥-١٠٣).

٣- فى الحرم الجامعى (١٠٦-١٥٥).

٤- حديث الوجدان (غزل عفيف) (١٥٦-١٧٦).

٥- فى الميادين المختلفة (١٧٨-١٨٦).

الشعر الإسلامى

وواضح أن الشعر الإسلامى له النصيب الأوْفى من هذا الديوان، وليس هذا غريبا من شاعر اعتنق مبادئ دعوة الإخوان وعاش لها.

وهذا الشعر الإسلامى عالج موضوعات متعددة أهمها:

- المناسبات التاريخية الإسلامية كالهجرة والإسراء.
- الدعوة إلى فهم الإسلام حتى يقوم اعتناقه على أساس سليم.
- تمجيد الإسلام كشفاء لأمراض المجتمع، وحل لمشكلاته، وسبيل إلى إنقاذ البشرية من السقوط والضياع والانهيار.
- تمجيد القيم الإسلامية مثل الأخوة والحب والوحدة والاعتصام بكتاب الله.
- أهم عوامل النصر والتقدم والنهوض بالإسلام وشعوبه.

- رسالة المسلم وأبعادها، والغاية التى يجب أن يحرص على تحقيقها.
- الإشادة بالإخوان المسلمين وجهادهم، وجهودهم للنهوض بالشباب والمجتمع.
- الإشادة بجهاد فلسطين، ونهوض الحجاز.
- أناشيد إسلامية للشباب بخاصة.
- نزعة صوفية، وجنوح روحانى فى قصائد وشعر تمثيلى.
- أناشيد فى الجهاد، والدعوة إلى الحق والقوة والحرية.

ونعيش مع قطوف من هذا الشعر تبين عن ملامحه، ومنهج الشاعر الموضوعى والفنى، فنلتقى بقصيدة من أهم قصائدهم بعنوان "سبيل النجاة"[1] ألقاها الشاعر فى اجتماع للإخوان بمدينة السويس وفيها يقول:

وداعٍ إلى الإصلاح قلتُ له استقمْ ... على أدب الإسلام يكفيك ما تدعو
فكل نداء فى سوى بوقِهِ سُدى ... وكل بناء لم يؤسس به صدْعُ
وكل جهاد بعده عبث وإن ... تفانت له الدنيا وأيده الجمع

ويتحدث الشاعر عن إخفاق التجارب البشرية لإنقاذ المجتمع، ويعرض مظاهر الداءين اللذين يستبدان به وهما الداء الاجتماعى، والداء النفسى. ثم يربط بين إنقاذ المجتمع ودعوة الإخوان، فيقول:

فأين الطبيبُ المستمَدّ دواؤُهُ ... من الله يُرجى للبلاء به دفْع؟
هو الحسن البناءْ حسبك باسمه ... دليلا فهذا الاسم من أصله فرع

....

ولست أرى فضلا له غير أنه ... تبوع لآثار الرسول بما يدعو
ومن حوله الإخوان جندٌ بواسل ... أعزاء لم يُحددْ أمانيَّهم وُسْعُ
تآخَوْا على القرآن واعتصموا به ... فعز لهم من سِرّ روعته درعُ

....

يعدون للأحداث سيفا ومصحفا ... وهذا هو الإسلام لو يفقه الجمع
إذا قرب الإسلام بالضيم باطل ... أصاب حشاشات القلوب له صدع

---

(١) البواكير ٣.

وخفـــوا إليـــه بالـــسلاحين ذادةً ... ففى القلب إيمان وفى سيفهم فجْـع
نواصـــع إيمـــانٍ تناضـــل دونهـــا ... لوامعُ أسيافٍ إذا احتـدم الـصرْع
وهـــذى ســـبيل المجـــد حـــق وقـــوة ... وذل عـــرين لـــيس يحرســـه ســـبعُ

وفى قصائد المناسبات الإسلامية لا يقف الشاعر موقف المؤرخ الراصد، فهـو –وإن عرض شـرائح تاريخيـة مـن الحـدث التـاريخى- يجعـل همـه الأول الـربط بـين الماضـى والحاضر، ويتحدث عن حاضر الأمة الإسلامية، ويحثهـا فـى حاضـرها الموكـوس علـى استعادة ماضيها الشامخ المنتصر، ولن يكون ذلك إلا بتشكيل جديـد لنـسيج الشخـصية المسلمة بالإخلاص العملى، والولاء الحقيقى ما فيه من قيم عليا كإعداد القوة واستشعار العزة واستعلاء الإيمان، والتوحد والأخوة والاعتصام بكتاب الله[1].

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى قصيدته "نزعة صوفية"[2] ووقفنا وقفة طويلة أمـام قـصيدته الصوفية التمثيلية "رابطة القبر"[3] ومع ذلك نكتشف أن هذه "النزعة الصوفية" تطبع شـرائح فى عدد من قصائده الأخرى كما نرى فى المطلع التالى لقصيدته "عدة النصر"[4].

تقصَ ما شئتَ أخطـائى وسُـوءاتى ... فمـا برحـت غريقـا فـى صـباباتى
وما يـزال الجمـالُ الحـر لى مـثلا... ... مـــن قـــدرة الله أُوليـــهِ تحيـــاتى
تـــالله لم أهْـــوَ حـــسنا لا يقربنـــى ... شـوقا لخالقـه فـى كـل خُطْـواتى
ولا عـــشقتُ جمـــالا لا يـــدلّهنى ... بـــالله حبـــا ويغـــرى بالعبـــادات

الأناشيد والسياسة والرثاء

وفى الجزء الثانى من ديوان "البوكير" يكثر الشاعر من الأناشيد الوطنيـة، وبعـضها لا يخلو من بصمات دينية، ومن هذه الأناشيد: فى حمى الله –الحق والقـوة- نـشيد الثـورة- النشيد الوطنى- نشيد العلم- فليحى النيل- فتاة النيل- إننى شبل الهرم.

وفى هذا الباب قصيدة تمثيلية –أشرنا إليها من قبل بعنوان "بين خوفـو والفـاروق"[5]، أعدها الشاعر لتمثل فى حفلة أسرة خوفو من تلامذة الفصول التجريبية بمعهـد التربيـة، ويهيمن عليها اعتزاز الشاعر بأمجاد التاريخين الفرعونى والعربى.

(١) انظر فى "البواكير" قصيدة "ذكرى الهجرة" ٥ – قصيدة "الإسراء" ٩.
(٢) البواكير ٤٤.
(٣) البواكير ٤٩.
(٤) البواكير ١٦.
(٥) البواكير ٨٣-٨٦.

وفى قصيدة نرى الشاعر يشيد بوزارة نسيم باشا[1] وسمى عهده "عهد الحرية"[2]. كما يمدح العقاد بقصيدة "أحمل لواء الرأى"[3]، وبضراوة عاتية يهاجم بؤرة من بؤر العبث والفساد، وهى "سيرك هاجنبك بشبرا" سنة ١٩٣٣[4].

وأهم ما يشد النظر -فى هذا الباب- قصائد الرثاء الأربع: الأولى فى رثاء أخته بعنوان "اليقظان الحالم"[5].

وهى قصيدة -على حرارة عاطفتها- لا تخلو من التكلف، كما يكثر فيها الغريب.

وفى الملك فؤاد نظم الشاعر مرثيتين: الأولى مطولة بائية تربو على مائة بيت[6]، والثانية من قرابة عشرين بيتا، ومع كثرة الغريب فيهما، نرى إغراقات فادحة فى المبالغة، وأغلبها غير مستساغ. من ذلك قوله:

قم يا فؤاد تر الإسلامَ فى حَزَن ... وغُرَّ أبنائه أنضاءَ منتحِبِ[7]

لو كان يجديك منهم فديةٌ لفدَوْا ... قلامةَ الظفر بالأرواح عن طرب

وفى مطلع القصيدة الثانية إغراق فى صورة تثير الضحك من حيث أراد الشاعر أن يبعث فينا الحزن والأسى. يقول الشاعر:

قمْ امسك الأهرامَ أن تتصدعا ... بوثاق عزم من جنابك أروعا

ما كدتَ تُنْعَى فى ظلال صخورها ... حتى تداعتْ حسرةً.. وتفجعا

بطشتْ بناعيك الحزين كأنما ... وَتِرتْ فتُرْن تشفيا ممن نَعى

ولا كذلك مطولته الرثائية بعنوان "الشاعر الشهيد"[8] وقد نظمها شاعرنا فى الذكرى الأولى لشهيد الوطن عبد الحكم الجراحى.

وفى هذه المرثية بلغ عابدين شأوا رائعا يُلحق قصيدته بمراثى كبار الشعراء مثل شوقى وحافظ وخليل مطران، وخصوصا مراثيهم فى الزعيم المصرى الشاب مصطفى كامل.

---

(١) رئيس وزراء مصر آنذاك.

(٢) البواكير ٦٥.

(٣) البواكير ٦٨.

(٤) البواكير ٧٠. والقصيدة بعنوان "لقد رقدت ضمائرنا".

(٥) البواكير ٧٢.

(٦) البواكير ٧٥. وعنوانها الفاجعة.

(٧) أنضاء جمع: نضو: وهو الضعيف النحيل الهزيل.

(٨) البواكير ٨٧-٩١.

وفى القصيدة عاطفة صادقة وتصوير بارع.وأداء لغوى أخاذ، يكثر الشاعر فيه من أسلوب الالتفات، وفيها معان أبكار. منها ما يخاطب به الشهيد الجراحى، مشيدا بإقباله على الفداء دون وجل أو خوف:

أقبلتَ تستبق الصفوفَ بعزمةٍ ... شمُّ الجبال ذكرْنها بحياءِ
فتُظنُّ إذ تجرى الأمام إلى الفدى ... تجرى -مخافة قاتل- للوراء
ورويت بالدم بقعة غُصبت به ... فإذا بها تُؤتى ثمار فداء
وإذا الشهادة للعلا زُلفى، فيا ... أحببْ بها زلفى إلى العلياء

ومن ذلك ما بسطه الشاعر من أثر الشهادة فى توحيد الأمة فى مواجهة الأعداء، فيقول:

لم ألْق مثل الرزء فيك موحِّدا ... لعواطف الأحزاب والزعماء
جمعتْهمو فيك الفجيعة فاغتدوْا ... سدّا يصدّ غوائلَ الأعداء
لا يطمع الأعداء بعدك أن يروا ... بصفوفنا فُرجا لدسٍّ مُرائى
هيهات أن يتستروا بخصامنا ... فى مسٍّ هذى العزة القعساء

فى رحاب الجامعة

وفى رحاب الجامعة كان لعبد الحكيم شعر كثير، وأهمه المسرحية الطويلة "انتصار"[(1)]. وقد عرضناها من قبل فى باب الشعر التمثيلى، كنموذج للمسرحية السياسية، وفيها ينتصر الشاعر لطه حسين فى مواجهة التيارات التى تتصدى له[(2)]...

وكما أشاد عبد الحكيم بكتاب طه حسين "فى الشعر الجاهلى" أشاد بكتب "لطفى السيد". فهو يخاطبه قائلا[(3)]:

دعاكَ الفكرُ إذ غلّوك عونا ... ولم يرَ فى سواك العلمُ ذخرا
وجامعة لك ابْتُنيتْ عرينا ... بأشبال غدوتَ لهم هزبْرا
بعثتَ بها "أرسْطاليس" مجدا ... وشدتَ بها "لأفلاطون" عصرا
فكانت للهداة حمًى ومأوى ... وللباغين مهلكةً.. وقبرا

---

(1) البواكير ١٠٧-١٣٢.

(2) كان عبد الحكيم يعتز بطه حسين أستاذا وعميدا، ولكنه كان يعتز بنفسه، حريصا على كرامته. يقول عبد الحكيم فى مذكراته المسجلة صوتيًا: "... وكان الطلاب يترددون على باب الدكتور طه منذ دخوله الكلية فى الصباح إلى أن يوصلوه إلى سيارته، وكنا بحمد الله بعيدين عن ذلك كل البعد...".

(3) البواكير ١٣٤.

رماهـا ذو الغـرور بـسوء قـصد فكـان كنـاطح بـالرأس صـخرا

كما يشيد إشادة طيبة بكتاب "تاريخ الإسلام السياسى" للدكتور حسن إبراهيم. ومن أبياته:

كنـتَ، فيمـا جمعـت فيـه وحـدكْ تَ مثـالا للمنـصف المحمـودِ
شُبَهٌ مـن تحامـل الخـصم تجلـو ها عن الـدين مفحمـا فـى الـردود
فى كتابٍ أرخـت فيـه عـلا الإسـ ـلام عـن خـبرة وعلـم مديـد
فـاق –فيمـا تنـاول– "ابـن جريـر" وعـلا :"ابـنَ الأثـير" و"المسعودى"[1]

ومن شعره فى "المناسبات الجامعية" نقرأ لعبد الحكيم قصيدة بعنوان "من برج إلى برج" نظمها بمناسبة انتقال الدكتور منصور فهمى بك من كلية الآداب إلى دار الكتب.[2] وهى من شعره الجيد ومطلعها:

أيـن تنـوى عـن العـرين الـرحيلا قـف نمتـع بـك النفـوسَ قلـيلا
أيهـذا الأبُ الكـريمُ.. أنـاةً نـشف بـالقرب منـك هـذا الغلـيلا

غزليات عفيفة

وللشاعر فى ديوانه "غزليات" يغلب عليها طابعان: التقليدية والعذْرية، وأعتقد أنه نظمها – أو أغلبها– قبل انتسابه للإخوان المسلمين. وهذه الغزليات تتراوح ما بين القصيدة الطويلة، والمقطوعة التى لا تتعدى بضعة أبيات. وهى لا تعدم طرافة فى المعنى وجمالا فى التصوير، كما نرى فى الأبيات التالية من قصيدة "عصمة مريم"[3]:

أمـا رأيـتَ هواهـا بمهجتـى يـتحكمْ
أمـا ترانـى ضـنينا بهـا علـى كـل مُغـرَم
أغـار مـن كـأس مـاء لثغرهـا الحلـو يلـثم
ومـن نـسيم صـباح.. لهـا يحيـى ويبْـسم
أشـتطّ فـى بعـض صـحبي إذا أتاهـا يـسلم
أود أن جـوار الْـ ـفتاة فـيهم محـرَّم
وأنهـا فـى سمـاء ليـست تُحـف بـأنجم

---

(١) البواكير ١٤٢.
(٢) البواكير ١٤٦. وهى من شعره الجيد. ومطلعها:
(٣) البواكير ١٦٧-١٦٩

فــلا يراهـــا ســـوى شـــا عـــرٍ بهـــا الـــشعر يُلْهـــم

ولكن شعر الغزل هذا لا يخلو من الشطط الذى يخدش العقيدة، ويسىء إلى الحس الدينى، كما نرى فى الأبيات الآتية:

- هـل بعـد حـسنك مُنْيـة لمتـيم عَلَـق المحبـةَ واصـطلى بلظاهـا
لـولا يقينـى بالإلـه وخوفـه لعبـدتُ فـى ذاكِ الجمـال إلهـا[1]

- لا تعجبـى لهـواى رغـم تـدينى عـشق الجمـالِ الحـر خـيرُ تـدين[2]

ولـيس لأنفـس العـشاق عـز سـوى أن تـستبد بهـا الكعـاب
بنفـسى نظـرة لـولا يقينـى سـجدتُ لهـا وأدركنـى ارتيـاب[3]

وهذه الأبيات قليلة –بل نادرة– فى الديوان. ومضمونها تكرار لمضامين قديمة كقول الشاعر:

أديـنُ بـدين الحـب أنّـى توجهـتْ ركائبـه بالحـبُّ دينـى وإيمـانى

فى ميادين شتى

ويختم الشاعر ديوانه بقصائد ومقطوعات عالج بها موضوعات متعـددة، لا ينظمها سلك واحد: كقصيدة عن الفلاح أهداها لبنت الشاطئ "نصيرة الفلاح"، وقصيدته عن "إدوارد الثامن" –ملك العاشقين. وإشادة بصديق تبرع بتصوير وكتابة الأكلشيهات فى ديوانه. وقصيدته عن سامر القرية، وأخرى عن "ساقى الشاى"، وثالثة بعنوان "شهيد المروءة" فى رثاء صديق احترق لينقذ امرأة من النار.

وهناك معنى طريف عالجه الشاعر فى قصيدة بعنوان "نصيحة مردودة"[4]، وما أظن أن أحدا سبق عابدين إلى هذا المعنى. وقد استهل قصيدته بقوله:

يقولـون لى لا تـنظم الـشعر طالبـا فمـضيعةٌ للوقـتِ أن تـنظم الـشعرا
لقـد حكمـوا إدًّا، عفـا الله عنهمـو وقـالوا بمـا لم يعلمـوا فـأَتوْا نُكـرا
تُرى حـسبوا نظـم القـريض تجارة إذا لم تـساقط ربحهـا لاقـت الهجْـرا
هى النفس ترضـى أو تهـاج فينـثني بهـا القلـب وجـدانا فأرسـله شعـرا

(١) البواكير ١٥٦.
(٢) البواكير ١٦١.
(٣) البواكير ١٦٦ .
(٤) البواكير ١٨٠.

وقفة نقدية

بعد هذا العرض، وبعد ما قدمناه من تقييمات جزئية لبعض هذا الشعر نختم حديثنا عن شاعرنا وشعره بوقفة نقدية شاملة، وإن كانت موجزة. ومن فضول القول أن نحكم بأنه متعدد الأغراض، وأنه قدير على النظم فى شتى الموضوعات، كما أنه متمكن من لغته، يملك رصيدا ضخما من ألفاظ العربية، وأنه ينهل من ثقافة إسلامية وعربية واسعة.

وهو ذو طابع تقليدى فى نظمه، ومن مظاهر ذلك حرصه على الأوزان الخليلية، وأصالة اللغة ورصانتها واستهلاله كثيرا من قصائده بمطالع غزلية، يخلص منها إلى الغرض الأصلى للقصيدة، وهو نهج عربى قديم معروف من أول نشأة الشعر العربى.

وفى تضاعيف بعض القصائد نقرأ للشاعر بعض الحكم التقليدية، ومنها على سبيل التمثيل.

- فما الحقّ إن لم تمنع البيضُ حوضَه ... بأخلق أن يُعطَى الحياة ولا أحرى
وأكفلُ منه للسيادة باطل.. ... تقوم عليه السمهرية لا يُفرى[1]
- ما فى الحياة توسط: إما البلى ... يمحو، وإما عزة تتسامى
طرفان إن يك من وسيط فيهما ... فهو النفاق وساء ذاك مراما[2]
- وارْضَ الحياة على الكفاف محقّرا ... ترف الحياة محطّما أغلالَهُ
فلأن تعيش على الكفاف أحبُّ من ... رغدٍ تفيأ بالهوان ظلالَهُ[3]

وفى القصائد كثير من الاقتباسات والتضمينات التّراثية، كقوله:

- يتمتعون ويأكلون وما لهم ... من غاية فى العيش كالأنعام[4]
- إن تنصروا الرحمنَ ينصركم ومَنْ ... أوْفَى من الرحمن بالأحكام[5]
- كالجسم إن يألَمْ به عضو تبتْ ... أعضاؤه الأخرى عليه ثقالا[6]

وقد يضمِّن الشاعر شعره بيت شعر كاملا، كما فى قوله:

---

(١) البواكير ٨.

(٢) البواكير ١٣.

(٣) البواكير ١٠٣.

(٤) البواكير ٤٢.

يقول الله تعالى ﴿....أُولَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف ١٧٩].

(٥) البواكير ٤٣. يقول تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد ٧].

(٦) البواكير٢٤. فى حديث رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد....".

أتيت على رغم العداة ولم أكن | لعمرك لولا رحمة الله آتيا
(وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما | يظنان كل الظن ألا تلاقيا)[1]

والشاعر متأثر بقول الشاعر إسماعيل صبري:

لا القومُ قومي ولا الأعوان أعواني | إذا ونى يوم تحصيل العلا واني

وذلك في قوله:

إذا لم تشدّوا أزر إخوانكم فلا | دعوتكمو قومي، ولا عشت فيكمو[2]

وقوله:

لا كنت من قومي، ولا همْ معشري | إن قرّ جفنٌ فيهمو بمنامِ[3]

ومن بصمات الأمثال العربية ما نراه في قوله:

- سيفضل أمْسَها غدُها المرجَّى | وإن غدا لناظره قريبُ[4]
- واليوم عاد زمان الحق منتصرا | فليأخذ القوس -رغم الظلم- باريها[5]

ولكن يؤخذ على عابدين إكثاره من استخدام ألفاظ معجمية غير مألوفة، مثل: الشبا - ذماء- رجاس- أوام- دد- هيم- أنضاء- الدّرب- وناء- خُود- مكئود- الأماليد- موتود- فيح- الشبم.

ونحن في وقتنا الحاضر ننفر من الكلمات المعجمية غير المألوفة في لغة العصر، ذلك أن هذا الغريب يحتفظ بجزء من معنى القصيدة في خارجها.. في القاموس، وهذا في صميمه يتعارض مع التعبير، ومع لحظة الإبداع عند الشاعر.

والقصيدة التي تحوجنا أن نقرأ عنها حاشية أو شرحا نثريا ليست قصيدة جيدة.. لأن الشاعر بذلك يرضى أن يضع لقصيدته حواشي وهوامش.

كما أن استعمال الشاعر هذه الكلمات يفتت إحساسات القارئ للشعر الجميل،

---

(١) البواكير ٣٢.
(٢) البواكير ٣٤.
(٣) البواكير ٤٢ .
(٤) البواكير ٨٦.
(٥) البواكير ١٠٦.

وذلك أن القصيدة تصل إلى التأثير فى نفس المتلقى بما تثيره فيه آنيا من حماسة وخيال ولذة، فإذا وردت فيها ألفاظ قاموسية لا تفهم كان على القارئ أن يوقف عملية التذوق، ويلجأ إلى القاموس لتبين معنى هذه الألفاظ، ومن ثم يواصل القراءة، ولا يخفى أن الاستجابة للشعر لا تحتمل أن تؤجل، أو أن تبتر، أو تقسم إلى لحظتين. أو لنقل أن الألفاظ المعجمية تفتقد ما تمنحه الحياة من حرارة وحيوية، ولذلك تأتى جامدة عبر القصيدة، وكأنها بقعة ميتة فى جسد حى، توجع أو تخدش النظر[1].

فالقارئ وهو يقرأ قصيدة من هذا النوع يكون بالخيار بين أمرين كلاهما مرّ:

١- إما أن يواصل القراءة متخطيا ما فيها من غريب دون أن يفهمه. وبذلك يخرج من قراءته بمفهوم عام متعدد الفجوات.

٢- وإما أن يتوقف عند كل كلمة غريبة، فيرجع إلى الهامش النثرى الشارح -إن وجد- أو يستعين بالمعاجم اللغوية ليتكامل فهمه، وبذلك ينتزع نفسه بعيدا عن الجو النفسى الذى يسود القصيدة، والوهج العاطفى الذى ينبعث منها. فإذا أخذ بالأول أساء إلى فكره وفهمه، وإذا أخذ بالثانى عطل الإثارة العاطفية المتوهجة.

وبجانب هذه المآخذ نرى من أهم مظاهر الجديد عند عبد الحكيم تلاحم القصيدة فى وحدة عضوية متكاملة فكرا وتصويرا وتعبيرا. وفى تصويره تظهر صفة التناسب بين الغرض الشعرى والمعنى من جهة، والألفاظ جزالة وقوة أو رقة وتدفقا من جهة أخرى، فمن الأول قوله فى تصوير الشباب المسلم[2]:

بدمى وروحى الفتيةَ الأشبالا	الحافظين عهودَهم أجيالا
الخالعين على الصباح جماله	والساطعين على الفضاء هلالا
المانحين شذا الورود أريجَهُ	النافذين إلى الظلامِ نبالا
الكاشفين دجى الخطوب إذا بدتْ	والراجعين ضحى بها الآصالا
الطامحين إلى الثريا منزلا	الآنفين سوى السماء مجالا
العاقدين على السيوف رجاءهم	والخائضين غمارَها استبسالا
الواهبين العزّ سِلْما نفْسهم	والحاسبين لظى قناه ظلالا

(١) انظر لنازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ٢٠٥-٢٠٦ القاهرة- مكتبة النهضة ١٩٦٧.
وكذلك محاضرات فى شعر على محمود طه: ١٧٦-١٧٧. القاهرة- معهد الدراسات العربية ١٩٦٤.
(٢) البواكير ٢٢.

البائعين بلاَهم أرواحهم | الناهضين بشمّها أحمالا
النافذين إلى المنى كسهامهم | الجاهلين مع المضاء مُحالا
الداعمين إياءهم بدمائهم | الناسفين به ربّى وجبالا

ومن الثانى حيث تتناسب الكلمات رقة وصفاء وشفافية وسهولة وتدفقا مع ملائكية الطفولة الباكرة فى قصيدته الفائقة ليلى: صديقتى الرضيع[1]

هزئت بالبدر ليلى | إذ بدتْ تختال ليلا
يتهادى المركب السوا | نى بها تيهًا ودلا
وهى فى الديباج غرقى | ترفا تزهو ونبلا
ملْؤها خفة روح | وبها النعمة تجلى
كملت حسنا ولما | تكتمل فى العمر حولا
طفلة تُغرى الفتى اليا | فعَ أن يرجع طفلا
يثب القلبُ حنانا | إن رآها تتجلى
وإذا داعبتُها لم | أرع لى سنًّا وعقلا
كم تجاهلتُ وقارى | وقلبت الجِدَّ هزلا

ولم يخل شعر عبد الحكيم من تجديد فى الشكل، وإن جاء ذلك فى عدد محدود من قصائده. فاستخدم نظام المقطوعة التى تلتزم وحدة الوزن، مع اختلاف القافية، كما نرى فى قصيدة وردة الصدر[2] ومنها الأبيات التالية:

يا وردةً فى صدر من أهوى | تزْهو بنضرتها على الورد
كُفى أمام جمالها الزّهوا | هلا فُتِنْتِ بحمرة الخد؟

***

زينتِها، بل زينتْكِ فلم | يظفر بحسنك فى الربى زهرُ
حسدتْك أزهار الربيع ولِمْ | لا تُحسدينَ وغصنُك البدْر؟

ومن قبيل التجديد فى القالب الشعري: النظم على طريقة الموشحات، وإن جاء ذلك فى قصيدة واحدة من ديوانه عنوانها أغنية ذل الهوى[3]، ومنها:

---

(١) البواكير ١٨٣.
(٢) البواكير ١٦٥.
(٣) البواكير ١٦٢.

هتفـــــــــــت بـــــــــــــى فـإذا للـسحر فـى فـى أذْنـى رنـينْ
ويحـــــــــــج قلبـــــــــــــــى لم يعـــد يحلـــو لـــه إلا الأنـــين

أيها القلبُ رويدا
لا تكنْ للحب صيدا
إن صيد الحب ما عاش سجينْ

والخلاصة – فى إيجاز– أن عبد الحكيم عابدين هو أشهر شعراء الإخوان، وأبعـدهم صيتا، وأوسعهم ثقافة، وأكثرهم تمكنا من لغته.

يضاف إلى ذلك براعته فى إلقاء شعره. يرحمه الله.

***

الفصل الثانى: إبراهيم عبد الفتاح

شاعر من الشعراء المطبوعين، عاش فياضا بالكلمة الشاعرة أكثر من نصف قرن، وكان يجمع بين شاعرية النظم، وشاعرية الإلقاء. كتب الدكتور محمد رجب البيومى "... وأذكر أننى شرفت -أول ما شرفت- بسماع شعر الأستاذ إبراهيم ذات عشية فى إحدى الحفلات الدينية المباركة حيث قدمه الإمام الشهيد حسن البنا بكلمات صادقة مخلصة كانت قصيدة الأستاذ فيما بعد خير برهان على صدقها الأصيل.

وما زلت من يومها أشرئب إلى شعره فى كل مناسبة تحين. وكان من حظى أن شاركته فى بعض المحافل الشعرية بالمنصورة حيث كان رائع الأداء، بارع الإيحاء، قوى الإلهام"[1].

وأذكر -وأنا طالب فى المرحلة الثانوية- أننى التقيتُه فى حفل أقامه الإخوان بمدينة المنزلة فى أواخر الأربعينيات من القرن الماضى، وألقيت فى الحفل كلمة الطلاب، ثم جاء دور الرجل، فعلق على كلمتى بكلمات مشجعات طيبات، قبل أن يلقى قصيدته الرائعة التى شدت إليه جموع الحاضرين.

مسيرة الحياة

ولد إبراهيم أحمد عبد الفتاح فى "ديرب نجم" شرقية - بمصر فى ٩ من أغسطس سنة ١٩٠٩م.

- تخرج فى كلية دار العلوم العليا سنة ١٩٣٥م.
- اشتغل بالتدريس، ثم ناظرا بالمرحلة الإعدادية، ثم موجها للغة العربية بالمرحلتين: الإعدادية والثانوية.
- أحيل إلى المعاش (التقاعد) فى أغسطس سنة ١٩٦٩م.
- ثم عينه الإمام الدكتور عبد الحليم محمود مستشارا لشيخ الأزهر لشئون المعاهد الدينية بالإسكندرية.

---

(١) محمد رجب البيومى من تقديمه لمسرحية إبراهيم عبد الفتاح "لبنى وابن زريح" ٣، ٤.

- عكف على تأليف كتاب "القاموس القويم للقرآن الكريم". وطبعه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر على نفقته فى جزأين جاءا فى أكثر من ثمانمائة صفحة.
- نال – وهو طالب بدار العلوم– الجائزة الثانية فى الشعر فى موضوع "مشروع القرش" والذى اقترحه الأستاذ أحمد حسين رحمه الله سنة ١٩٣٤.
- ونال –وهو طالب بدار العلوم– الجائزة الثانية فى "عيد الوطن الاقتصادى" فى الشعر، ونشرت قصيدته الفائزة فى جريدة الأهرام فى مارس سنة ١٩٣٥.
- طبع له سنة ١٩٤٧ ديوان "من وحى الدعوة الإسلامية" وكتب مقدمته الإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام الأول للإخوان المسلمين. وأعيد طبعه سنة ١٩٨٩.
- وله مسرحية شعرية هى "لبنى وابن ذريح". وقد نظمها وهو طالب فى دار العلوم، وإن لم تطبع إلا بعد ذلك بعشرات من السنين.(١)

شعره المسرحى

ولإبراهيم عبد الفتاح – كما ذكرنا فى قسم الشعر المسرحى مسرحية شعرية طويلة، عنوانها "لبنى وابن ذريح" أو "فاتنة بنى كعب وشاعر الحجاز". نظمها قبل أن ينظم عزيز أباظة مسرحيته "قيس ولبنى" بعشر سنين. وإن أخذت مسرحية عزيز حظها من الذيوع طبعا وتمثيلا.

وقد عرضنا هذه المسرحية، ورأينا كيف كان الشاعر إبراهيم عبد الفتاح موفقا –إلى حد كبير– فى عمله هذا، ويزيد من تقديرنا له أن هذا العمل من بواكير أعماله الشعرية، كما يبقى له قصب السبق الزمنى فى نظم هذا العمل الدرامى، وإن تأخر طبعا وظهورا.

آفاقه الشعرية

غير قصائد نشرت فى صحف الإخوان ومجلاتهم نقرأ للشاعر ديوانا شعريا جامعا عنوانه "من وحى الدعوة الإسلامية"(٢).

ويظهر أن الشاعر كان يعتز بهذا الديوان اعتزازا خاصا، فمما كتبه فى تقديمه للطبعة الثانية "...ويسعدنى أن يعاد طبعه؛ ليعم النفع به. وسيجد فيه عشاق اللغة العربية والشباب المسلمون ما يغذى قلوبهم، وما يقوّم ألسنتهم، وما يحبب إليهم اللغة الفصحى،

---

(١) تعريف بالمؤلف ١٠٨-١٠٩ من مسرحية "لبنى وابن ذريح" وديوان من وحى الدعوة الإسلامية: ١٢٣.

(٢) اعتمدنا على الطبعة الثانية من هذا الديوان الصادرة فى نوفمبر سنة ١٩٨٩– (دار القبس للنشر والتوزيع– الإسكندرية).

فإنهم سيجدون فى هذا الشعر السهولة والوضوح، حتى كأنه نثر مفهوم قريب المأخذ، واضح المعانى، نبيل الغاية، شريف القصد..."[1].

ثم يحدثنا الشاعر عن الأفق الأساسى الذى سبح فيه هذا الشعر، فمعظمه هو صدى صادق، وصورة حية للأحاديث الشائقة والخطب البليغة التى كان يمتعنا بها إمامنا الشهيد المغفور له الأستاذ حسن البنا المرشد الأول للإخوان المسلمين، والتى كانت تفعل فى أرواحنا وقلوبنا فعل السحر، ولهذا سميته "من وحى الدعوة الإسلامية"، ففيه خلاصة دقيقة للمبادئ والأفكار التى كان يرددها، ويدعو إليها إمامنا الراحل الكريم رضوان الله عليه. فالذين فاتهم أن يستمعوا إليه فى حياته القصيرة المباركة يمكنهم أن يتعرفوا عليه، ويستحضروا صورته من خلال هذا الديوان..[2]

وأكد هذا المعنى الإمام الشهيد حسن البنا، فى تقديمه للديوان[3]، بقوله "... ولا زالت هذه الدعوة الربانية الكريمة تجد فى كل عصر من العلماء والعالمين، والخطباء، والقائلين، والشعراء، والمجاهدين من يجلو على الناس أنوارها، ويطلع فى سماء البيان شموسها وأقمارها، ويدلّهم على ما فيها للإنسانية من خير وبرّ وسعادة ومجد وجمال وجلال، وفضل وكمال "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"

... وممن وفقهم الله إلى سلوك سبيل دعوة الحق، والمناضلة عنها بموهبة الشعر الحكيم، ومشاعر من قيود الخوف وخشية غير الله طليقة، وعاطفة رابطتها بالملأ الأعلى، وبروح القدس قوية وثيقة: أخونا فى الله تبارك وتعالى الأستاذ "إبراهيم عبد الفتاح" الذى فتح الله عليه بفيض المعانى، فى درر من الألفاظ صاغها قصائد عصماء معبرا بها عن دعوة الإخوان، وإن شئت فدعوة الإسلام تعبيرا صادقا دقيقا، أصاب به المحز، وطبق فيه المفصل، وكان فيه على حد قول القائل:

إذا قال لم يتركْ مقالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصْلا
كفى وشفى ما فى النفوس فلم يدعْ ... لذى لسَنٍ فى القول جدًّا ولا هزْلا

وما اقتبسناه من المقدمتين: مقدمة الشاعر، ومقدمة الإمام الشهيد تضع أيدينا على أهم الموضوعات التى عالجها الشاعر فى ديوانه، وعلى جوهر الرسالة الإنسانية الإسلامية التى حرص على أدائها بنظمه، والأهداف التى توخى تحقيقها.

---

(١) التقديم ٥ .
(٢) السابق نفس الصفحة..
(٣) ٦-٧.

وأغلب الديوان نظم فى حياة الإمام الشهيد حسن البنا، وفى الطبعة الثانية من الديوان ملحق بما زاده الشاعر، وهو عشر قصائد، منها اثنتان نظمهما فى حياة المرشد الشهيد، وبقية الملحق قصائد نظمت بعد استشهاده بسنوات، وكان أقدمها قصيدة من وحى المولد النبوى بنادى المعلمين بالإسكندرية سنة ١٩٦٢[١].

وأهم الموضوعات التى عالجها الشاعر فى ديوانه:

١- المناسبات الإسلامية: كمولد الرسول ﷺ- والهجرة والإسراء والمعراج.

٢- حفلات الإخوان، ومؤتمراتهم، ومهرجانات الجوالة.

٣- مدح الإمام حسن البنا فى قصائد مستقلة (مثل رسالة إلى أخى فى الله ومرشدى إلى طريق الحق الأستاذ حسن البنا)[٢] (وقصيدة: زيارة أخى فى الله)[٣].

٤- عرض فكر الإخوان، ومنهجهم، وجهادهم.

٥- موضوعات عامة عالجها فى القصائد الآتية: ماذا فعلت الحرب- فضل المدارس- عيد الوطن الاقتصادى- مشروع القرش- شهداء المنصورة- شهداء الطيران- فى ظلال القومية العربية[٤].

رهافة الحس وحضور البديهة

والشاعر -كما ذكرت آنفا من الشعراء المطبوعين، والمتمكنين من لغتهم، المتميزين برهافة الحسّ، وسرعة الاستجابة للتعبير عن أفكاره، والقدرة على الإضافة والارتجال، حتى يخيل للقارئ أن الشعر طوع أمره أنّى، وأيان ما شاء، واستدعاءه رهن بمشيئته، وكان الإمام الشهيد حسن البنا يؤمن بهذا الطابع فيه حتى إن الفرنسيين حينما اعتدوا اعتداءهم الغاشم فى ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٥ على سوريا أرسل الإمام الشهيد إلى الشاعر يطلب منه قصيدة يحيّى فيها المجاهدين من وفد سوريا ولبنان بالمركز العام للإخوان بالقاهرة، وكان إبراهيم بعيدا عن القاهرة، فأرسلها إليه على الفور، وألقاها الشاعر الكبير عبد الحكيم عابدين نيابة عنه[٥].

ومن رهافته الفنية، وسرعة استجابته للأحداث ومعايشتها فى تلقائية فورية أنه نظم مطولة وألقاها فى احتفال إخوان الزقازيق بذكرى الهجرة فى ٧/ ١/ ١٣٦٢هـ. وكان

(١) الديوان ١٠٥.

(٢) الديوان ٩٩.

(٣) السابق ١٠٠.

(٤) الديوان: ص٦٩-٧٠-٧٢-٨٣-٨٦-٨٨-٩٥(على التوالى).

(٥) انظر الديوان ٤٨.

الأستاذ عبد الحليم أباظة من إخوان الزقازيق، ومن أركان هذا الحفل وتوفى يوم الاحتفال، فختم قصيدته بأربعة أبيات فيه[١].

وسنرى -زيادة على ما قلناه آنفا- أن شعر الشاعر برىء من التكلف، والضرائر الشعرية، مع الحرص الشديد على وحدة الوزن والقافية. وهو -فيما أجملناه من الإشارة إلى بعض ملامحه الفنية، يذكرنا بقول خليل مطران عن شعره"... هذا شعر ليس ناظمه بعبده، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الصحيح، باللفظ الفصيح. ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد.. بل ينظر إل جمال البيت فى ذاته، وفى موضعه، وإلى جملة القصيدة فى تركيبها، وفى ترتيبها، وفى تناسق معانيها وتوافقها، مع ندور التصور، وغرابة الموضوع، ومطابقة كل ذلك للحقيقة، وشفوفه عن الشعور الحر، وتحرى دقة الوصف، واستيفائه فيه على قدر"[٢].

منهج القصيدة والملامح الفنية

الشاعر طويل النفس، فأغلب ما نظمه مطولات فائقة الطول، كقصيدته فى الاحتفال بزيارة فضيلة المرشد العام لمدينة "أبى كبير" فى ١٠من رجب ١٣٦٢هـ (١٣ من يوليو ١٩٤٣)[٣]، وهى نونية من ستة وستين بيتا.

وقصيدته فى احتفال إخوان الزقازيق بذكرى الهجرة فى ١٨ من المحرم سنة ١٣٦٣[٤]، وهى عينية من أربعة وثمانين بيتا.

ومطولته الرائية التى بلغت سبعة وتسعين بيتا بعنوان "قصيدة الشمال"[٥]، وقد ألقاها فى مؤتمر الإخوان المسلمين الذى أقاموه بالمركز العام سنة ١٩٤٦. وفى المؤتمر ألقى الأستاذ "جمال السنهورى" شاعر جنوب الوادى -قصيدته، وتلاها إلقاء "شاعر الشمال" قصيدته هذه.

---

(١) الديوان ١١ .

(٢) خليل مطران من تقديمه لديوانه (ديوان الخليل١/ ٩)- دار الكتاب العربى- بيروت. لبنان- طـ٣ -١٩٦٧.

(٣) الديوان ٢٠-٢٤.

(٤) الديوان ٣٠-٣٤.

(٥) الديوان ٦٣-٦٧.

وكل قصيدة من قصائد الشاعر -مهما كان طولها- مقسمة إلى أقسام، وكل قسم مُصدَّر بعنوان يمثل موقفا، أو مشهدا، أو يعبر عن رؤية فكرية، وكل هذه العناوين الداخلية تنتمى إلى العنوان الرئيسى للقصيدة. ففى قصيدته (الإسراء والمعراج)[1].

يندرج تحت هذا العنوان الرئيسى العناوين الداخلية الآتية:

- فرضتْ الصلاة فى السماء.
- والنجم إذا هوى.
- وحدة الوجود فى الإسراء.
- إثبات المعجزة.
- الأخ المسلم.
- من هم العظماء حقا؟
- وصف الشارة.
- حال المسلمين اليوم.
- ماذا نريد؟

وهذه العناوين الجزئية الداخلية ترتبط "بالعنوان الأم" ارتباط الأجزاء بالكل، فهى لم تُفقد القصيدة وحدتها العضوية، بدليل أننا لو حذفناها لظلت القصيدة مترابطة فى سياقها الفكرى والتصويرى فى تكاملية متماسكة. ولا نشعر بشىء من التعسف إلا نادرا كإقْحام الشاعر عنوان "سينما السماء" فى سياق حديثه عن الإسراء والمعراج. وقد بدا العنوان غريبا، منافرا فى تصويره ومضمونه الفكرى للعناوين الداخلية الأخرى، وقد يكون سبب هذا الإقحام حرص الشاعر على توظيف "العصرى" فى خدمة التراثى... ومن أبيات هذا المشهد "سينما السماء".

وخيالة مِنْ صنع ربِّك مثَّلتْ ... صورَ الحياةِ وغائبَ الأنباءِ
وممثلوها من ملائكة السما ... لا من هُواة الفن والخلعاء
عرضتْ رواياتِ الحياةِ بخيرها ... وبشرها فى دقةٍ وجلاءِ[2]

وفى القصيدة نفسها يبتعد الشاعر عن "روح الشعر" بإقحامه الحديث عن "قيمة الجنيه المصرى"، فيقول عن الإنجليز وقد كانوا يحتلون مصر، ويتحكمون فى اقتصادها:

لا يجمعون من الضرائب درهما ... ونقودنا لهمو بلا استثناء
همْ يصنعون لنا الجنيه مزيّفا ... هو سُبْع قيمته لدى العملاء
قد زالت الحرب العَوان فما لنا ... نشكو مظاهر فاقةٍ وغلاء؟[3]

---

(١) الديوان ٤٢-٤٥. وقد ألقاها الشاعر فى احتفال إخوان الزقازيق بهذه المناسبة، بحضور فضيلة المرشد العام. وألقاها مرة ثانية فى دمياط فى رجب سنة ١٣٦٦.

(٢) الديوان ٧٨.

(٣) الديوان ٨٠.

بواعث ودوافع

وثمة سؤال يفرض نفسه مؤدّاه: ما الذى دفع الشاعر إلى هذا "التجزىء العنوانى" أى تقسيم القصيدة الواحدة إلى قطع مختلفة العدد، على رأس كل قطعة عنوان مختلف عن بقية العناوين؟

إن الشاعر لم يصرح بإجابة هذا السؤال، وهذا لا يمنع من الاجتهاد لمعرفة المبرر -أو المبررات- لسلوك الشاعر هذا النهج، وأعتقد أنها تتمثل فيما يأتى:

١- اتباع بعض فحول الشعراء فى سلوك هذا النهج فى بعض مطولاتهم الشعرية، مثل حافظ إبراهيم فى العمرية[1]، ومثل أحمد شوقى فى مطولته "صدى الحرب" فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية[2]، وفيها نلقى العناوين الداخلية الآتية: الجلوس الأسعد - حلم عظيم، وبطش أعظم- معجزات الجنود على الحدود- زينب بنى عثمان- الحالة فى بحر الروم- منعة السواحل العثمانية- زينب المتطوعة فى موقعة- مضيق ملونا- الحاج عبد الأزل باشا- هزيمة طرناو- التلاقى فى سهل فرسالا- غضب دوموقو- أحلام اليونان- عفو القادر- التماس القبول.

٢- وفى تعداد العناوين تنويع قد يذهب الملالة عن القارئ.

٣- معروف عن الإخوان الحرص على حفظ النماذج الراقية من النثر والشعر، والتمثيل والاستشهاد بها. فكأنما أراد الشاعر بهذا التقسيم أن يسهل مسألة الاختيار الشعرى على القراء.

أقول هذا على سبيل الاستنتاج، وأرى أن العامل أو المبرر الأول هو أقوى هذه المبررات.

مسار القصيدة

تبدأ القصيدة -وخصوصا المطولة- باستهلال مناسب لغرض القصيدة، ثم بعد ذلك يخلص الشاعر إلى غرض -أو أغراض- القصيدة التى تكون غالبا الثناء على المرشد البنا قائد الجماعة، وعرض مضامين دعوة الإخوان، وفكرهم وجهادهم.

والشاعر -فى استهلالاته- يحرص على التدفق الوجدانى، وجمال التصوير، وبراعة الأداء ليشد القارئ إلى الغرض الذى يخلص إليه بعد ذلك. ومن أمثلة هذه الاستهلالات:

الشمس تعلم أن الليل جلاّها ... فأرجعتْهُ نهارا من مُحياها

(١) انظر: ديوان حافظ إبراهيم ١/ ٧٧-٩٧ (دار العودة- بيروت).

(٢) انظر: الشوقيات ١/ ٤٢-٥٨(دار الكتاب العربى- بيروت).

قد داعبت أعينَ الوادى أشعتُها فأيقظتهــا وكــان النــوم غــشاها
فـلا نـرى فـى بـلاد النيـل أجمعهـا عينا تلاقـى علـى الأقـذاء جفناهـا

ثم يخلص الشاعر بعد ذلك مباشرة إلى الحديث عن "البنّاء" مرشد الإخوان، وعن دعوة الإخوان ومبادئها:

شمــسٌ تــسلمها البنّــاء مــشرقةً وفى سمـاء الهـدى للنـاس أعلاهـا
هدايــةٌ وضــياء ســنّةٌ وســنا وديعــةُ الله للإخــوان أهــداها
شمسٌ بلا فلَك فـى راحتـىْ مَلَـكٍ مبـاركٍ حـسنِ الأخـلاقِ بناهـا
إذا بنــى فمــن الإســلام بنيتــه ومــن مبادئــه بــالحق أنــشأها
دســتوره مــن كتــاب الله متخــذ كـل الدسـاتير وحـىُ الله ألغاهـا[1]

ونلاحظ أن أغلب هذه الاستهلالات تعرض مشاهد من الطبيعة، وتخلص منه – ببراعة– إلى المضامين الفكرية التى تمثل الغرض الأصلى الأساسى من القصيدة.

مرشد الإخوان

ولا تكاد قصيدة تخلو من الحديث عن مرشد الإخوان ودوره فى نصرة الإسلام، وغرس القيم الإسلامية فى نفوس الإخوان. كما نرى فى الأبيات الآتية:

يــا مرشــدَ الإخــوان ألــف تحيــة أنــت الــذى للــصالحات هــدانى

....

قد كنتُ مَيْت القلب مطموس الحجا فــسُقيتُ مــن يمنــاك مــا أحيــانى
منــك الــدواء أخذتُــه فحمدتُــه أنـت الطبيـب لكـل قلـب عـان[2]

وكان الإخوان –من شدة حبهم للمرشد– يقبلون على كلماته، ويحفظونها. وكثيرا ما كان –رحمه الله– يردد أنه لا يخاف على الإخوان الدنيا مجتمعة، إنما يخشى عليهم أنفسهم والخلاف المؤدى للفرقة. وقد ضمن الشاعر أبياتا له هذه المعانى فى قوله:

قــد قــال مرشــدنا الحكيم مقالــةً أنزلتُهــا فــى القلــب خيرَ مكــانِ
لــسنا نخــاف المعتــدين وبطــشَهمْ فــالله ناصــرنا علـــى العــدوان
وأشــد مــا أخــشى ويجعــلُ صــفنا دكًّـا خـلافُ الـرأى فـى الإخـوان

---

(١) عن قصيدة ألقاها الشاعر فى مؤتمر الإخوان المسلمين بالزقازيق فى ٢٧/ ١٠/ ١٩٤٥ للمطالب القومية. الديوان ٣٥.

(٢) الديوان ٢٣.

فتـآلفوا فـى الله صـفا واحـدا.. تحظـوْا مـن الـرحمن بالرضـوان[1]

ومن الأبيات الجامعة التى عالج فيها الشاعر الجوانـب المتعـددة للمرشـد. وتجميعـه الرجال على دعوة الحق قول الشاعر:

وما مذهبُ الإخوان إن كنت سائلا؟ فلـيس لهـم إلا إلى اللهِ مـذهبُ
ومَنْ قائدُ الإخوان فى كل حادث؟ هو المصطفى الهادى الرسول المحبَّبُ
ومن ملجأ الإخوان فى كل حادث هـو اللهُ واللاجـى لـه لا يُخيَّـب
ومـن مرشـدُ الإخـوان لله دره؟ إمـامٌ سياسـىٌ ولىٌ مقـرّب
هـو الحـسنُ البنَّـاءُ يكـره مـدْحنا له وهو فيضُ الحب والحبُ أغلب[2]
فيـا مرشـد الإخـوان عفـوا فإنمـا هو الحـب يملـى مـا نقـولُ ونكتـب
جمعـت مـن الإخـوان كـل مهـذب يناصـره فـى الله شـهمٌ مهـذب
كتائـب ألقـتْ فـى يـديك زمامهـا ليـوم جهـادٍ جاهـدٍ تتوثـب
إذا حَمَّدوا أو كـبروا مـن قلـوبهم تُزلـزَل أعـصابُ الوجـودِ وتُرعـب
بنـاهم مـن القـرآن بنَّـاء عـصْرِهِ ولقـنهم آدابَـه فتـأدبوا
هـم الـصفُّ رصَّـتْه عنايـة ربِّـه فلا تُقْب يومـا فـى نواحيه يُثْقَب
بهم دولُ الإسـلام ترقـى كعهـدها ويعتدل الصرح الذى كاد يُقْلـب[3]

إنه التجذير السديد، وإبراز المرجعية الثرية السمحاء: فالله هو الغاية، والرسـول هـو الزعيم القدوة والأسوة، والقرآن هو الدستور، وحسن البنا هو قائد المسيرة المباركـة فـى العصر الحديث. ويقول الشاعر على لسان الإخوان:

نحن بعنـا النفـوسَ فـى حـبِّ ديـنٍ بـاع آباؤنـا لـه كـلَّ غـال
لم يـضنُّو بـأنفس غاليـاتٍ كبُـر الظـنُّ أن يَـضنّوا بمـالِ
وبنـوْه لنـا أعـزُّ منيعـا... ثابـت الـركن مـستفيض الظـلال
لا يريد الإخـوانُ فـى الـدهر شـيئا غـير مرضـاة ربِّهـم ذى الجـلال

---

(١) الديوان ٢٣. وانظر ٣٣، ٤٦.

(٢) نظم الشاعر قصيدة فى مدح المرشد فى أول عهده به سنة ١٩٤١، وأرسلها إليه، فلما قابله قال له: ".. ليتـك تجعـل شعرك للدعوة لا لسحن البنا، فأنا لا أحب أن يمدحنى إخوانى، فأنا أعرف بنفسى منهم، وكلنـا إخـوان فـى الله.." (الديوان ١٠٠).

(٣) الديوان ١٢، ١٣.

لا يريدُ الإخوان فى النـاس حكمـا بـل يريـدون حاكمـا ذا كمـال[١]

وحديث الشاعر عن الإخوان ومبادئهم وشعاراتهم ومرشدهم له مكان كـذلك فـى قصائد المناسبات التاريخية الإسلامية كالإسراء والمعراج[٢] وذكرى الهجرة[٣] وغيرها.

فى قصائد المناسبات

والشاعر فى قصيدة المناسبة "يجمع بين حسن الاستهلال، والعـرض الأفقـى لـبعض وقـائع الحـدث، والـربط بـين الماضـى والحاضـر، واسـتخلاص الـدروس والعـبر التـى تستخلص من الحدث التاريخى. فهو مثلا فى قصيدته عن الهجرة[٤] يتحدث عن تعـصب المشركين ضد النبى والإسلام، وقيام النبى ﷺ بالهجرة بعد تـآمرهم، وواقعـة سـراقة بـن مالك، واستقبال المدينة للرسول عليه السلام، ولكن الـدروس والعـبر، وواقـع الحاضـر المعيش... كل أولئك يستغرق أغلب أبيات القـصيدة، ومـن ذلـك أبياتـه –تحـت عنـوان جزئى داخل القصيدة هو "الهجرة تعلمنا السياسة" وفيها يقول:

هل حركت هجرةُ المختـار أنفسنا ونبهـت نائمـا عـن حقـه هَجَعَـا؟

إلى متـى نتـوارى فـى سياسـتنا ونصحب المخزيين: الذلَّ والضَّرعا؟

كنـا الملـوكَ وطيْـرُ الـيُمن يخـدمنا والآن طائرنـا عـن عُـشِّه وقعـا

ويقول تحت عنوان "كيف تؤيد الإسلام":

تأييـدك الـدين أن تُعنَـى بدعوتـه وأن تكون لـصوت الحـقِّ مـستمعا

وأن تـساير روح العـصر محترسـا من أن تُظاهر قوما أظهـروا البـدعا

ولا تكـنْ كـذوى جهـل وشـعْبذَةٍ ظنوا الجمود على ما عندهم ورعـا

إن تطلـب المجـد بالأعمـال صـالحة وصـابرا صـابرا لَبَّـاك وارتجعـا

وفى دفع الشاعر الاتهامات والشُّبه عن الإخوان نراه يعتمد علـى المنطـق والمناقـشة العقلية والواقع الصادق المشهود، وبعض وقائع التـاريخ. ومـن ذلـك قـول الـشاعر فـى الاستقالات المزعومة[٥].

---

(١) الديوان ٥٩.

(٢) الديوان ٤٢.

(٣) الديوان ٣٠.

(٤) الديوان ٣٠-٣٤.

(٥) كانت جريدة "صوت الأمة" الناطقة باسم حزب الوفد تنشر كل يوم تحت عنوان "هذه الجماعة تهوى" أسماء وهمية، وتدعى أنها أسماء أعضاء من الإخوان استقالوا من الجماعة.

وأما استقالاتُ الضلال فخدعةٌ بها ابتلىَ الإسلامُ فهْىَ تكرر
لقد آمن الكفارُ وجه نهارهم خداعا وقالوا آخر اليوم نكفر
ليرجع عن دين النبى محمدٍ أناس لعل الدين يهوى ويُدحر
فما ضرَّ دين الله ما دبّروا له وخابوا كما خاب الضلال المدّبر
جماعتنا تعلو وربك غالبٌ على أمره والخصْم بالكيد يُنحر
أما كان خيرا أن يعادوا عدونا فعما قريب حرُبه تتسعّر
أسودٌ علينا شرها ليس ينتهى وهنّ نعاماتٌ من الحرب تنفر[1]

كما فند الشاعر تهمة اشتغال الإخوان بالسياسة من هؤلاء القائلين: لا سياسة فى الدين، ولا دين فى السياسة. وفى ذلك يقول الشاعر:

يقولون: قد خاضو السياسة قل لهم: أليس من القرآن أسمى معانيها
أيعجبهم أن ساسنا كلُّ ظالم وكل ضعيف الدين فى مصرَ يخْزيها
تساسُ بدنيا الملحدين أمورنا وشرعتُنا فى كل أمر نُجافيها
نريد جهاد الخصم فى بدْء أمرنا وكل بلاد المسلمين نفدّيها[2]

ويهدم الشاعر دعوى اليائسين المثبطين الذين يرون استحالة تحكيم الإسلام والقرآن فى وقتنا الحاضر فيقول:

ويئوس يقول أنتم ضعاف أقصروا القولَ فى الدعاوَى الطوال
إن تحقيقَ ما ترمون للدين فى مصرَ من ضروب المحالَ
تطلبون القرآن حكما وهذا مستحيل فى هذه الأحوالَ
أتريدون رجعنا ألف عام لقوانين تلكُمُ الأجيال؟
إن عصر البخار ينسخ فينا كل ما كان فى العصور التوالى
أيها البائس المكابر فى الحق ألسنا بالزيغ فى شر حال
كيف كان الأجداد فى ذلك العصْـ ـر أكانوا مثالَنا فى الوبال؟
كيفَ كانوا بحكم خير كتاب فى اعتزاز به أم اضمحلال؟
أرجوع الإنسان فى الحكم للّـ ـه ضلالٌ؟ أنعمْ به من ضلال
لا تقولوا ما يفعل الشرق فالشر ق ضعيفٌ مهلهل المجد بال
إنما نحن كثرة وافتراق الشمْـ ـل فى الشرق أصل هذا النّكالِ

---

(١) الديوان ٦٤-٦٥.

(٢) الديوان ٦١.

كـل بحـر يكـون مـن قطـراتٍ | كـل طـودٍ مـن ائـتلافِ الرمـال
لـو نهـضنا لزُحـزح الـنيرُ عنـا | ومحونـا آثـارَ هـذا الخبـال[1]

ويتصدّى الشاعر للذين ينكرون عروج النبى ﷺ إلى السماء بدعوى أن تكوين الإنسان أو طبيعته العضوية لا تتحمل الصعود إلى طبقات عليا ينعدم فيها الهواء، مع أن المسألة فى ذاتها معجزة مرجعها الله سبحانه وتعالى.

يقول الشاعر:

قالوا أيصعدُ فى السماء وليس فى | طبقاتهـا العليـا نـسيمُ هـواء؟
لا تجعلـوا أمـر الرسـولِ كـأمركمْ | فـالله رب المـوت والإحيـاء
أيخـافُ والـروحُ الأمـينُ رفيقـه | ذو مِـرَّة ذو القـوة الـشماء؟
نَسَمٌ مـن الفـردوس حـفَّ ركابَـه | أتـراه يـشعر بعـده بعنـاء؟
الله يخلـق مـا يـشاء مـصرِّفا | أمـر الوجـودِ بقـدرة وقـضاء[2]

ويأخذ كثير من المستشرقين وأعداء الإسلام على النبى ﷺ تعدد زوجاته، فيتصدى لهم الشاعر بعقلانية ومنطقية مفنّدا ما افتروا، فيقول فى سياق قصيدته فى ذكرى المولد النبوى:

قـالوا دعتْـه إلى الزوجـات شـهوته | لَـشَدَّ مـا خلطـوا فيـه ومـا وهمـوا
أيـن العفافـةُ فيـه وهْـى حليتُـه | وأين عصمته؟ يـا إفـكَ مـا زعمـوا
ألم يُخيَّرن فـى التسريح إن طلبـت | قلـوبهن نعيمـا لـيس يُغتـنم؟
هن الصوالح لم يطلبن من متع الـد | نيـا نـصيبا حقـيرا غِبُّـه الـوخم[3]

وبكل هذه المناقشات استطاع الشاعر أن يجمع بين الوجدانية الصادقة المتدفقة، والعقلانية التى تعكس قوة الحجة، وسطوع البراهين بعيدا عن التكلف والتعسف والافتعال.

---

(١) الديوان ٥٩.

(٢) الديوان ٧٩. وقد ردد الشاعر المعنى نفسه ص٤٣.

(٣) الديوان ٩٣-٩٤. وهو يشير فى البيتين الأخيرين إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب ٢٨، ٢٩].

وكان من الطبعى لشاعر ينضوى تحت لواء دعوة الإخوان، ويكون شاعرها المجلّى أن يتأثر بالأسلوب القرآنى، ففى تضاعيف قصائده نلتقى أبياتا تظهر عليها البصمات القرآنية على مستوى البيت الواحد، ومستوى المشهد المتكامل، ونسوق - فيما يأتى- بعضها على سبيل التمثيل:

لقد كتبَ اللهُ الجلاء عليهمو فإن يرفضوه فالعذاب المدمر(1)
إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا فالفلك تجرى عليها خيرُ رُبان(2)
سبحان من أسرى به إسراء وسما به فوق السماء سماء(3)
سبحان من أسرى بأشرف خلقه ليلا بكوكبه من الأضواء(4)
والنجم حين هوى لقد صعد الهدى كالنجم يسبح فى الوجود مُضاءً
ما ضل صاحبكم ولم ينطق لكم إلا بما يوحى له إيحاءً
ورفيقه فى أفْقه الأعلى أخٌ ذو مِرة ذو قوة شمّاء
جبريل مأمونُ السماء أمينها لأمين مكة بالبشائرُ جاء
صدق الفؤادُ فلا تُمار فقد رأى الـ آيات كبرى تملأ الأرجاءَ
فى جنّة المأوى رأى أبرارها فى النارِ أبصر من طغى وأساء(5)

ومن فضول القول أن نشير إلى أن هناك فى ساحة الإخوان المسلمين من مشاهير الشعراء: أحمد حسن الباقورى، ورشيد أبو مرة وغيرهما كما أن هناك عشرات - إن لم

---

(1) الديوان ٦٧- يقول الله تعالى عن اليهود: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ [الحشر:٣].

(2) الديوان٤١- يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[محمد:٧].

(3) الديوان٤١ .

(4) الديوان٧٧- يقول تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ...... ﴾[الإسراء:١].

(5) الديوان: ٤٢-٤٣. ارجع إلى الآيات من ١-١٨ من سورة النجم، وخصوصا الآيات الآتية: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾[٥-٦]، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [١١-١٥].

يكن مئات من شعراء فى الشعب والمناطق بعيدا عن العاصمة. وكلهم -المشاهير والمغامير- يجمعهم وحدة الهدف، ونبل الوسيلة، والإيمان القوى الصادق، والحرص على نصرة الإسلام.

***

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه المسيرة الطويلة التى عشنا فيها "التاريخ الشعرى" للإخوان على مدى عقدين من الزمان (١٩٢٨- ١٩٤٨)، أصبح من السهل علينا -بالاستقراء- أن ندرك أن الشعر كان آلية مهمة من آليات الدعوة الإخوانية، وإن أتى فى مرتبة متأخرة عن الخطابة، كما كان مرآة عكستْ كثيرا من القيم التراثية الخلقية والأدبية، ونبض المجتمع المصرى والعربى والإسلامى.

ومرشد الجماعة -مع أنه لم يكن شاعرا- كان ذا حافظة قوية جدا تختزن كثيرا من المأثورات الشعرية، وخصوصا القديم منها، وكان -رحمه الله- ذا ذائقة فنية راقية فى اختيار نماذجه، والاستشهاد بها فى الوقت المناسب، كما كان يشجع شعراء الإخوان، ويشيد بهم، ويكتب مقدمات دواوين بعضهم. وله فى نقد الشعر ورسالته آراء طيبة جدا.

وقد رأينا أن شعراء الإخوان عالجوا بشعرهم أغلب الموضوعات التى علاجها غيرهم من الشعراء فى المجالات الدينية، والتاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والوطنية. وإن غلب على شعرهم معالجة الموضوعات الدينية، وما يتعلق بها من مناسبات ووقائع وشخصيات.

ومع تعدد الموضوعات تعددت الأجناس الشعرية، كالشعر الغنائى، والشعر التمثيلى، والشعر التاريخى، ويتراوح شعرهم التاريخى بين مطولات ملحمية فائقة الطول، وقصائد موجزة. وفى أغلب الأحوال كان شعراء الإخوان يربطون بين هذا المعروض والواقع المعيش، ويعتصرون منه الدروس والقيم والعظات النافعة.

ومن ناحية أخرى: وظفوا المنطق العقلى، ومشاهد العلم والحياة فى تفنيد ما يثيره أعداء الإسلام من شبه حول الدين ورسوله، وحقائق الدعوة الإسلامية والمنهج الإخوانى فى الدعوة والتربية، ومعالجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

وكان أكثر الشعراء تنويعا وتلوينا وتعديدا لهذه الأجناس عبد الحكيم عابدين رحمه الله.

واهتم شعراء الإخوان اهتماما خاصا بالأناشيد على مستوى الشُعب، وعلى المستوى العام، وذلك بالعامية والفصيحة، وما جاء هذا الاهتمام إلا لأن الإخوان اهتموا بتربية الشباب، وتكوين فرق الجوالة. ومعروف أن الأناشيد تبعث فى النفوس الحماسة،

والاعتزاز بالنفس، وتكوين الروح الجماعى فى نفوس الإخوان -بصفة عامة- والشباب بصفة خاصة. وبعض هذه الأناشيد كان من القوة حتى إن كلماتها ما زالت تتردد، وصداها يملأ الآذان والقلوب حتى الآن.

ونذكر -فى هذا السياق- أن الإخوان اهتموا كذلك فى أشعارهم بعرض مبادئ الجماعة، والدعوة إليها، والانتصار لها، والإشادة برجالها، وعلى رأسهم مرشد الجماعة الذى عاش مجاهدا، ومات شهيدا، والوقوف عند مصادر الدعوة من قرآن وسنة، وعمل السلف الصالح، والأحداث الإسلامية الكبرى، وبعض قضايا العالم الإسلامى.

وعولجت هذه المضامين: إما فى قصائد مستقلة، وإما فى تضاعيف قصائد أخرى.

وجاء نظم الشعراء، على (البحور الخليلية) فالقصيدة تلتزم بوحدة الوزن، ووحدة القافية، أى الوزن الواحد، والقافية الواحدة. وإذا استثنينا الأناشيد، قلّ -وربما ندر- أن يتبع الشعراء نظام الموشحات والمقطوعة. ولكننا نعثر -ضمن ما قدمه شعراء الإخوان- على عمل إبداعى يماثل -أو يشبه إلى حد كبير- ما يسمى حاليا بقصيدة النثر. ونحن ننقله بنصه- فى خاتمة بحثنا هذا- للتاريخ[1]:

استثقلوا الحق
والحق ثقيل مرىء
واستخفوا الباطل
والباطلُ خفيف وبىء
وتناسوا الماضى..
ذاك الماضى القريب..
فلا عظة ولا اعتبار

***

هاجموا عرين الأسد
وانتهكوا حرمة درا الإخوان
وآثروا الغفلة
لقاء ابتسامة من عاهل الاستعمار

(١) خليل عشماوى -النذير- العدد١٤- السنة الأولى- ٣ من رجب١٣٥٧- ٢٩ من أغسطس١٩٣٨.

استحبّوا الخسيسَ من الشهوة..
شهوة الحكم لأشهُر معدودات
وما درَوْا أن الوزارة عارية
ليست بذات خلود
نعم قدروا.... فتضحك الأقدار

***

أما أنت سيدى المرشد الجليلْ..
فى ذمة الله..
ما تلقاه من عسف وتنكيلْ
وفى سبيل الله جهاد من أجل أمة
يكاد يغشاها الموت..
فلا تكاد تفيق..
وتحول عنها الإسلام إلا قليلا

***

أمتى.. آه.. ثم آه... ثم آه
ليتك تدرين
ما يدبّر لك من مؤامرات
وما يحال لك فى الخفاء
فلو دريتِ
إذًا لحطمتِ أصنامك
وطهرت ديارك للصالحين
واقتديت (حسنا) الناصح الأمين

***

فإن أبيت النصح والإصغاء
وضننت بالبذل والفداء
إذًا فلْتحملى... وشيطانُ الخيانة

لعنـــــة الـــــشهداء والــــضحايا

مـــــن أصـــــحاب محمـــــد

الـذين فاضـت أرواحهـم الطـاهرة..

وهـــم يهتفـــون للـــسميع العلـــيم:

"اللـهم اجعـل الإسـلام لمـصر دينـا..

حتـــى يمجـــد فيهـــا اسمـــك

ويكـــــبر فيهـــــا تكـــــبيرا

وحتـى يرتـل فيهـا القـرآن تـرتيلا"

***

والعمل السابق – على تواضعه في الصياغة- يذكرنا –كما ذكرت- بما يسمى بقصيدة النثر. وهو يبدو عملا غريبا بين إبداعات الشعراء الإخوان الذين كانوا "اتباعيين"، ويسيرون على درب المدرسة الكلاسيكية الجديدة التي كان من رءوسها شوقي، وحافظ، وإسماعيل صبري، وأحمد نيسم، وأحمد محرم. مع غلبة الطوابع الإسلامية.

وفي الأداء التعبيري حافظ الشعراء على أصالة العربية، وظهرت البصمات التراثية في الإبداع، إذ كثر التناص في شكل اقتباسات وتضمينات من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والأمثال العربية، والصور القديمة.

وتبقى الصفة الجامعة لهذه المرحلة (١٩٢٨-١٩٤٨) بأنها مرحلة "التأسيس الشعري"، وإرساء الركائز التي انطلق منها الشعر إلى مرحلة جديدة استهلت بدايتها الجادة من سنة ١٩٤٩، أي من واقعة اغتيال المرشد الشهيد حسن البنا، رحمه الله.

وفي هذه المرحلة دار الشعر حول محاور متعددة من أهمها:

١- رثاء الإمام الشهيد، والإشادة بجهوده وجهاده في التوجيه والتربية، والانتصار للحق.

٢- ظهور "أدب المحنة" ومنه الشعر الذي نظمه الإخوان في السجون والمعتقلات[1]. ومن شعراء هذا اللون سيد قطب، ويوسف القرضاوي، وجمال فوزي، ومحمد عواد، ونجيب الكيلاني، وخصوصا في ديوانه "أغاني الغرباء".

---

(١) انظر: جابر قميحة: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف وخصوصًا الصفحات (١٩٥-٢٠٦).

٣- الانفتاح الواسع على القضايا الإسلامية، وخصوصا قصية فلسطين، ومعاناة أهلها والدعوة إلى الجهاد لتخليصها، وكانت ذات الحظ الأوْفى إذا قيست بحظ القضايا العربية والإسلامية من هذا الشعر.

٤- النقد السياسى للأوضاع الداخلية والخارجية، مع اطراد المشكلات، ومحاولات الغرب وأمريكا السيطرة والهيمنة على مقدرات الشعوب الإسلامية والعربية، وتوجيه سياستها، وربطها بعجلة التبعية.

وترتفع نبرة هذا النقد إلى درجة الحملات العاتية، وخصوصا على النظام العسكرى الدكتاتورى الرابض على صدر الشعب المصرى من قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢.

***

ملحق الشعر

شهيدا الطيران

إبراهيم عبد الفتاح[1]

رثاء النسرين المصريين: شهدى وحجاج سنة ١٩٣٤

أوسعتنى هما وصدرى ضيق ... يا أيها الخطب الملم المحدق
قد روع الهرمين أفجع روعة ... نبأ الشهيدين الأليم المصعق
فعلى وجوه القوم حزن جازع ... باك يكاد من الحرارة يخنق
لا عقل إلا ذاهل ومشيع ... لا جفن إلا سائل ومؤرق
قد مهدوا للفرقدين بحفرة ... ظلماء نورهما عليها يشرق
كم حلقا وسط السموات العلا ... والآن ضمهما الصفيح المطبق
بالموت يسكت ناطق ويقر مضـ ... ـطرب ويحتبس الجناح المطلق
لوددت أنهما بقلبى أضجعا ... بدل التراب وأنه لا يخفق
ووددت أنهما بدمعى غسلا ... وهو الطهور الخالص المترقرق
كفكف دموعك قد أفيض عليهما ... من مصر فيض حنانها المغدودق
لم يدرك الخطب الجسيم وهَوْلَهُ ... إلا الألى من بعد أن سعدوا شقوا
بكت السماء عليهما بدموعها ... وبكتهما مصر وضج المشرق
ما هز طير فى السماء جناحه ... إلا تمثل لى الجناح المحرق
علمان للطيران ماتا ميتة ... باتت لها أكبادنا تتشقق
ركبا الرجاء مسارعين إلى الحمى ... يدعوهما الشوق الملح المقلق
قد حلقا فوق الغمام جراءة ... فإذا الفضاء على الغمام محلّق
بعثتهمّا مصر فلما أصعدا ... فى الجد صادهما الحمام الأخرق
بعثتهما أملا فعادا غصة ... منها شرايين الحياة تمزق
تبعا رجاءهما فلما أدركا ... ما أمّلا غضب الزمان الأحمق
فرماهما والجو أكلف قاتم ... بسهام غدر كالصواعق تصعق
أرهف سيوفك يا زمان فإننا ... جند عزائمهم أحد وأصدق

---

(١) ديوان: من وحى الدعوة الإسلامية ٨٨-٨٩.

إنـا شـباب النيـل لـيس يعوقنـا ... عمـا نـروم مـن العـلاء معـوق
أجلب بخيلك ما استطعت تجد لنا ... عزمـا كفـيض النيـل إذ يتـدفق
إن مـات منـا فـى صـراعك فيلـق ... أورى عزائمـه لقهـرك فيلـق
يـا مـصر يـا بنـت الفراعنـة الأولى ... سـجد الزمـان لهـم ودان المشرق
صونى الوقار إذا دهى الأشـبال مـا ... يوهى الصفاة مـن القلـوب ويفلـق
وخذى مـن الـصبر الجميـل مـلاءة ... تضفو وتعجب فى المصاب وتونـق
لا تجزعـى يـا بنـت أكـرم عنـصر ... جزعـا يـضيق بـه الفخـار المعـرق
الحـزن عجـز والتـشكى ذلـة ... والـصبر بـالنفس الكريمـة أخلـق
سـبل العـلا زلاء مـن يجتازهـا ... قبـل الـتمكن لا محالـة يزلـق
هـل نالنـا مـا نـال إنجلـترا ... ممـا ينـوء بحامليـه ويرهـق
أو لم يبـد منطـادهم برجالـه ... أو لم يداهمـه الحمـام الأزرق
أو هـم بحـر الـصبر أخلـق مـنكم ... أم أنهـم لا يـشعرون بمـا لقـوا
قضت العلا أن ليس يطعم شـهدها ... إلا فـم لمريرهـا يتـذوق
إن كـان مـتن الـريح حينـا محرقـا ... فـالبر يهلـك والبحـار تغـرق
لا تأس فى خطب فمن نفض الأسى ... واليـأس عنـه نـال مـا يتعـشق
كفكف دموعك يابن مـصر تجمـلا ... فالـصبر بـالحر المهـذب أليـق
إنـى أجلـك أن تـرى متـأخرا ... فـى أى ميـدان وأنـت الأسـبق
الـنجم بعـد هبوطـه قـد يعتلـى ... والعـود بعـد ذبولـه قـد يـورق
والبـدر يلحقـه المحـاق ويزدهـى ... والشمس يدركها الكسوف وتشرق
كونـوا نـسورًا لا تهـاب مطارهـا ... يهـززن أجنحـة الجـلال فتـسبق
ودعـوا محـاذرة الغـراب فإنهـا ... جـبن وعـار بالمحـاذر يلحـق
يا أيهـا الـشعب استبق درج العـلا ... وأفـق فأنـت المستـضام المرهـق
طِرْ فى السماء ومُتْ بهـا فـى عـزة ... كالـشهب يـضنيها المسير فتحـرَق
واكتـب لحجـاج وشـهدى آيـة ... غـراء عـن فخـر الـشهادة تنطـق
وانثـر علـى النـسرين منـك تحيـة ... بـالزهر رياهـا تـضوع وتعمـق
صُنْ فى الـضمير عطـيرة ذكراهمـا ... تتجـدد الـذكرى وليـست تخلـق

تتنسَّمُ الأجيال مِنْ رَيَّاهُما … ما فيه إحياءٌ لمنْ يَستَنْشِقُ
عُمْرٌ تعمر الوَرْد كانَ خِتامُهُ … مِسكاً يطيبُ مَدَى الدُّهُور فينشقُ

***

(المولد النبوى الشريف[1])

إبراهيم عبد الفتاح

حاكيت فى هذه القصيدة صاحب البردة الشريفة ولكى أخرج
من ميدان المعارضة خالفت حركة الراوى

حب بقلبك باد ليس ينكتمُ ... أجرى دموعك والأشواق تضطرمُ
إذا احتوتك من الظلماء داجية ... يستسلم القلب للشكوى ويلتدم
فيا رياح صبا نجد ألا خبر ... تطفَى به مهجة قد مسها ضرم
أحبة بعدت عنى ديارهمُ ... وفى الفؤاد قريب العهد ذكرهم
إذا تغنى حمام الأيك أرقنى ... فطارت الروح مثل البرق نحوهمُ
لهم منازل لم ينزل بها أحد ... إلا هُم أو كرام من طيوفهمُ
فى مضمر القلب لم يفتح مغالقها ... إلا مفاتيحُ صاغتها أكفُّهم
إن جن بى الليل أضوانى النزوع لهم ... ومسنى بانتشائى عطرهم لَمَمُ

شوقى إلى الحج

إنى لآمل أن أحظى بلثم ثرى ... تأتيه أملاك رب العرش تستلمُ
كانوا به أنجمًا زهراء نيرة ... تضيء للمدلج السارى وجوههم
لكعبة الله أشواق تُطيفُ بها ... متى يلوح لعينى ذلك الحرم

الرسول نعمة

محمد نعمة الرحمن أرسلها ... لخلقه ولهم فى بعثه نعم
قد طاب عنصره واعتز جوهره ... وعز أمته دانت له الأمم
سادت به وبشرع ما به عوج ... أحكامه مِلْؤُها الإنصاف والحكم
جعلته يا إلهى أسوة حسنت ... لعلنى فى نظام الصحب أنتظم
هواى فيه صدوق غير ذى كذب ... فاقبلْه علّى من الأهواء أنعصم
فكل قلب بخير الرسل متصل ... فعروة الخير فيه ليس تنفصم
خَلق جميل وخُلُق طيب حسن ... كلاهما فى مجال الحسن ملتئم

(١) الديوان ٩٠-٩٤ .

مكـــارمٌ لرســـول الله عـــاطرة — كالزهر فى الروض للأنداء يبتسم
مـــآثرٌ لرســـول الله ســـافرة — هـل الحسان بنادى الحسن تلتثم
جلت عن الوصف لكن لست تنكرها — ويُعرف المجد فى الأمجاد والكرم
أنـت الأمـين وعنـك الـسر متخـذ — هـل الأمـين على الأسرار يتهم؟
كـم نظـرة لـك لم تخطـئ فراسـتها — كأنها الـوحى أو بـالوحى تعتـصم
يا ناشر العلم فى الجهال مـن عـرب — كـانوا ولا أدب فـيهم ولا حُـرم
كـانوا بغـاة طغـاة ظـالمين لهـم — حروب جهـل لهـا الأبطال تقتحم
يقتلـون بنـيهم والبنـات لهـا — وأد وبيـل فـلا رُحمـى ولا رَحِـم
فجئـتهم بنظـام غـير منـتقض — برعيـه أمـر هـذا الكـون ينـتظم

المولد الشريف

شـرِّفت شـهر ربيـع إذ وُلـدت بـه — يا مـن بـه تـستنير الأعـصر الـدهم
طَلَعْـتَ غُـرَّة مَجْـدٍ فـى مَفَارِقـه — فَزَانَـهُ منـكَ نـوُرٌ مـشرق عمـم
ولدت والفجر – يا فجر الهدى – فمشى — ضـياؤك الفخـمُ للظلمـاء يَلْـتهم
بـك اسـتبانَ طريـقُ الحـقِّ وارْتفَعَـتْ — شَمْسُ الضُّحَى وانجلتْ عَنْ أنْفُسٍ غُمَمُ
فـى بيـتِ آمنـةٍ نـورٌ وألْوِيَـةٌ — وحـولَ حجرتهـا الأمـلاكُ تـزدحم
حتـى تطلّـع مـن مهـد الهدى قمـر — محمـد الخلـق محمـود لـه العـصم

ندم ودعاء

يارب فاكتب لنـا مـن رحمـة وسـعت — كل الورى جهلوا نعماك أو علمـوا
قـد مـرّ عمـرى أو قـل مـر أكثـره — ومـا نهـانى عـن آثـامى النـدمُ
جريتُ فى الجهل شوطا لست أذكـرهُ — أنـت العفـو ولكـن أنـت منـتقم
فاغفرِ وسامح وجد وارحم وخذ بيدى — إلى النجـاة إذا سـامحت مـن أثمـوا
حبى لخـير رسـول الله أنـت مرسـله — شـفيع ذنبـى إذا مـا زلـت القـدم

وصف الصحابة

كَـأنّ أصـحابه مـن حولـه شـهب — يرمى العداة بهم أو أسيف خـذم[1]
حفـوا بـه وشـعاع الحـق يجمعهـم — وألفـة الـدين والإخـلاص بيـنهم

---

(١) خُذُم: حديدة ماضية قاطعة جمع خذوم.

كهالـة مـن ضـياء طوقـت قمـرا فكيـف تثبـت فيمـا حولـه الظلـم؟
تواضـع وهـو فـيهم غـير متـضع ترفـع عـن دنايـا قربهـا يـصم
إذا سمعـت حـديثا منـه منتـشرا حـسبته خـرزات الـدر تنـتظم
رقـت وراقـت معانيـه فقيـل لهـا لأنـت ورد فـرات سلـسل شـبم
ألفاظـه مثـل ألمـاظ المـلاح علـى كل القلـوب بحكـم الـسحر نحتكم
فلـو حلفـت يمينـا أن منطقـه لآلـئ أو نجـوم صُـدّق القـسم

الهجرة

جئـت المدينـة فـى ركـب لـه طربـت جبالهـا فتعـالى بينهـا الـنغم
وأوسـها الغـر أعـداء لخزرجهـا فأطفـأت يـدك الـسمحاء نـارهم
محـوت مـا كـان مـن خلـف وتفرقـة فـشملهم بـك والإسـلام ملتـئم
سميـتهم بعـد أنـصارا وقـد نـصروا وجاهدوا فـى سـبيل الله واعتزمـوا
أشـاعر أنـت كـلا سـاحر لبـق سـحرتهم لا لعمـرى بـل هـديتهم
أخلاقـك الزهـر كانـت نـور أعينـهم أعمالـك الغـر كانـت أسـوة لهـم
كـل يفـدّيك بـالروح العزيـزة لا يألوك نـصرا ولـو أودى بـه العـدم

الذكر الحكيم

وفـى يمينـك آيـات مـصدقة بهـا القـوانين والآداب والـنظم
فيهـا لمـن يهتـدى نـور وتبـصرة فيها الأصول لفـن الحُكْـم والحِكَـمُ
تنزلـت سـور القـرآن محكمـة على الأمين فلـم تعلـق بهـا الـتهم
فيـا محمـد هـذى الآى قـد عظمـت لم يـستلمها مـن الـرحمن مـستلم
قد صانها منك حـرص لـست تعرفـه إلا عليهـا وقلـب حـافظ فهـم
تنزلـت مـن سمـاء الحـق نـيرة فسابق العرب فى تقديسها العجم
مَحَوْن مـا كـان مـن جهـلٍ وتُرَّهَـةٍ[1] كأنهـا صـارم للجهـل يخـترم
مـن كـل محكمـة غـراء نـيرة كغرة الشمس يستخزى لها الغسم[2]
العقـل يعقلـها والقلـب يعـشقها يكـاد يـسمعها مـن عنـده صـمم

---

(١) التُرَّهَة بوزن قُبَّرة: الباطل.
(٢) الغَسَمُ: الظلام: غَسَمَ الليلُ: أظلَمَ .

فـى كـل معـضلة أو كـل مـشكلة ... تـأتى فيكـشف مـا قـد كـان بينهم
جـاءت وفـى الكعبـة الأصـنام آلهـة ... فطهرتهـا فلـم يعبـد بهـا صـنم
إن كنـت فـى ألم فالجـأ لمـصحفها ... واعتـب علـى إذا لم يـذهب الألم
هـى الطبيـب لأدواء النفـوس إذا ... أعْيـا الأطبـاء داءٌ لـيس ينحسم
آياتُ طَـهَ الهَـوَادِى قـدْ هَـدَت عُمَـراً ... وهو الجريءُ الشجاعُ الهائجُ الخَصِمُ
يا كوكـبَ الحـقِ فـى أعلـى مظاهره ... يـا عـصمةً للـورى يـا أيهـا العَلَـمَ
أنهضتَ عَزْمَك حـولَ الـدين تحرُسـه ... فكـلُّ مـن رامـه بالـسوء يَنقـصم
قـد جئـتَهم بالهـدى فانجـابَ بـاطلُهم ... هل يَستوى النورُ فى الأبصارِ والظُلم
كـأن بـاطلَهم والحـقُّ يدْمغُـه ... جنُـودُهم يـومَ بـدْرٍ وهـى تنْهَـزِم
إن قـلَّ جنـدُك عـن أعدائـه عـدَدا ... فقـدْ أتـى مـدَد الأمـلاك يقـتحم
تنزلـت لـك فـى بـدْر ملائكـةٌ ... صـفرُ العمـائم مـلء الجـو خـيلُهم
لا ضيرَ لا ضيرَ بالحربِ التى هـدَمت ... من الخرافات مـا قـدْ شـادَ جهلُهُـم
إذا عصى الحجـة الكـبرى ذووُ سـفه ... فالضربُ بالصارمِ الماضى دَوَاؤُهُـم

من حكم تعدد الزوجات

قـالوا دعتـه إلى الزوجـات شـهوُته ... لـشدَّ مـا خلَطـوا فيـه ومـا وهمُـوا
أيـنَ العفافـةُ فيـه وهـى حليتُـه ... وأينَ عـصمتُه يـا إفـكَ مـا زَعَمـوا
ألم يُخبَـرْنَ فـى التـسريح إن طَلَبـتْ ... قلـوبُهن نعيمًـا لـيس يُغتـنم
هن الصوالحُ لم يطلبْن مِـنْ مُتَـع الـدّ ... نيـا نـصيبًا حقـيرًا غِبُّـه الـوَخَم
فكم سَهِرْن الدياجى فى الصَّلاة وفى ... ذكـرِ الإلـهِ إذا مـا خَـيَّم الغَـسَمُ
نفوسُـهُن عـن اللـذاتَ معرضـة ... فإنمـا هِـىَ سـمٌّ حولَـهُ دَسَـمُ
كفَتْـهُ واحـدةٌ أغْنَـتْ شَـبيبَتَهُ ... ألـيسَ تكْفيـه أنْثـى إذْ أتـى الهَـرمُ
لكنهـا حكمـة الـرحمن يَفهَمُهـا ... مَنْ لَيْسَ فـى قلبـه رَيْـبٌ ولا وهَـم
فناصـرَ الـدينَ أشـتاتُ القبائِـل إذْ ... صـار الرسـول لهـم صـهْرًا يهمهـم

الإسراء

أسرى بـك الله لـيلا فـى الـسماء إلى ... عـرش الجـلال الـذى لم تأتـه قـدم
فنِلْـتَ مـن شـرفٍ مـا لم ينـل أحـدٌ ... ونلـت مِـن عظـم مـالم تنـلْ هِمـمُ

فوق السموات حيث الوهم منقطعٍ وحيث موج علوم الله ملتطمُ
رَشَفتَ من بحره مالم تنل شَفَةٌ ونلتَ تقبيلَ عرش لم ينلْه فَمُ
سَجَدْتَ فوقَ بساط الأُنسِ مبتهجًا بِهِ وقَلْبُكَ فيهِ أُلقِىَ الكَلِمُ
صافحت ليلتها عيسى مصافحة هى السلام الذى تسعى له الأمم
جُمعتَ والرسلَ فى أرض مقدسة فكنت فى المسجد الأقصى إمامهم
لو يعقل الناس كانت رمز ألفتهم ولم يُرق منهم من بعد ذاك دم
يارب فيم قتالُ الناس أنفسهم يارب هذا قضاء منك ساقهم
ليعلموا أنهم هلكى وأنهم إلى المصارع قادتهم نفوسهم
المسلمون بهذا الشرق قد ضعفوا فانصرهم يا إله العرش واهدهم
نشكو إلهى لك استعمار شرذمة لا ينصفون كأنا عندهم خدم
وهذه الأزمة استعمارهم سبب لها فحتام نعمى عن خداعهم
لا تخذلوا ملَّةَ الهادى فتنخذلوا لا تتركوا سنة الهادى فتنعدموا
هذا بناء بناه من جدودكم قوم كرام فهل ترضون ينهدم
يا خيرة الرسل شملُ الشرق مفترق فانظر إليه لعل الشمل يلتئم
قد عز فى البدء دين أنت ناصره فهل نراه بطيب العز يختتم

***

نشيد الإخوان المسلمين[1]

تأليف الأستاذ إبراهيم أفندى مأمون

المدرس بالمدرسة الثانوية بالزقازيق

شباب الحنيف هداة الشباب ... تعالوا تعالوا لفصل الخطاب
أهاب النبى ونادى الكتاب ... إلى الله ندعو إليه المآب

فطوبى لداع وعى واستجاب

إلى الله رب الورى وحده ... إلى الدين لا مرتجى بعده
إلى المصطفى نجتلى عهده ... إلى الحق نسأله وده...

إلى حرم الطهر نرجو المتاب

شباب الحنيف هداة الشباب ... . إلخ

أقيموا من الدين شم الحصون ... وردوا على الشرك ريب المنون
ولا تفسحوا بينكم للظنون ... فكم للتقى حولكم من عيون

ترى العابد الحق والمستراب

هنا يثرب وهنا مكة ... هنا الدين يرعى هنا العزة
هنا الطهر والنبل والعفة ... هنا البأس والعزم والمنعة

فأين إلى أين نبغى الذهاب

شباب الحنيف هداة الشباب ... . إلخ

أعيدوا المشارق فى أسدها ... وردوا الحمية فى جندها
ودعوا المساوئ فى مهدها ... ونحوا الصوارم عن غمدها

ولا تحفلوا ها هنا للصعاب

سلوا الكفر من رد طغيانه ... سلوا الشرك من راع أعوانه
سلوا الكون من هز تيجانه ... سلوا الحق من مد سلطانه

تروا يوم بدر سديد الجواب

---

(١) النذير – السنة الأولى – العدد ١١ – ١٢ من جمادى الآخرة ١٣٥٧ – ٨ من أغسطس ١٩٣٨.

(أ)

وعد بلفور والجهاد المقدس[1]

للشاعر المجيد أبو الوفا رمزى نظيم

أنـــا لا أقـــول ولا أعيـــد ... فـــالقول أصـــبح لا يفيـــد
مـــاذا يفيـــد القـــول قـــو ... مـــا بـــين نـــار أو حديـــد
قـــوم لقـــد بـــاعو الوجـــو ... د ليـــشتروا طـــول الخلـــود
لا تلجـــأوا للاحتجـــا ... ج فطبـــع ســـامعه بليـــد
ُجـــون بـــولْ خـــال بأنـــه ... فـــى الكـــون يفعـــل مـــا يريـــد
والقـــاهر الحـــق المهيـــ ... ـــمن فوقـــه رب الوجـــود
وغـــدا ستـــصطدم القـــوى ... فـــى الغـــرب والـــشرق العبيـــد
وهنـــاك يعلـــم مـــن تجبـــْ ... بَـــرَ أنـــه عبـــد البعيـــد
فقـــد المـــودة بالعنـــا ... د فمـــا لـــه قلـــب ودود
يـــا أيهـــا الـــداعى لهـــ ... ذا الاجتمـــاع وللـــشهود
أنـــا عـــن جهـــادى للعـــرو ... بـــة لا أحـــول ولا أحيـــد
إن كـــان غـــير الاحتجـــا ... ج لـــديك قـــل- هـــل مـــن جديـــد؟
إخواننـــا فـــى القـــدس حـــل ... بأرضـــهم ظـــل شـــديد
فـــى القـــدس قلبـــى مزقتـــ ... ـــهُ مخالـــب البغـــى الأكيـــد
نـــسف المنـــازل راعنـــى ... فـــى ذمـــة المبـــدى المعيـــد
ويكيـــد للأحـــرار فـــى فـــو ... ضـــى المظـــالم مـــن يكيـــد
والـــذادة الـــسادات قـــد ... ســـيقوا إلى المنفـــى البعيـــد
ويـــصاد قـــوم بالرصـــا ... ص كـــأنهم لهـــو الجنـــودِ
والظلـــم يحـــصدهم كـــأ ... ن نفوســـهم حـــب الحـــصيد
ضـــربوا الحـــصار علـــى المنـــا ... زل باســـم جبـــار عنيـــد

---

(١) النذير، العدد١٩، السنة الأولى، ٩ شعبان١٣٥٧- ٣ أكتوبر ١٩٣٨.

فرضـوا الغرامـة فـى القـرى ... ليـضاعفوا الفقـر المبيـد
واسترخـصوا الـدم غاليـا ... والجـسم يطـرح فـى الـصعيد
اخـوانكم لقـذائف الـ ... أعـداء قـد بـاتوا الوقـود
فمـن الـسجين إلى الطريـ ... ـد الـشهيد إلى الـشريد
والانتـداب كأنـه ... مـن بغيـه فـى يـوم عيـد
يـسعى ليبعـث ملـك اسْـ ... رائيـل مـن ذاك الهمـود
والله قـدر أنـه ... لا يـستعاد ولا يـسود
فليفرحـوا ولينـشدوا ... فـى كـل بارقـة نـشيد
صـهيون يحكـم فـى الـبلا ... د بوعـد بلفـور الـسعيد
وجهـنم فتحـت لهـْ ... رتهـم ألا هـل مـن مزيـد
وعـد بـه نطـق القـو ... ى لكـل شـيطان مريـد
وأبـاح مـوطن أمـة ... لا تـستكين ولـن تبيـد
وعـد أذل المـسلمي ... ن وفيـه إعـزاز اليهـود
والإنجليـز لأنهـم ... فـى سـلمهم جحـدوا الوعـود
هـم أمـة خداعـة ... لا تـستقيم لهـا عهـود
هزئـوا بـرأى المـسلمي ... ن بوعـده يـوم الوعيـد
هـل هـين غـضب العروبـ ... ـة أو مغاضـبة الهنـود
إنـى لأنـذرهم وحـو ... ل الفيـل قـد زأر الأسـود
جنـد هـم الأسـد الغـضا ... ب تطوعـوا تحـت البنـود
يـا ليتنـى بـين الـصفو ... ف وليـت لى حـظ الـشهيد؟

أبو الوفاء محمود رمزى نظيم

***

الحرب فى الله لا فى الظلم ينفجر(1)

وقودها الناس لا تبقى ولا تذر ... حرب تطاير من بركانها شرر
سيق الضعيف إلى الهيجا وفى فمه ... قلب يطل على الباغين ينفطر
صحوت والناس غرقى فى نعاسهم ... والليل ساج فلا صوت ولا قمر
فراعنى من فم المذياع ذبذبة ... ينساب منها إلى أحشائنا الخطر
هل المذيع مذيع من محطته ... على الورى قصصا أبطاله التتر
أم المذيع وحيد لا سمير له ... فراح يهذى له فى ذلك السمر
فلا وربك لا لهو ولا قصص ... وإنما هو صوت كله نذر
ضعوا اليراع فقد جفت منابعه ... دعوا القراطيس لا يقضى بها وطر
صلح على دخن قامت دعائمه ... ظلم فتبت يدا قوم به أمروا
باسم السلام تداعت كل قائمة ... على الوغى وهوى ما قيل مؤتمر
ليعلم الناس أن الأرض مخرجة ... أثقالها ليروا أعماق ما حفروا
فلا رعى الله مذكيها وناصرها ... ولا وقى الله شر الحرب من فجروا
لسوف يصلى لظاها كل ذى أمل ... فيها ويعرف مأوى كل من يزر
فقل لمن راح فى الآفاق ينشرها ... الحرب فى الله لا فى الظلم ينفجر
إن تنصروا الله ينصركم ويرفعكم ... وعد لمن آمنوا بالله وادكروا
فجاهدوا فى سبيل الله واصطبروا ... فليس يلقى العلا إلا الأولى صبروا
إن كان فى الحرب تيجان وأوسمة ... تصبو إليها نفوس ملؤها البطر
ففى السلام يقين سوف يذكره ... يوم الوغى من سعوا للحرب وادخروا

السيد عثمان المراغى
بوزارة الزراعة

***

(1) النذير، العدد٩، السنة الثانية، ٢٧ صفر ١٣٥٨هـ/ ١٨ إبريل ١٩٣٩.

إلى صاحب الفضيلة[1]
المرشد العام للإخوان المسلمين

رأيـت المجـد فـى مرسـاك يرسـى ... فجئـت اليـوم أفـديكم بنفـسى
وأبـدى أن فـى (بلـدى)[2] رجـالا ... لهـم روحـى وإيمـانى، وحـسى
إذا نـاديتهم للحـق جـاءوا ... إلى الميـدان فـى أبهـى الـدمقس
يحبـون الكفـاح ليـستردوا ... إلى قـدس الـشريعة كـل قـدس
لهـم فـى المـوت معنـى سـرمدى ... جميـل قـد خـلا مـن كـل لـبس

***

فيـا مـن فيـك آمـالى تـسامت ... فكنـت التـاج إن توجـت رأسـى
يهنـئكم بعيـد الفطـر شـهم ... وعـى مـن نـور هـديك كـل درس
ويرجـو أن تكـون حليـف يمـن ... مـع الإخـوان فـى عـز وبـأس

عبد الكريم بهلول
بمدرسة رشيد الصناعية

***

(١) النذير، العدد٢٧، السنة الأولى، ١٣ شوال ١٣٥٧/ ٦ ديسمبر ١٩٣٨.
(٢) رشيد.

القصيدة العصماء(1)

التى ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى فى حفلة الإمام الكبير المرشد العام للإخوان المسلمين الأستاذ حسن البنا

أذن النصر والتقت أعلامه ... وانجلى الكفر حين ريع ظلامه
أى ركب مظفر أينما را ... ح ففى قبضة الإله زمامه
كلما حل واديا راح يجرى ... فى رباه الندى وفاض غمامه
وإذا قام داعيًا أسفر الحق ... مبينًا فبان عنه لثامه
وإذا صاح منشدًا رجع الكو ... ن وأصغى فى غابه ضرغامه
أى ركب؟ وأى صحب كرام؟ ... بعد ما جانب الزمان كرامه
أنهم سادة الشباب تلاقت ... فى ربى المجد والعلا أحلامه
إنهم فتية أناموا شبابًا ... كان لولا الهدى عصيا منامه
غيرهم إن دعا الفجور سميع ... وهم إن دعا التقى أعلامه
فهم الخير فيضه وجناه ... وهم الحق سيفه وحسامه

***

أيها المرشد الكريم شبابا ... تفتديه العلا وأنت إمامه
عشت للحق مذ نشأت غلاما ... فبرديك شيخه وغلامه
وترفقت للمنى فهنيئا ... إن ما تبتغى لدان مرامه
إن هذا الشباب عنك تهدى ... وبيمناك أيده وعصامه
فهو جند إذا دعوت سميع ... يمنع الحق أن يحل حرامه
بايع الله أن يموت وفيًا ... وعلى عهد استقر مقامه
أسلمتك الأيام إياه غضا ... فانجلت عنه بالهدى أوهامه
فإذا نفحة النسيم رضاه ... وإذا وقدة الجحيم ضرامه
فارفع الضيم بالشباب المرجى ... إنما أنت روحه ونظامه

***

(1) أبو تيج- النادى- العدد13، الجمعه 7 رجب 1358/ 25 أغسطس1939.

أيهذا الشباب أنتم رجاء ... للنبى الكريم طال قيامه
أنتم الأسد فى الوجود المعنى ... وسواكم من الشباب نعامه
قوة الحق أنتم إن تبدت ... أسلس الدهر لؤمه ولئامه
والذى ينصر الإله عزيز ... عز من كان بالإله اعتصامه
يا شباب الإسلام والوطن البا ... ئس أوهى بناءه حكامه
أطلقوا العهر فى حماه جموحًا ... غاربًا عنه سرجه ولجامه
ورموا بالخلاف فيه بغيضًا ... حيث أرداه خلفه وخصامه
كل يوم به خلاف جديد ... قوته الشرق لحمه وعظامه
ويح مصر وويح شعب بمصر ... لو طوى الخلف لا نطوت آلامه
يا شباب الهدى وقد جمعتم ... فى رياض من التقى أرحامه
أى مجد لكم وأى فخار ... إن يرى الدين حكمت أحكامه
هان أهل الإسلام فىكل واد ... ليت شعرى متى يكون احترامه
ليت شعرى متى ينادى المنادى ... صرع البغى وانطوت أيامه
صارع الكفر يا شبابًا مرجى ... وأصرع البغى تبتلعه رجامه
يا شباب الإسلام هزوا قناكم ... صافحوا المجد إنكم قوامه

***

تحية الشعر فى ذكرى ميلاد الرسول ﷺ[1]

يمينًا ... فؤادى لا يمل ولا يسلو ... فليس بمجد فيه لوم ولا عذل
عليه رسالات الغرام مصونة ... كما صين علم فى الكتاب فلا يخلو
وما إن له إلا الوفاء سجية ... تطيب له مهما أضر به المطل
لأن الهوى العذرى كل رياحه ... رخاء لدى العشاق. أصعبه سهل
بنفسى من صارت وصدت. وطيفها ... تأبى فشيمتها وشيمته البخل
إلى أن صفا وجه الزمان وضمنا ... على الطهر- روض طيب النشر معتل
يظللنا عف الإباء. ونرتدى ... نقاء. ونعم البرد أو حبذا الظل
محمد الهادى بشيرًا ومنذرا ... عليه صلاة الله ما بدئ القول
بمولده شع الوجود وبشرت ... نواحيه بشرى خيرها نائل جزل
تفزعت الدنيا لأخطر حادث ... تزول به تلك الغشاوة والختل
يغير تاريخ العباد فتمحى ... شرور وتجتث الكبائر والأصل
وتطّرح الأوثان أو يصبح الورى ... سواسية فى الحق يكنفهم عدل
ويعبد رب واحد جل شأنه ... تنزه عن كنه وليس له مثل
وكان له بين القبائل مدحة ... لأخلاقه ذات المحاسن من قبل
أمينا كريما حافظ العهد صافحًا ... رءوفا رحيما قوله عف والفعل
فراجت بكفيه التجارة مثلما ... يزيد نبات الأرض با كره الوبل
وإن من الأخلاق يا صاح مركبا ... إلى الفوز أو نجما لصاحبه يجلو
غزا الغزوات الفاتحات ولم يكن ... ليقسو على الأسرى إذا لمع النصل
ولكنه يأسو الجراح مصافيًا ... وقد قطعوا حبلا فيتصل الحبل
وينتشل المستضعفين من القنا ... كذا الحر للمستنجدين إذا زلوا
لنذكرها فى كل حين ترسما ... ونحن بها أحرى ونحن بها أهل
نقيم لها قدسا برحب قلوبنا ... فيسعدنا فى كل مشكلة حل

دمياط = بركة محمد

---

(١) التعارف، العدد١١، السنة الخامسة، ٢٦ ربيع الأول١٩٥٩هـ/ ٤ مايو ١٩٤٠.

قصيدة

على لسان حال الإسلام[1]

ألا ويح قومي غادروني مضيعا ... وأسلمنى من كان عنى مدافعا
فلم أر منهم ناصرا وقت محنتى ... ولم أر منهم حين ناديت مسمعا
رمونى بعجز عن مجاراة نهضة ... وعلم أغذا فى المسير وأسرعا
وقالوا أحاديث القدامى وشرعهم ... ونحن لنا من بعدهم أن نشرعا
كذبتم وحق الله ما زلت فيكم ... على الرغم من طول الإقامة يافعًا
وما كنت إلا ناصر العلم دائما ... وجئت لأهل العلم فى الناس رافعا
ألا فاسألوا عنى عهودًا سوالفا ... فتنبيكم عنى بما كان واقعا
رعى الله هاتيك العهود وأهلها ... وجاء عليها الغيث مغنى ومرجعا
لقد كان لى فيها أساة حجاجج ... يشق عليهم أن أذل وأخضعا
فدوْنى بأرواح غوال كريمة ... وبالمال والأولاد والأهل أجمعا
ولم يشغلوا عنى بخفض ولذة ... وقد كان بيت المال بالخير مترعا
بنيت لهم عزا رفيعًا وقدتهم ... إلى المجد حتى استوطأ وا النجم موضعا
وشدت لهم فى السالفين حضارة ... يعز على الأيام أن تضعضعا
وهذبت أخلاقا وربيت فتية ... على العزم حتى استعذبوا القتل مجرعا
أقمت بهم للحق والعدل دولة ... أقامت من الطاغين فيها الأخادعا
أذلت لهم من جند كسرى وقيصر ... وأورثتهم ملكا على الدهر واسعا
ولقنتهم علمًا ونورًا وحكمة ... فكانوا نجوما فى الدياجى سواطعا
فلما تولوا أسلم الدهر رمتى ... لمن أهملونى واستحبوا المنافعا
جروا فى سبيل الغى واستوخموا الهدى ... وأضحوا لالبان الضلالة رضعا
وصموا عن القرآن والذكر سمعهم ... وألقوا إلى فحش الغناء المسامعا
وعضوا عن الدنيا بناب وناجذ ... فأكسيهم من بات للمال جامعًا

(١) التعارف، العدد١٥، السنة الخامسة، ٢٥ من ربيع الآخر١٩٥٩/ ١ يونيو١٩٤٠.

ولم يرتضوا دين الحنيفة دينهم ولم يقبلوا شرع المهيمن شارعا
لقد عطلوه واستباحوا حدوده ولم يبصروه فى دجى الليل مهيعا
ألا من نذير يوقظ الناس بعدما أطالوا منامًا واستلانوا المضاجعا
وهل من فتى حر يصيح بأهله لعل قلوبًا أن تفيق وترجعا
أجل قام داعى الله يدعو إلى الهدى ويرسل فوق النائمين القوارعا
هو (المرشد) الميمون فى الناس طلعة له قولة فى الحق تجرى المدامعا
يبيت على جمر الغضى متحسرا على مجد هذا الدين كيف تصدعا
فكم فى سبيل الله لاقى شدائدا وكم فى مجال الرشد خب وأوضعا
وفتية صدق بايعوه على الردى وقد فاز من فى الحق ضحى وبايعا
لهم عزمة قد تقصر الشم دونهم ويقضون طول الليل لله ركعا
هم الأمل الباقى لدى فإن نأوا فخير لعيش بعدهم أن يودعا

محمد فتحى هراس

تخصص المادة بكلية أصول الدين

***

العيد والإخاء[1]

بنى الشرق كم مرت عهود وأزمن … وكم فات عيد فى الحياة وعيد
ونحن خصوم (للكتاب) وما به … وقد بان إعراض بنا وصدود
حكمنا بما لم يُتنزل الله عن هوى … وذلك جرم بيّن وجحود...
تباينت الأهواء فى كل موطن … فبتنا وكل عن أخيه بعيد
تخذنا شعار الود أهلا ومرحباً … وليس لما بين القلوب حدود
لنا فى جلِىّ الأمر خُلف موسع … تحف به جند الهوى وتقود
وفى كل قطر للطوائف مشكل … به الشر بين المسلمين يسود
فيا قوم هل فى الدين مبدأ فرقة … أم الناس ضلوا والحياة شرود؟
ألم يكف أنّا عند ربى (إخوة) … وذلك ربط للقلوب وطيد
تلاشت به الألقاب فى كل بقعة … وما مؤمن إلا بذاك سعيد
لنا اللهُ رب والكتاب شريعة … ومكةُ منحى والرسولُ عميد
فمالى أرى الألقاب مزقن شملنا … وقد أخذت منا لذاك عهودٌ
لعمرك ما الإسلام إلا محبة … وما كان غيرا فهو عند بعيد

حلمى الحوت

***

(١) الإخوان المسلمون، العدد٢٥، السنة الثانية، ٢٦ المحرم١٣٦٣/ ٢٢ يناير ١٩٤٤.

صوت الأبد(1)

إلى م تقهرنا في الدهر أرزاء ... ونحن قوم غطاريف أشداء؟
لا خير في أمة أبناؤها فرق ... كل له مذهب فيها وآراء
فكل يوم لنا في مصر معركة ... وكل يوم لنا في النيل ضوضاء!!
وكل آن لنا "حزب" نؤيده ... كأننا آلة في الدهر صماء
هذا له مأرب يسعى ليدركه ... وذاك تصرعه في اليوم أنواء
مد وجزر وأمواج مروعة ... وعالم كله نوْح وأرزاء
كأننا فيه أشباح مزعزعة ... أو أننا رعلة في البيت عمياء(2)
أو أننا صرخة في الأفق حائرة ... أو أننا في أمة أسرى أذلاء
لا تلهينكم الآمال، فهي لكم ... لو تعلمون بمصر ذلك الداء
إني أراها كآل في عوالمكم ... فهل لآل على الآفاق إرواء؟
فلا يصدنكم هذا الخلاف، ولا ... يفرقنكم في النيل مشاء
فللمطامع دنيا لا حياة بها ... وللسياسة إغواء وإغراء
وللأماني خيالات نهيم بها ... وللحوادث في التاريخ أصداء؟
وللممالك أصوات مدوية ... وللمناصب أثقال وأعباء
يا قادة الجيل، هذا يومكم. فدعوا ... هذا التطاحن إن الريح هوجاء
وامشوا مع الركب فالأيام مسرعة ... إن التخلف عنه اليوم إعياء
في الأمس ذكرى، وفي أحداثه عبر ... وفي غد لكم ذكرى وأنباء
إني أخاف عليكم يا بني وطني ... فللخلاف تباريح وإشقاء
فاستيقظوا بعد طول العهد وانتبهوا ... فأنتم الغر والقوم الأعزاء
فإن غايتكم في النيل واحدة ... وكلكم يا بني الأوطان أكفاء

---

(1) الإخوان المسلمون، العدد47، 2 ذي الحجة1363/ 18 نوفمبر 1944.

(2) الرعلة: بالفتح النعامة. وبها يضرب المثل في الحيرة والتردد.

فجاهـدوا فـى سـبيل الله واتتلفـوا　　لا تـــشغلنكم بـــالخلف أهـــواء
وابنوا على الحب والإخلاص مجدكم　　فكلكـــم مخلـــص للنيـــل بنـــاء
فمـصر أمٌ وأنـتم خـير مـن ولـدت　　فـــأنتم للعـــلا والأم أبنـــاء

صابر على رمضان

***

النور المذاب...[1]
مهداة إلى المرشد العام

أحيـــــــاة هـــــــــذه أم ... مـــذبح باســـم الرغـــاب؟!
كـــل مـــن يـــشعر بـــالقو ... ة يمـــــسى كالـــــذئاب
كتـــل الإنـــسان تلقـــى ... كـــل يـــوم فـــى العـــذاب
أغـــرم القـــوم بـــدنيا ... هـــم وظلـــوا فـــى انكبـــاب
حـــسبوها طعمـــة الخلـــ ... د فجـــدوا فـــى انتهـــاب؟!
مـــا الـــذى يمنـــع مـــن أن ... تتلاشـــــى كالــــضباب؟
كـــل هـــذا صـــائر يـــو ... مًـــا إلى بطـــن الـــتراب
وإذا مـــا جـــاء وقـــت الـــ ... مـــوت أضـــحى كالـــسراب
ليـــت شـــعرى كيـــف ألـــ ... قـــى المـــوت إذ يـــأتى ببـــابى!
بـــل إذا حـــشر الـــرو ... ح ومـــن حـــولى صـــحابى
ينظـــرون النـــزع مـــشدو ... هـــين مـــن حـــول المـــصاب!
غـــير مـــسطيعين رفعًـــا ... لا ولا دفعـــا لمـــا بـــى
هـــذه دنيـــاكم الخلـــ ... ـــوة تعـــدو للخـــراب
ويحهـــم مـــا علمـــوا أن ... المنايـــا فـــى اقـــتراب (م)
مـــا الـــذى يمنـــع مـــن أن ... يتلاشـــوا كالـــضباب؟
لـــيس إلا فئـــة قـــد ... رضـــيت حكـــم الكتـــاب
زودوا الـــنفس بطهـــر ... وأمـــانى عـــذاب
ثـــم قـــاموا ينـــشدون الحـــ ... ـــق فـــى خـــير ركـــاب:
إخـــوة فـــى الله لم يجـــ ... معهمـــو غـــير انتـــساب
قلـــت للـــنفس اركـــضى ركـــ ... ضًـــا وهيـــا للـــصحاب

محمود محمد عبد الكريم العربى

---

(١) الإخوان المسلمون، العدد٦٢، السنة الثالثة، ١٨ رجب ١٣٦٤هـ/ ٢٨ يونيو ١٩٤٥.

الوحدة العربية(1)

أزهـر الـشرق بـالقريض فهـات ... كـل مـا فـى القـريض مـن نفحـات

ثـم صغها لوحـدة العـرب الـصيـ ... ـد كعقـد اللآلـئ النـضرات

وحـدة تجمـع القلـوب علـى الـود ... ونحيـى صـلاتها الخالـدات

فبـدا الـشرق فـى الوجـود كبـدر ... طوقتـه العيـون بـالنظرات

طالمـا أنجـب الهـداة وأضـفى ... فـى البرايـا مناهـل الحسنات

أرضـه فـى الوجـود تزهـى بنبت ... طيـب الـريح يـانع الثمـرات

فاتـل تاريخـه تجـده كتابـا ... حافـل النـور بالهـدى والهـداة

وهـو فـى يومـه أعـز مكانًـا ... مـن نجـوم الـسماء مجتمعـات

هـذه مـصر والحجـاز ولبنـا ... ن ومـا بـين نيلنـا والفـرات

أخـوات أحـاطهن سـياج ... عـز إتلافـه علـى النكبـات

نـاظرات إلى المعـالى بعـين ... حيـل مـا بينهـا وبـين الـسبات

مـسرعات علـى الزمـان خطاهـا ... نحـو أعلـى مراتـب الـدرجات

لا تـرى فـى الحيـاة لليـأس طيفـا ... مـدلهم الإهـاب والجنبـات

فبـدت أرضـها الكريمـة روضـا ... مـن ريـاض الخلـود والجنـات

تـشتهى بهـا النفـوس ثمـارا ... ناضـرات بـدوحها يانعـات

شـع منهـا علـى المشارق ضـوء ... فتلاشـت جحافـل الظلمـات

ورنـا الغـرب فـى دنـاه إليهـا ... معجـب اللـب حـائر النظـرات

ورآهـا وقـد سمـت فـى علاهـا ... فـوق مـسرى الكواكـب النـضرات

صـاغها خـالق الوجـود عقـودا ... تـتراءى جميلـة الحلقـات

حـول جيـد مـن الكنانـة زاه ... عبقـرى الجمـال واللمحـات

إيـه يـا دولـة العروبـة تزهـى ... بـسناك الكـريم أم اللغـات

أنـت أصـحبت مـنهلا للمعـالى ... فاسـتحثى المـسير والخطـوات

وافتحى صدرك الرحيـب لـشعرى ... وأصـيخى إلى هـوى مـا يـواتى

---

(1) الإخوان المسلمون، العدد ٧٩، السنة الثالثة، ٢٦ ذى الحجة ١٣٦٤هـ/ ١ ديسمبر ١٩٤٥م.

كـى يـرى النـاس فـى معانيـه قلبـا … مرهــف الحـس نـابض الخفقــات

يحتويــه اللــسان شــعرا ولكــن … هـــو روح ممتـــع بالحيـــاة

إنمــا وحــدة العروبــة فــى الــشر … ق ثمـــار الجهـــود والعزمـــات

أرســل الله ذو الجــلال إليهــا … ملـــهمات الـــسداد والبركـــات

وجمـــال الحيـــاة بـــين البرايـــا … فـــى اتحـــاد القلـــوب والمهجـــات

نحـــن قـــوم إذا أردنـــا علـــوا … لا نبـــالى بـــشائك العقبـــات

قـد جعلنـا مـن الأخـوة فـى الله … ســـبيل العـــلا إلى الغايـــات

عـاش فـاروق فـى المشارق هـديا … ومليكـــا ملائكـــى الـــذات

صا الحجر

السيد محمد أحمد الفقى

***

على هامش الميلاد[1]

الإسلام والسلام

أرشـد الكـون يـا نبـى السـلام ضجت الأرض من دعـاة السـلام!
يـا نبـى السـلام أيـن نـراه وهو قد ضاع فى غمـار الصدام.!
جئـت بـالأمس منقـذا للحيـارى مـن خـلاف وفرقـة وخـصام
فـسرت فـيهم الحيـاة وعـادت عـودة الـروح فـى رميم العظـام
وغـدوا كالـشموس هـديا ونـورًا وسمـا مجـدهم علـى الأيـام
جئـت والعـالم الـصريع يعـانى صـولة الأقويـاء والحكـام
وأتيـت الوجـود وهـو غريـق فـى بحـار الـذنوب والآثـام
فـسرى الـود فـى قلـوب الرعايـا وغـدوا إخـوة بـلا أرحـام
ووضـعت التقـى اساس التسامى ومحـوت الفـروق بـين الأنـام
وجعلـت الـضعيف بـالحق أقـوى مـن قـوى مـدجج مقـدام
لـيس عبـدًا أسـير جـاه ومـال أو ذلـيلا لـذى عـلا ومقـام
بـل عزيـزًا مـدى الحيـاة أبيـا ذا خـضوع لواحـد عـلام

***

شـرعة الله مـا لهـا مـن مثيـل هـدت الكـون فـى بهيم الظـلام
لم أجـد فـى الحيـاة غـير ضـلال وفـساد مـوزع مترامـى!!
كلمـا مـرت الليـالى مـضينا فـى طريـق مغيـب فـى قتـام
وطريـق الهـدى المبين كتـاب محكـم القـول واضـح الأحكـام
أنقـذ العـالم الـشريد قـديما مـن ديـاجى الأهـوال والأوهـام
فغـدا كالزمـان مجـدا ويأسـا ومحـا عـالم الـصراع الـدامى
أيهـا الـدهر قـف تمهـل قلـيلا واسمـع الآن رائـع الانغـام
دعـوة الحـق للوجـود تبـدت كـسنا البـدر شـق جـوف الظـلام
وأعـدت لـصيحة المجـد جنـدا قـد تـآخوا لنـصرة الإسـلام

---

(١) الإخوان المسلمون، العدد٥٥، السنة الثالثة،٣ ربيع الأخر١٣٦٤/ ١٧ مارس١٩٤٥.

عاهـــدوا الله أن يعيـــشوا كرامًـــا فـــى ســـلام وعـــزة ووئـــام

أو يموتـــوا وذاك أسمـــى الأمـــانى وأعـــز الآمـــال والأحـــلام

سعد أحمد دعيبس

شعبة معهد الإسكندرية الدينى

***

"إخوانى"(١)

دعنى من الغيد عهد الغيد أضنانى ... واذكر معى فى وقار نبل إخوانى
طلقت عهد صبا باق فقد يبست ... فى الضلوع وجفت فيه أغصانى
قضيت أيامه بؤسًا فيا خجلى ... ماذا جنيت وهذا الدهر أفنانى
قد صوح العود منى بعد رونقه ... وطار طير الهنا من فوق أفنانى
وصرت فى الناس منبوذا فلا صلة ... بينى وبين جماعاتى وأقرانى
حتى التقيت بكم فانزاح كل أسى ... وعاد لى أملى فى العيش من ثان
إنى كفرت بما فى الناس من ملق ... لكن لأخلاقكم أعلنت إيمانى
قوم إذا الحزن نادانى وأقلقنى ... خفوا فكانوا سرورى بعد أحزانى
قوم إذا الشجن الملحاح عاودنى ... محوا بأيدى الصفا بؤسى وأشجانى
فارقت أهلى فكانوا بعد موتهم ... أهلا بأهل وإخوانًا بإخوان
هم عصبة وكأن الله برأهم ... من الدنايا فنعم القوم خلانى
أنسى الهموم إذا ما كنت أذكرهم ... ما دمت أرعاهم فالله يرعانى
إذا اجتمعنا ففى خير وعافية ... وإن بعدنا ففى يسر وإحسان
قد ألف الله ألبابا على صلة ... من اليقين ومن علم وعرفان
لا نشبه الناس فى شيء نزايله ... ليس المهدم فى الأخلاق كالبانى
الله أكبر والديان غايتنا ... ولا زعيم سوى مبعوث عدنان
والموت فى الله أسمى ما نؤمله ... نادى بها القلب فى سر وإعلان
يا عصبة الله جدوا فى عقيدتكم ... واستلهموا الحق فى دين وقرآن
هذا هو الوطن الغالى يناشدكم ... أن تنصروه على ظلم وعدوان

إبراهيم حسن بلال
دار العلوم

***

(١) الإخوان المسلمون، العدد ٥٠، السنة الثالثة، ١٧ المحرم ١٣٦٤هـ/ ٢ يناير ١٩٤٥م.

كتائب الحق (١)

دع عنك ما قاله الأعداء تشويها ... هى الدعاية فلتسقط مباديها
لا يقدرون على شيء بما كسبوا ... غير المكائد فى أقصى معانيها
والحق يقذف نارا فوق باطلهم ... فيدمغ الله أهواء ويوهيها
ويبعث الله رعبًا فى قلوبهم ... قتلى من الذر تمثيلا وتشبيها
فإنها دعوة لله خالصة ... شيدت على أسس عظمى لتعليها
بعيدة عن دنايا القصد طاهرة ... نقية كمياه المزن صافيها
الله غايتها والمصطفى أبدا ... زعيمها وكتاب الله هاديها
فكم أرادوا بنا كيدا وما نقموا ... منا سوى أننا بالروح نفديها
وأوقدوا فتنا تترى فما خرجوا ... إلا بسهم الردى فى نحر راميها
تلك الكتائب قد باتت تخوفهم ... وتقذف الوهن رميا فى أعاديها
وليس اسلحة الصحراء فى يدها ... ولا قذائف من لهب بأيديها
ولا قنابل (موسلينى) تملكها ... ولا مدافع من (هاون) لتحميها
لكن إيمانهم بالله صورهم ... فى أعين الناس آسادا لرائيها
عقيدة مثل (طور سيناء) راسخة ... فلا الزلازل والبركان توهيها
شبت على دعوة الإخوان أنفسهم ... والروح منهم على صلة بباريها
شبابهم طهر القرآن نزوته ... رهبان ليل وفرسان ضحاويها
ودورهم بسنا القرآن مشرقة ... فى كل شبر بوادى النيل ناديها

***

يا دعوة هزت الأقطار قاطبة ... فاستنهض الحق قاصيها ودانيها
وحى له فى قلوب الناس تبصرة ... من يا ترى مرشد الإسلام داعيها
لابد أنك يا بناء مرشدها ... لابد أنك يا بناء منشيها
طوع الإرادة قوم إن أردتهم ... تلقى المدينة قد ضاقت بمن فيها
فدعوة الحق قد هزت مشاعرهم ... فجاءها الكل مختارا يلبيها

---

(١) الإخوان المسلمون، العدد٧٨، السنة الثانية، ١٩ ذى الحجة ١٣٦٤هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٩٤٥.

عقد جديد يقود الجيل مرشده - لم يخش فى الأرض ضرا من لياليها

***

مطالب النيل من للنيل يا حسن مطالب الشرق عند الغرب يبغيها
وأنت أولى بها للشرق تطلبها من للعدالة يأتينا بماضيها
أحشد رجالك يا بنا تشيدها فليس هادم دار مثل بانيها
فمن تكن كلمات الله حجته فلن يهاب من الدنيا وما فيها

عطية محمد الصياد

***

"يا جوال"
رشيد أبو مرة

ولـت بشمـسك حلكـة الظلمـاء وهـداك مجـدك مرتقـى الجـوزاء
جنـدىّ ديـن الله هـا أنـا سـامع صـوت العـلا والعـزة الـشماء
إيمانـك المعهـود طمـأن خـاطرى وجهـادك المـشكور كـان رجـائى
لبيـت يـا جـوال دعـوة مرشـد نـاداك بـالتقوى أجـل نـداء
فخلعت أثواب الخمول وصرت فى حلـل النـشاط مجهـز الأعـضاء
ووهبت نفسك للوغى أنـت الـذى تزجـى إليـك مـدائح الـشعراء
إن أنـت قمـت إلى النـضال فإنمـا قامـت لـديك قيامـة الأعـداء
نـار الحـروب علـى المكـر سـلامة وبجنـة الجبنـاء كـل شـقاء
فإذا الهزبر غـدا يـذود عـن الحمـى دكـت لديـه شـوامخ البطحـاء
وتـراه يـدفع عـن حيـاض عرينـه فـى همـة فـى عزمـة ومـضاء
سـيف الكنانـة لا يـرد لغمـده حتـى يعـالج خـصمه بـسخاء
إمـا الممـات أو الحيـاة كريمـة لا خـير فـى عـيش بغـير هنـاء
فهنـاك إحـدى الحـسنيين شـهادة أو نـصرة تـسمو إلى العليـاء
غنـت علـى غـصن الخلـود بلابـل لحـن النهـوض بمـوطن الـشهداء
أعليـت يـا جـوال دينـك مـسلما لتكـون ضـمن كتيبـة خرسـاء

***

عن أوطاننا انصرفوا[1]
رشيد أبو مرة

ألقيت هذه القصيدة بالمركز العام للإخوان المسلمين قبيل البدء فى مفاوضات سنة ١٩٤٦:

الشعر فى مذهبى مسترذل خرف ... ما لم يجدد به فى المرتقى هدف
لم أرهق النفس بالأشعار أنظمها ... إلا لأسردها عند الأولى حصفوا
ما الشعر للناس إلا روضة بهرت ... أزهارها لبهم عطرا ليقتطفوا
يا قادة الفكر مال القول مبتذل ... فى مسمعى مائع ليست به طرف؟
ما أقبح الشعر إن يروى بلا خجل ... فى مجلس غارق فى الخمر يرتشف!
أو عند غانية يلقونه غزلا ... يا بئس ما نظموا فيها وما وصفوا
من لى بمؤتمر للشعر يجمعهم ... حتى أرى منهم الإسلام ينتصف

***

يا حبذا لو غدت لله وجهتنا ... فالدين معتقد ما عنه منصرف
لو أن للدين سهما فى عزائمنا ... رأيت أعداءنا عن أمرهم عزفوا
ما كان أحرى بنا أن نستعد لمن ... راموا اغتصاب الحمى إذ هم به كلفوا
أسلافنا جاهدوا أعداءهم علنا ... ونحن من صيحة التهديد نرتجف
اسلافنا حققوا الآمال مذ نهضوا ... ونحن فى معزل التعليل نعتكف
هل يثمر الفخر بالأجداد عن قدم ... إلا كما تثمر الآثار والتحف؟
لا يوهب الحق فى استقلال مملكة ... لكن بقوتها يبقى لها كنف
لابد للمجد من جهد يضمنه ... والسن بالسن ليس الحكم يعتسف
لبيك يا وطنى إن الفداء دمى ... والنصر يحظى به المستأسد الأنف

***

أين المبادئ؟ راح الغرب يجعلها ... حبرا على صفحات نالها تلف
إن الأولى غرهم بالأمس نصرُهمو ... عمى البصائر لاعدل ولا شرف

---

(١) ديوان إخوانيات ١١-١٣

لا يقـدرون حقوقـا فـى مهمـتهم الجور مبدؤهم والعنـف والـصلف
ظنوا العروبـة فـى الحلقـوم سـائغة فاستعذبوا لقمهـا وانتـابهم شـغف
إن لم يكونــوا رأوا للـشرق عزتــه فالـدر تحجبـه الحـصباء والـصدف
كم حطمـوا كفتـات الـذر وحـدتنا ها نحن جئنا نقوى ما بنـى الـسلف

***

قـالوا سـنعدل فـى إبـان محنـتهم زورا فما حققوا وعدا ولـو حلفـوا
لسنا نـساق ولـن نرضـى مـصادقة فيها الخداع وفيها الحيـف والجنـف
ويـل الكنانـة مـن وقـت يناسـبهم كل المطالب هم فى وجههـا وقفـوا
هم كالـذئاب إذا أكـرمتهم غـدروا أو ثرت فى وجههم ألفيتهم رجفوا
صرح العروبـة قـد لاحـت بـشائره أضحى البناء على جدرانه الـسقف
عما قريب يـصيح الـشرق صيحته يا عصبة الظلم عن أوطاننا انصرفوا

***

يا من تؤمل فى السكـسون معدلـة العــين تهمــز والخــدان والكتــف
مـا ضـرهم أننـا فـى عـسرة أبـدًا أو أن فى عيشنا من ظلمهم شـظف
يـستمتعون بغـرس مـن سـواعدنا والسلب من غيرهم فى عرفهم حـرف
يـا للفظاعـة مـا الميثـاق عنـدهمو؟ هل أبرموه على التضليل أم حذفوا؟
أم تلــك قيثــارة كانــت لمــسغبة حتى إذا شبعوا ضنوا ومـا عزفـوا؟
يـستخدمون لبـاب العلـم مفـسدة كم من ضحايا سلاح العلم قد نـسفوا
جل المـشاكل فـى تقسيم مغـنمهم اليوم هم فى شقاق بعدما اختلفـوا
مـا قيمـة المجـد مـا دامـت مزيفـة فالبحر تعلو علـى أمواجـه الجيـف
قــل للحليفــة إن الــوعى مـشتعل بين العقول وليس الـصف ينحـرف
لا يعقم الغاب مهما أسـده وهنـت فالأسـد يخلفهـا مـن بعـدها خلـف

***

إنـى لأعجـب مـن قـوم. يمـالؤهم فـى رد حـق إلى أصـحابه الأسـف
ما بالهم اقلقوا من صوت دعوتنـا؟ قالوا جنود من الفاشست قد زحفـوا
هم ينـسبون إلى الإخـوان مانـسبوا كيما تشير إلى الاسـطورة الـصحف

بأننـــا نمــــلأ الأسمــــاع أســــلحة … هل يقبل العرف أن الشهم يختطف؟
وإن معــــولهم فــــى هــــدم أمتنــــا … يقضى بأن يسلكوا فى مثل ما اقترفوا
أبنــاء مــصر إلى الميــدان ويحكمــو … ذودوا عن الحوض فالأعداء قد عرفوا
هذى دماء الشباب الطاهر انهمرت … يـوم الجـلاء وعـود الحـر ينقـصف
بـروا ففـى محكـم القـرآن حجـتكم … فــى قولــه "قــاتلوهم أينمــا ثقفــوا"
إنى رأيت ملوك الشرق قـد لبـسوا … ثوب الجهاد وهم من أجلـه ائتلفـوا
الله أكــبر فــى الــدنيا مجلجلــة … والله ينـصر أهـل الحـق مـا هتفـوا.

***

عبد الحكيم عابدين[1]

أخوتنا الإسلامية[2]

وبين الأخوة من أبناء عدنان ... حلوا كراما بمصر الموطن الثانى
لا تحسبوكم ضيوفنا بين أربعنا ... إن الشآمىَّ والمصرى صنوان
أين الضيوف وقد عزت أخوتنا ... وهل تضايف فى دار شقيقان
لم يغترب بيننا أبناء سورية ... كلٌ بنو أسرة فى شعب عدنان

***

تظلنا راية للعُرب بعض معا ... نيها السيادة عن صدق وإيمان
بالأمس ظللت الدنيا وما فتئت ... لذاك تصبو ولن ترضى بخذلان

***

سيعلم الغرب عنا أننا عَرَب ... الموت أشهى لنا من طيف إذعان
وغرة من علا الإسلام تسخر من ... شم الكواكب لا يدنولها الدانى
بها ملكنا الورى قدما وسوف نُرى ... لأهله سادة فى غير عدوان
حق لقوم بنى الأخلاق دينُهمُ ... أن يعمروا الأرض من صخر ووديان

***

أبناء يعرب والدنيا مغالبة ... أنى نقيم بقايا مجدنا الفانى
إنا تصون تراثا لو أُتيح لأعـ ... دائنا لصين بأرواح وأبدان
أبناء يعرب هل من قومه أنف ... تهابها الاسد إن همَّت بإيذان؟
فقد سئمنا أناشيد الجهاد وكم ... أذكت حماستها نارىَّ وجدانى
فهل نرى من صليل البيض طائحة ... بالرأس وقعَ أناشيد وألحان

***

أبناء يعرب إن المجد معترك ... يحظى به كل جَلْد ليس بالوانى
من لم يك السيف فيه جل عدته ... لم ينتفع بقديم المجد والشان

---

(١) البواكير ٢٠-٢١

(٢) ألقيت فى تحية كشافة فلسطين بجمعية الإخوان المسلمين.

قومـوا إذن نـبن بالأسـياف عزتنـا نعـم البنـاء بهـا أو حبـذا البـانى

ونـــشرِ بالــدم آمــالا أُضــغن بــه مـا بـالكلام يُجـار الموثـق العـانى

ولـــيس ينقــذ حــرا مــن مذلتــه إلا التماع الشبا فـى بحرهـا القـانى

فيم النقاش وملء الأرض باطلهم والحــق أبلــج لم تخطئــه عينــان

أيجهل الخـضم أن قـد بـات مفتريـا كفى النفـوس خـداعا أيهـا الـوانى

قم انفض النوم واغش الموت مفتديا أرض النبــوة لا تُخــدع ببهتــان

قــم ننــزع المجــد مــن عــاد نخطفــه وراء دعــوى لإصــلاح وإحــسان

حتــى يعــز بنــا ديــن نعــز بــه ويعظـم الـشرق والإسـلام فـى آن

***

عبد الحكيم عابدين

فى حماك ربنا

[من أناشيد الإخوان المسلمين][1]

فـــــى حمــــاك ربنــــا ... فــــى ســـبيل ديننــــا
لا يروعنــــا الفنــــا ... فتــــولَّ نــــصرنا

وقنا أذى الفتن

***

نحــــن عــــصبة الإلــــه ... دينــــه لنــــا وطـــن
نحــــن جنــــدُ مــــصطفاه ... نــــستخف بــــالمحن
ولنــــا (الكِتــــاب) جــــاه ... نهجــــهُ هــــو الــــسنن
فلــــنعش علــــى هــــداه ... ســــادة أعــــزة

أو نمت له فدى

فـــــى حمــــاك ربنــــا ... .

***

رأس ديننــــا الجهــــاد ... والقتــــال عــــن هُــــدَى
الــــضعاف والــــشداد ... يُعرَفــــون بالفــــدا
كــــم يــــثير فــــى العبــــاد ... عــــزة وســــؤددا
وكــــذاك يُــــستعاد ... مجــــده مخلَّــــدا

فوق هامة الزمن

فـــــى حمــــاك ربنــــا ... .
إخــــوةٌ علــــى (الكتــــاب) ... مــــسلمون لا نكــــل
تحــــت خطونــــا الــــصعاب ... ولغيرنــــا المَلَــــل
النفــــوس والرقــــاب ... فــــى جهادنــــا هَمــــلَ
إن مُــــسلمى الــــشباب ... لا يحــــدّهم أمــــل

---

(١) ديوان البواكير٥٨-٥٩ .

كالأسود لا تهِن

فـــــى حمـــــاك ربنـــــا ....

***

إيـــــه عُـــــدةَ الـــــسلام حقكـــــم هُـــــدى الـــــزمن

عـــــزوه بالحـــــسام كالبنـــــاء إخـــــوةَ

بـــــين مـــــصر والـــــشام والحجـــــاز والـــــيمن

وثبـــــه إلى الأمـــــام فـــــالفلاح قـــــد ضُـــــمن

للمجاهد الفِطن

فـــــى حمـــــاك ربنـــــا ....

***

الكفـــــوف فـــــى الكفـــــوف فاشـــــهدوا عهودنـــــا

الثبـــــات فـــــى الـــــصفوف والمـــــضاءُ والفنـــــا

مهرقـــــى دم الألـــــوف فديـــــة لـــــديننا

وعلـــــى شـــــبا الـــــسيوف نـــــسترد مجـــــدنا

(بالكتاب شرعة)

***

عبد الحكيم عابدين

الشاعر الشهيد(١)

فى الذكرى الأولى

[شهيد الوطن المرحوم عبد الحكم الجراحى الطالب بكلية الآداب]

سَلْ قبره فى مهجة الجوزاء ... إن السماء له مقر ثواء
سله وقد هتفت به جنباته ... عاما من النفحات والأضواء
كم هاله المسك الذكى مضمخا ... بدم الشهيد ونوره الوضاء
سله وقد أضفى عليه جلاله ... وكساه أعظم روعة وبهاء
كم فاخر الأرماس مزهُوًا وكم ... عالى النجوم بذكره المتنائى
قبر لو أن الخلد صور غادة ... لمشت تغازله على استحياء

***

لم لا وقد وسعت جوانبه فتى ... أعيا بهمته القضاء النائى
لم لا وقد أخفى هزبرا أيقظت ... زأراته شعبا من الإغفاء
لم لا وقد أحياء الرجاء بأمة ... لولاه ما نعمت بقطف رجاء
لم لا وقد ملأ القلوب نزيلهُ ... فحسدن قبرًا فاز بالإيواء
مهج تود لو أن فى مقدورها ... فتُحل هذا القبر فى الأحشاء
مهلا سميى كل حى راجع ... لمصيرك الباقى ولو بوناء
لكن كأسا أوردتك الموت لا ... تسقيه غير النُخبة النبلاء

***

يا جيدًا بالنفس وهى عزيزة ... فى غير ما وجل ولا إبطاء
لو قدم التاريخ يومك فترة ... سخر العوالم من سخاء (الطائى)
يا شاعرًا دقت مشاعره فكا ... ن لجسمه فى الروح أىَّ فناء
يا أيها الغزل الرقيق فؤاده ... ما للهوى ومواقف الشهداء

---

(١) البواكير ٨٧-٩٦ .

مــا بــال قلــب حطمتــه الغيــد لا يثنيــه وبــل المــوت فــى الهيجــاء
أحسبت بمطرة الرصاص يدا قد انـ بــسطت لنــا بأنامــل غيــداء
فمــضت خفاقــا تــداعبها وتفــ سـح صـدرك الغـالى لهـا بـسخاء
أم خلت ما يكسو البنادق من دم شـفة جلـت عـن بـسمة لميـاء
أم خلـت لامعـة القنـا بكـرًا تبـا دلـك العنـاق بمـشهد الرقبـاء؟!
لا بـل هـى الـنفس الأبيـة لا تـرى حــق الحيــاة لهــا بغــير إبــاء
يا ويح من زعموا الحسان شواغلا عــن معمعــان المجــد دون غنــاء
مــن الــشعراء وازدحمــوا علــى أوهــامهم، عطفــى لهــم ورثــائى
قـل أيـن صـفحتكم نفـاخركم بهـا مجـدا فهـذى صـفحة الـشعراء[1]

***

أقبلـت تـستبق الـصفوف بعزمـة شــم الجبــال ذكرنهــا بحيــاء
فـتظن إذ تجـرى الأمـام إلى الفـدى تجــرى مخافــة قاتــل لــوراء
ورويـت بالـدم بقعـة غـصبت بـه فــإذا بــه تُــؤتى ثمــار فــداء
وإذا الــشهادة للعــلا زلفــى فيــا أحبــب بهــا زلفــى إلى العليــاء

***

لى مـن ان أزَّ يَّنبـت باسمـك عـزة أوردتهــا يومًــا كــؤوس شــقاء
لمــا نعيــت إلى الرفــاق توهمــوا أنــى الــشهيد فــأقبلوا لعــزاء
فهتفـت: ليـت مـصيرنا ومـصيره متــشابهان تــشابه الأسمــاء
ولــو أننــى يــوم اختيــارك لم أدع وطنـى ولم أعـرف أخـا اسـتخذاء
ما كنـت فيـه مـع الخوالـف قاعـدا عنـه وإن فـات الرصـاص ذمـائى
وظفـرت بالأمـل الحبيـب شـهادة رفعتــك فــوق منــازل العظمــاء
ولعلنــى إن جــد فيهــا حــادث بـك لا حـق فـى الجنـة الزهـراء

***

قـل للمعـزى اكفـف فإنـا بالـذى عزَّيتنــا عنــه ذوو خــيُلاء

---

(١) إشارة إلى صورة الشهيد.

حاشا يعزى بعضنا بعضا وإن جل المصاب- على شهيد فداء
ما كان خطبا أن يصون عرينه ليث فيغدو فيه طيٌّ فناء
وإذا البلاد تعرضت لأذى فأر خصُ ما نقدمه دم الأبناء
مصر إذا دمعت فأخون آلها من لم يجفِّفْ دمعها بدماء

***

هتفت بشمس من بنيها صفوة حسرى تشكى قسوة الأعداء
فمضوا تخال البرق دونهم وفى أيديهم للنصر ألف لواء
نفذوا إلى ساح الحمام لينقذوا وطنا يهيب بهم من الإعياء
لا يغسل الضيم الملم بأمة إلا صبيب من دم الشهداء

***

أأخى الشهيد أرى فؤداى حاسدا لك رغم محض صداقتى وإخائى
أُوثرت دونى بالخلود إذا انطوى لك فى سبيل الله عيشُ هناء
كلفًا بمصر بذلت نفسك راضيًا فلتحيَ مصر إذن حياة إباء
مجد البلاد يقوم بالدم لا على تزيين قول أو جمال نداء
فإذا الجماجم لم تكن لَبِناته لم يحظ يوما بارتفاع بناء

***

أأخى وفيت النيل وعدك هاتفًا للنيل أبذل مهجتى ودمائى
حبَّبت للناس الممات بما خلعت عليه من جذب ومن إغراء
أو ليس يُغرى بالمنية أن يُرى عز البلاد بها رهينَ مضاء
أوليس يغرى بالمنية جمعُها شتى القلوب على هوى ونقاء
ألَّفتَ بين نفوس قوم بدّلت من الائتلاف أذى وطول جفاء
لم ألق مثل الرزء فيك موحدًا لعواطف الأحزاب والزعماء
جمعتهم فيك الفجيعة فاغتدوا سدًا يصد غوائل الأعداء
لا يطمع الأعداء بعدك أن يروا بصفوفنا فرُجا لدس مرائى
هيهات أن يتستروا بخصامنا فى مسّ هذى العزة القعساء
أو يشهروا يومًا على آمالنا بعد الميول وخِلفة الآراء

ليوحـدن الخطـب بـين جهودنـا ولـيجمعن مُـشتت الأهـواء
ولتـبلغن بلادنـا أسمـى المنـى بتـساند الهيئـات والرؤسـاء
ولنقْلِلـبَنّ النيـل سمـا قـاتلا للعـابثين بـه مـن الـدخلاء
ولينـبتن دمـك العزيـز بأرضـنا شـجر البطولـة وارف الأفيـاء
وليغـدون وشـاح نـضهتنا نـرى فيـه شـعار وفًـا وآى مـضاء
ولنتلـون بـه الرجولـة والفـدا سـورا تـثير شـجاعة الجبنـاء
ولنـشدون بهـذه الـذكرى علـى قيثـارة الحريـة الحمـراء
وللننـشئن علـى لوامـع مجـدها جـيلا مـن الأحفـاد والأبنـاء
ولنـرقين بمـصر آفـاق الـسما لتـشيد عزتهـا علـى الجـوزاء
ولـذاك ضـحيت الحيـاة فـنم علـى ثقـة بأنـك باعـث الأحيـاء
وبـأن نـور رسـالة أذكيـت قـد أضـفى علـى الآفـاق والأرجـاء
ولئن حُرمت جزاء صنعك فى الـورى فهنـاك عنـد الله خـيرُ جـزاء

***

إلى المرشد باعث المجد وحامل العلم[1]
شعر محمد طلبة السعدواى

طال الصدى بالوامق المشتاق ... فاملأ فؤادى بالتقى يا ساقى
إنى عشقت طلاك من فجر الصبا ... وسرى الهوى مسرى دمى الدّفّاق
وغدوت خفّاق الجوانح شيّقًا ... أرنو إلى سلسالك الرقراق
ولطالما سكِرت بعذب رحيقه ... وأريجه وعبيره أعماقي
هو آية الله العلىّ ونفحة ... رفّافة الأضواء والإشراق
فأرح قلوب الوامقين بطيبها ... وامنح رحيقك صفوة العشّاق

***

لله ما أبليت فى إحيائنا ... وبعثت من همم ومن أخلاق
لله ما أبليت فى إسعادنا ... وبثثت من حبّ ومن أشواق
لله ما أنفقت فى إروائنا ... وفجرت ينبوعًا من الترياق
كم خطوة بين الديار خطوتها ... تهدى وتنشر آية الخلاق
وتسيح فى طول البلاد وعرضها ... تدعو القلوب لألفة وتلاقي
أمّلت آمالا فسرت بوحيها ... ومضَيت لم تعرف أذى الإخفاق
وكذاك شأن ذوى الرسالات العلا ... لا ينثنون أمام ألف نطاق
فاهنأ – رعاك الله – قد عوّضت من ... تعب ومن سهر ومن إيراق
واملأ فؤادك بالحشود كريمة ... تهوِى إليك بفرحة ومتاق
ألفت بين قلوبهم بمحبّة ... وربطت بينهمو بخير وثاق
قلت انهضوا – فتفاعلت بنفوسهم ... وكأنها تعويذة من راق
أو أنّ "هاروتًا" تجدد سحره ... أو أنّ "عيسى" فى العشيرة باق
فإذا جميع الراقدين نواهض ... نبذوا حياة القيد والأوثاق

---

(١) [ديوان "من وحى الدعوة" صـ٩٠-٩٧، ونشرت فى مجلة الإخوان المسلمين العدد، ٢١٠ - ٢٨ أغسطس١٩٤٨] بمناسبة مرور ٢٠عامًا على بدء الدعوة.

يتـأهبون لخـوض كـلّ كريهـة ... وخصومة دموية وشقاق
عافوا حياة الوحل فى مهد الغنى ... واستبرأوا من حَمأة الإملاق
وتململوا بالقيد وهو مذلّة ... والموت من عيش المذلّة واق
ثمرات دعوتك الكريمة أينعت ... أنعم بخير جنىً وطيب مذاق
فاليوم لا أنساب بين ديارنا ... لا أنت مصرىّ وأنت عراقي
كلا فما غير الأخوة نسبة ... جمعت أواصر أمة ورفاق

***

هذى فلسطين العزيزة تلتقى ... فى أرضها عُرْب على ميثاق
هو من كتاب الله مأخوذ وما ... أسمى مواثيق الكتاب الباقى
صفحات ماضينا الكريم تجدّدت ... حمراء تزهو بالدم المهراق
وتهيب بالنوّام فى وضح الضحى ... طال الرّقاد وذلّ الاسترقاق
هيّا انسجوا نسْج الجدود وأبدلوا ... ثوب التقى بثيابنا الأخلاق
فتموج فى أعماقهم وكيانهم ... روح الغيور وعزمة المصداق
حتى إذا حان النضال رأيتهم ... يتسابقون إليه أىّ سباق
تسرى حميّا الحرب فى أوصالهم ... كالكهرباء أو اللظى المحراق
لولا السياسة والخنوع وسادة ... مَرِئوا الهوان وذلة الأعناق
لولا السياسة والخضوع وساسة ... مَرَدوا على جبن وسوء نفاق
لولا السياسة والسلام وطغمة ... رضيت بذلّة "هدنة" ووفاق
لرأيت أجناد العروبة أوردوا ... ورد الحتوف عصابة السرّاق
ورأيت أوغاد اليهود وحلمهم ... بددا بكل مسارب الآفاق
هى نكسة "البشوات" من زعمائنا ... بدلت بغار النصر ذلّ إباق
مهلا بنى صهيون سوف تروننا ... أُسْدا بلا صُفد ولا أطواق
تجتاح كل مقامر ومغامر ... وتقطّ رأس التائه الأفّاق
وتحيل وهم النصر فى أفواهكم ... سمّا على طعن وضرب رقاق
وتخط للتاريخ فوق قبوركم ... فى التّرْب أو فى لجّة الإغراق
نفقت بأيدى العرب دولة "حايم" ... فليبك "شرتوك" دم الآماق

والله أدعـــو أن يـــؤازر فتيـــة ... شـــرفوا برفـــع لوائـــه الخفّـــاق
ويـديم مرشـدهم وباعـث مجـدهم ... ومنـــارهم فـــى غيهـــب ومحـــاق
ويعيـد للإســلام زاهــر عــصره ... بربيعـــــه وأريجـــــه العبَّـــــاق

***

المنظر الثالث

من مسرحية: لبنى وابن ذريح[1]

لإبراهيم عبد الفتاح

تنزل القافلة ديار بنى كعب ويأخذ قيس وعاء ليملأه ماءً

قيس:

ظمئنا وطال السير واحتدم الحرُّ ... ومـا قابلتنـا فـى مـسالكنا بئْـرُ

وهـا هـو ذا بيـت كـريم أمامنـا ... وفيـه بـإذن الله ينتظـر الخـيرُ

يطرق الباب فتجيبه فتاة: من الطارق الغادى

قيس:

.... أخ شـفّه الظمـا ... غريبٌ فهل من جُرعةٍ ولك الشكْرُ

الفتاة: تفضل حليبًا

قيس مبهوتًا:

... ويـح عينـى مـن أرى ... أتلـك فتـاة أم تجلـى هنـا البـدرُ

قيس:

أخذت نصيبى من حَليب مرطَّب ... به عن فـؤادى خَفَّ وانطفأ الحرُّ

لـك الـشكر هـاتى المـاءَ

الفتاة:

.... سمعًـا وطاعـةً ... لك الجود يا ضيف الحمى ولكَ البرُّ

قيس بعد الشرب:

رويتُ فشكرًا ألفَ شكر لفضلكم

الفتاة:

.... هنيئاً مَريئًا يـا أخـىَّ لـكَ الـشُرْبُ

قيس:

تلقيـتُ إكرامًـا بغـير تعـارُفٍ ... فمـا حـيُّكُمْ،

---

(١) المسرحية: ١٦-٢٥.

الفتاة:

.... كعـب..............

قيس:

.... ألا حبـذا كعـبُ

قيس مندفعًا:

كرام غمامُ الأفق يحكـى سـخاءهم   ومنهم أسودُ البأس إن شبتِ الحْربُ
وهم عصمة اللاجى وهم أمنُ خـائف   وهـم أنجـمٌ غُـرٌ تَـدِينُ لها الـشُهْبُ
وهـم زينـة العليـا وسـادةُ أهلـها   لهم منزل رحب لهم كنـف خِـصْبُ
فَتاهُم خطيب فى النوادى مُفَـوّهٌ[1]   ولكنه عنـد الأعـادى هـو الخطـبُ

الفتاة:

تمهـل ولاتكثـر لعلـك شـاعرٌ   فقد جاوز الحسبانَ مَنْطِقُكَ العَـذْبُ
فما كـان سـقىُ المـاء للنـاس داعيـا   لمـــــــدح

جاريتها عفراء:

....   لعـل المـرءَ أنطقـه الحُـبُّ

يظهر الخجل على وجه قيس وعلى وجه لبنى وتنهر جاريتها قائلة فى حدة

الفتاة:

دعـى المزحَ يـا عفـراءُ تلـك مجانـةٌ   وما لكِ فـى نطـق بهـا هَهُنـا عـذرُ
مكـارم أخـلاق ونبـلٌ وعِـزّةٌ   وجـودٌ بعيـد أن يُحـيطَ بـه الـشكرُ

قيس للفتاة:

ومـــا اسمِـــك

الفتاة:

.... أخـشى أن تقـول قَـصيدةً   كما قلتَ فى كعب فطاوعَك الشعرُ

قيس: سخرت بنا

الفتاة:

.....لا. لا ولكـــن مخافـــةً   فـشعرُك سِـحرٌ لا يقاومـه سـحرُ

---

(١) بليغ.

قيس:

تعالى فتاتى ما اسْم مولاتك التى ... تنــدَّر بالـضيف الغريـب...

عفراء:

.... اسمهــا لبنــى

عفراء: وما اسمك.

قيس:

.... قيس من كنانة منزلى ... يثــــرب

لبنى:

.... طابت يثربٌ سُكْنَى

يجـاور أهلوهـا النبـىَّ محمـدًا ... فيلقـون فيهـا الخيرَ والبِرَّ واليمنـا

قيس:

تحـبين يـا لُبنـى زيـارة يثـربٍ

لبنى:

.... أجل. إنهـا أرضُ النبـىّ لهـا اشتْقنا

قيس:

سأعملُ جهدى كـى تـزوروا نبيَّنـا ... ويـسعَد أهلُونـا بأهلـك يـا لبنَـى

سنقضى هنا فى أرضكم بعض أشهر ... ونـصحبكم ضيفًا كِرامـا إذا عُـدْنا

هنالـك تَقْـضُون الزيـارة عنـدنا ... ونبقى على الـودّ المطهَـر مـا عـشنا

لبنى:

أذلـك وعـد منـك يـا قـيس. إنـه ... كـلام جميـلٌ يُـسعد القلْـبَ والْأذْنـا

قيس:

وأشـهد ربـى أننـى فيـه صـادق ... وأسـأل ربـى أن يكـون لنـا عونْـا

تجارتنـا مـنكم قريـب وعنـدنا ... طرائف شـتىً قـد تـسرُّك يـا لبنـى

لبنى:

حُبـابٌ أبـى لم يـأتِ بعـدَ خروجـه ... ولم يتعـوّد أن يغيـب كـذا عَنَّـا

فيا مرحبـا لـو جئتنـا فـى حـضوره ... لَلَاقَاكَ بـالنُعمَى وجـازاك بالحـسنى

يَنصرف قيس بعد أن وعدها بالعودة وقد بدأت شرارة الحب تُوقدُ فى قلبه.

المنظر الرابع

قيس بين زملائه فى خيام القافلة وشيخ التجار يسأله.

الشيخ سعد:

لقد غبت يا قيس عنا طويلا فهل فى الديار ضَلَلْتَ السبيلا
وعدتَ لنا واجما ساهما كأنك تحملُ هَمًّا ثقيلا

زميله الليث:

فماذا اعتراك وماذا دهاك أصادفت فى الحىّ ريمًا جميلا[1]
تحدّث وبُحْ لىَ يا صَاحبى أأصبحت تشكو غراما دخيلا؟
أصادتك فاتنة فى الطريق؟ فأصبحَ قلبك صَبا عليلا؟

قيس:

مزاحك يا صّاحبى لا يطاق فدع عنك بالله هذا الفضولا

يبيت قيس قلقا سهران يدندن يقول الشعر ويبكر فيصلى الفجر وفى الصباح يأخذ وعاء الماء ويقصد دار الحباب.

المنظر الخامس

عقب صلاة الصبح يحمل قيس وعاء الماء فارعا إلى دار الحباب.

يا من سقَونى حليبا فارتوى ظمأى بالأمس بالكأس قد فاضت بِسلسال[2]

بالأمس جئتُ فنلتُ البر من يدكم ياليت شعرى هل تدرون ما حالى
قصدى نبيل وبى شوق لرُؤيَتِكُمْ وكلُّ سُؤْلِىّ أن تَرْثوا لأحوالى[3]

لبنى:

عفراء هاتى وعاء الماءِ من يده فالماءُ أيسر ما يعطَى لجوَّال

قيس:

نعم. أجولُ وآتى حيكم شغفًا بذات قلبٍ إلينا غيْرِ ميَّال
يارب ألقيْتَ فى قَلبِى محبَتَها فلستُ عنها مدى الأيام بالسَّالى

---

(١) الظبى الخالص البياض إستعارة للفتاة الجميلة.

(٢) ماء سلسال: سهل المرور فى الحلق لعذوبته وصفائه.

(٣) السؤال:الطلب: ما يساله الإنسان ويطلبه (قد أوتيت سُؤلك يا موسى).

يـاربّ جُـدْ لى بـشيء مـن مَوَدَّتِهَـا ... وَألْقِ بعضَ الهوىَ فى قلبهـا الخـالى
حتـى يـدوم هوانـا دائمـا أبـدا ... أرعى لهـا حبهـا عنـدى وترعـى لى

لبنى:

عندى لك الودُّ لكـن لـست أعلنـه ... وقد أفوقك فـى شـوقى وبلبـالى[1]
كانـت زيـارتكم بـالأمس فاتحـةً ... قلبـى لحـب شـريف مـشرق حـال
ما كنتُ أحـسب أن الحـب يغلبنـى ... ولوعة الـشوق لم تخطـر علـى بـالى
لـولا المـلامُ وخَـوفى مـن عواقبـه ... سـرتُكَ مِنـىَ أشـعارى وأقـوالى
ولكن احذر من التّصريح فى غـزل ... وازعم بأنك مـن هَـمّ الهـوى خـال
إن كنت تصدُقُ فى حبى فكن حذرا ... واكتم أمورَك عـن قـومى وعـن آلى
لو بحت باسمى وما أبديت من شغفى ... فَتحـتَ بابـا لحـسادى وعـذّالى

قيس:

أعـانى الله يـا لبنـى وألهمنـى ... كتمـانَ حُبّـى لكـى أحظـى بآمـالى

لبنى:

لى والـد غـير فـظ فـأتِ سـاحته ... تلـقَ الحبـاب كـريم العَـمّ والخـال
لا تخـش مـن والـدى شيئًا تحـاذره ... بمثـل قـيس أباهىكـلَّ أمثـالى
وقد ذكرتُ له مـا صُـغتَ مـن دُرر ... فى مدح كعب فأطراها وأصـغى لى

(يمد قيس يده بوعاء). قيس:

هـذا الوعـاء خـلا والمـاء عنـدكمُ ... عـذب شـهِىٌ سـائغ صـاف

لبنى:

ماذا قصدت بوصف الماء فـى كلـم ... عـذب شـهىّ فـراتٍ سائغٍ صـاف
فهـل تعـودت إلقـاء الكـلام كـذا ... أم أنـتَ حقـا محـبٌ صـادق وافـى

قيس:

الله يـشهدُ أنـى لم أقـل كـذبا ... بل إنكم فى ضميرى فوق أوصافى

المنظر السادس

يقبل والد لبنى فيرحب بقيس ضَيفًا وينحر له شاة ويحتفى به ويـأمر بإعـداد الطعـام ويطلب من قيس الجلوس مرحبًا به.

---

(١) البلبال: شدة الهم والوسواس.

الحباب: سلام عليك.

قيس:

..................عليـك السـلام

الحباب:

.... أخـا العُـرْب مـا أنـت مـن حينـا

قيس:

نَعَـمْ جئـتُ أطلـب بعـض المياه فقـد نفِـد المـاءُ مـن ركبنـا

الحباب:

أظنـك أنـت الـذى جئتنـا وصـغت اللآلـئ فـى مـدحنا

(تشير لبنى لوالدها أنه هو)

الحباب:

ضـعى المـاء لبنـى هُنـا جانبـا وهـاتى الطعـام هنـا عنـدنا

وهـاتى الوسـائد هـاتى البسـاط لنكـرم فـى يومنـا ضـيفنا

أعـدوا الطعـام لـضيفى الكـريم طعامـا يليـق بمـن أمَّنـا

وهيّـا انهـضوا واعملـوا جهـدكم لتقـديم أشـهى طعـام لنـا

قيس:

لـك الـشكر يـا سـيدى عـافنى لـك الحمـد منـى وطيـب الثنـا

الحباب:

أيـا مرحبـا بـك مـن يثـرب أيـا ضـيفنَا أنـت شـرَّفتنا

نُحـبُّ النبـىَّ وجيرانـه ويـسعدنا اليـوم أنْ زرتنـا

قيس:

أبـى أنـت والله أحرجتنـى ....

الحباب:

.... تفـضَلْ بربـك فـاجلس هنـا

سـنجلس يـا ضـيفنَا جلـسة تزيـد التعـارف مـا بيننـا

يقدم الطعام سريعًا كأنه كان معدًا من قبل

الحباب:

يـا ابـن ذريـح أنـت مـا أكلـتَ

قيس:

.... شـــــــــــــبعتُ

الحباب:

.... لا. إنَّـــكَ مـــا شـــبعتَ

الحباب: خذ هذه منى

قيس:

.... لا والله

الحباب:

.... لبنـــى ارفعـــى الطعـــام

لبنى:

....كـــل بـــالله

الحباب: الضيف لم يشبع من الطعام

لبنى:

.... الطهـــوُ لا يليـــق بالمقـــامِ

فـى المـدن ألـوانٌ مـن الطعـام لا ســيما منــازل الكــرام

قيس:

طهـــــو جميـــــل وزادُ محبَّـــــبٌ مـــــستطاب

إن الـــــسماحة بحـــــرٌ يعلـــو عليـــه الحُبـــابُ

والنـــاسُ قـــشرٌ وأنـــتم وسْـــطَ الأنـــام اللبـــابُ

ولا يبـــــارِى نـــــداكم مهمـــا أفـــاضَ الـــسحاب

ديـــار كعـــب وكعـــب فـــى بـــالجودِ طابـــت وطـــابوا

الحباب:

لا تكثـــر المـــدح إن الْـــ ـــكثيرَ منـــه ســـبابُ

وأنـــــت ربٌّ بيـــــان لـــه معـــانِ عـــذاب

قــد راقنـــى منـــك شـــعر   فيـــه خيـــالٌ عجـــابُ

لبنى:

أبــى إنّ قيــسا شــاعرٌ مــتمكن   قــدير كنهــر بالبلاغــة يَنْـصَبُّ
وأثنـى علـى كعـب وعظـم شـأنها   ومـن قولـه فيهـا: ألا حبـذا كعـبُ
كرام غمام الأفق يحكـى سـخَاءهم   ومنهم أسود البأس إن شَبَّتِ الحربُ
وهم عصمة اللاجى وهم أمن خـائف   وهم أنجم زهـر تـدين لهـا الـشهب
وهــم زينــةُ العليــا وســادة أهلــها   لهم منزل رحبٌ. لهم كنف خِـصب
فتاهم خطيب فى النوادى مفـوّه[1]   ولكنه عنـد الأعـادى هـو الخطـبُ

قيس:

لقـد حفظـت لبنـى كلامـى جميعَـه   وذلـك لم يخطـر وربـى علـى بـالى
فيالـك مـن أخـتٍ شـديد ذكاؤهـا   وَرِثْتِ العلا عن خير عَمّ وعن خال

الحباب مفتخرًا:

أخـا العَـرَب اعلـمْ أن لبنـى أديبـةٌ   أحاديثهـا مـا بـين شـعر وأمثـال

قيس:

فتـــاة غـــرس والـــدها   حباهـــا النبـــلَ خـــيرُ أبِ
ســـلام الله يـــصحبكم   كـــرامَ المجـــد والحـــسبِ
برغمـــــى أن أفـــارقكم   وأنـــتم ســـادةُ العَـــربِ
وأهـــل الجـــود والمعـــرو   ف والأخـــــلاق والأدبِ
تَحِيـــاتى وإخلاصـــــى   لكـــم منـــى مـــدى الحقـــبِ

يخرج قيس سعيدًا فرحا مودعًا من أهل البيت الكرام وفى نفسه آمال كِبَار.

المنظر السابع

فى منزل جارة للبنى- تجمع الجارة بين المتحابين

قيس:

إنـــى أحبـــك يـــا منـــى   نفـــسى وقلبـــى مـــستهامْ

---

(١) مفوّه: قوّال بليغ فصيح.

فـــضعى يمينـــك فوقـــه لتخففـــى حَـــرَّ الهُيـــامْ

وترفقـــى بـــى إننـــى نـــضوُ الهـــوى بـــادى الـــسَّقامْ

لبنى:

أجننـــتَ يـــا ابـــن الأكـــرمين فرحـــتَ تهـــذى بـــالكلامْ

أســـألتَ نفـــسك قبلـــه هـــذا حـــلال أم حـــرامْ

قيس:

إن قلـــت مجنـــونٌ فـــلا عتـــبٌ عليـــكِ ولا مـــلامْ

مـــا صِـــرتُ أعقـــلُ فـــى الحيـــاة ســـوى الحـــديث عـــن الغـــرامْ

والـــشعر فيـــك محبـــبٌ حـــسنُ المعـــانى والنظـــامْ

سُـــبحان مـــن يَهـــب الجمـــالَ لمـــن يـــشاءُ مـــن الأنـــامْ

لبنى مُحذِرة:

أيَـــصِحُّ أن تُلقـــى القـــصيـــدَ يـــسوؤنا يـــا ابـــن الكـــرام

اكفـــفْ عـــن الـــشعر الـــذى يـــؤذِى كجارحـــة الـــسهامْ

الـــشعر حـــين يـــشيعُ يجـــعلنَا مواضـــع الإتهـــامْ

ويـــسبب الـــشعر القَـــسَاوة والعـــداوةَ والخـــصام

ولقـــد يجـــرُّ- فكـــن علـــى حـــذر- لتجريـــد الحـــسامْ

فـــالعرض جـــوهره مـــصونٌ لا يُمَـــرَّغُ فـــى الرغـــام

قيس:

لم أذكـــر اسمـــك مـــرة والله يـــشهد والأنـــام

إنـــى نـــذرت الـــصوم عـــن شـــعرى وعـــن كـــل الكـــلام

ولـــسوف نقـــصد بيـــتكم نـــسعى لتحقيـــق الوئـــام

ســـنزوركم فـــى داركـــم نرجـــو مـــصاهرة الكـــرامْ

يـــالبن هـــل ترضـــيْنَنى أم لـــستُ أهـــلا للمقـــام

***

من مسرحية الهجرة الأولى لمحمد يوسف المحجوب

١٤-١٩

(يدخل عمرو وعبد الله من جهة، وجعفر ورفاقه من جهة، ويحيون الملك)

رئيس البطارقة (يقدمهم تباعا):

ذَاكَ عمروٌ أتى عَنِ العُربِ يَسعَى ... بالهـــدايا لِتَاجِـــك الوَضَّـــاءِ

(يتقدم عمرو محييا)

... ذلكم، جعفر، على رأس قوم ... مـــن ذويـــه.. مُلبيـــا للنـــداء

(يتقدم جعفر محيِّيًا)

(يأخذ الجميع أماكنهم ويسود الصمت)

النجاشى (مرحبا بهم):

مرحبًـا بالـضيوفِ جَـاءوا حِمَانَـا: ... مـن نَزيــلٍ.. أو طالــب للإخــاء

(عمرو فى دهاء)

مُـشَرِّقَ التـاجِ: أرسـلتنا قـريشٌ ... نرتجيــكَ الغَــدَاةَ عَونًــا ونَــصْرا

قـد حَمَلنـا إليـك بَعـضَ الهَـدَايَا ... عَـلَّ فيهـا لفَـضْلكَ اليَـوْمَ شُـكرا

(ثم يقدم الهدية الخاصة بالملك)

النجاشى (وقد تقبلها):

نحـن نرعـى لِمَعشَر العُـرْبِ وُدا ... ونـراهُمْ لِقَومِنـا - العمـرَ- ذخـرا

عمرو:

هَـاجَر القَـوْمُ فـى عِنـادٍ ورَاحـوُا ... يَنْشُرون الفسادَ فـى الأرض طُـرا

قَـدْ مَـضَوا يُبْـدعُونَ دينًـا جديـدًا ... سَوْفَ نَلْقى به على الدهرِ خُسْرًا

ديــن آبــائِهمْ جَفَــوْهُ عِنــادًا ... لــو أفــاءوا لــدِينكم كــانَ خَيْـرا

نرتجــى أنْ تُعيــدَهُمْ لِــديار ... هِـىَ أوْلَـى بِهـمْ مَكانـا وأحْـرَى

نحـنُ نخْشى علـى بـلادكَ مِـنهمْ ... أنْ يَبُثُّـوا فيهـا الغَوَايَـة جَهـرًا

النجاشى (لجعفر): أصحيحٌ يا جعفرٌ ما يَقُولُ ؟

جعفر (فى قوة وحزم): حاشَ للهِ أنْ تزيغَ العقُولُ

نحـن قـومٌ نحيـا بـدينِ كـريم ... قـد هَـدانا لـه النبـىُّ الخليـلُ

مَلِيـكَ الفَـضْلِ: قـد عِشنا زَمانًـا ... بـدينِ الجاهليـةِ غارقينـا

وكُنَّا نَعْبُد الأصنام جهلا ... ونرتكبُ الفَواحِشَ سَادِرينا
ولا نرعى الجوار لأى جار ... ولا نرعى حقوق الأقربينا

عمرو مقاطعًا: أيرضى ذاك مولاى المفدى؟

النجاشي:

لتسكت عمرو ... دعه كى يُبينا

جعفر متابعًا:

.... ويأكل أقوياء الجاه منا ... ضعافهم طغاة جائرينا
وكم وأد البنينات بنا أثيم ... وراح- ضلالة- يحمى البنينا-
إلى أن جاءنا منا رسولٌ ... رأيناه على الدنيا الأمينا
صدوقا ... طاهرا... عفا... رحيما ... يُواسينا ويرعى البائسينا

النجاشى (مستوضحًا فى اهتمام):

تحدث عن رِسَالتهِ وأفصِح ... فَرُسلٌ الله نُورُ العالمينا

جعفر (ماضيًا):

.. ألّا نرى فى الكَونِ إلا ... إلها... لاشَريكَ.. ولا مُعينا
دعانا للصلاة فإن فيها ... صفاء يملأ الدنيا حنينا
دعا للجود والإحسان حتى ... يعيش الناس دوما هانئينا
دعا لمكارم الأخلاق طرا ... ليسعد من دعا: دنيا ودينا
وجاء لنا بقرآن كريم ... وطالعنا به نورا مبينا
فصدقنا، وآمنا، ورحنا ... لما يدعو جميعا طائعينا
فهال القوم ما جِئْنا ... فراحوا ... لنا ولمن أناب معذبينا
وفيما كان يلقاه بلالٌ ... مثالٌ للطغاة الظالمينا

النجاشي:

وماذا كان يلقاه بلال ... ومن هو

جعفر:

طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبينا:

كريم من بنى الأحباش يحيا ... بمكة... قد رَضِىَ الإسلامَ دينا

شَـــراهُ "أميـــةُ" بالمـــال كـــبرا — وحـــاول أن يـــذل لـــه جَبينـــا
ويرجعـــه إلى الأصـــنام عبـــدا — فلـــم يقبـــل حيـــاة الـــصابئينا
فعذبـــه.. وأوثقـــه.. وألقـــى — عليـه الـصخر كـى يلقـى المنونـا
فأنقـــذه "أبـــو بكـــر" ولـــولا — نـــداه لكـــان طَـــيَّ الهالكينـــا
شَـــراهُ، وســـتة، ... عطفـــا وَبـــرا — وأعـــتقهم لوجـــه الله فينـــا
فعاشـــوا فـــى حمـــى قـــومى كرامـــا — وكـــانوا قبلـــها مستـــضعفينا

النجاشى (فى سرور):

رجـــالُ مـــروءة، ومثـــالُ نبـــلٍ — ســـيحيا ذكـــرهم فـــى الخالـــدينا

جعفر (متابعًا):

.. أرادوا أن نعـــود إلى ضـــلال — وأوثـــان ... ونحينـــا مُـــشركينا
فلمـــا أن طغـــوا وبغـــوا علينـــا — ســـرينا نحـــو أرضـــك لائـــذينا
أتينـــا للنجاشـــى المرجـــى — وهاجرنـــا إليـــه صـــابرينا
تخـــيرك "النبـــىٌ" لنـــا نـــصيرا — فجئنـــا نقـــصدُ الحـــصن الحـــصينا

النجاشى (وقد تأثر واقتنع):

أسمعـــونى قـــرآنكم... فيقينـــى — أن فيـــه هدايـــة ويقينـــا

جعفر (لعثمان بن مظعون):

هات –عثمان– ذكر عيسى، ورتـل — وحـــى قرآننـــا بيانـــا رصـــينا

***

من أزجال عبد اللطيف العيلى (٧-١١)

الله أكبر

اهتفـــــوا الله أكـــــبر اهتفـــوا بهـــا يـــا شـــباب
اكتبوهــــا بـــدم أحمـــر وارفعوهـــــا ع الحـــــراب

***

اجعلوهـــا رمـــز ديـــنكم وانـــشروها فـــى الوجـــود
حطمـــوا غـــل المهانـــة فكـــوا مـــن أيـــدكو القيـــود
أخلـــصوا لله وبـــــايعوا واعزمـــوا عـــزم الأســـود
وإن سمعتـــوا المـــولى نـــادى (فـــى سـبيلى يـــا جنـــود)
انـــشروا رايـــة محمـــد وارفعـــوا فـــوق الكتـــاب
واهتفـــــوا الله أكـــــبر اهتفـــوا بهـــا يـــا شـــباب
اكتبوهـــا بـــدم أحمـــر وارفعوهـــــا ع الحـــــراب

***

اهتفـــــوا الله أكـــــبر وانـــــشروها للـــــسلام
واســـتعدوا صـــف واحـــد واخمـــدوا نـــار الخـــصام
دينـــا واحـــد ليـــه نزاعنـــا نـــادوا نـــادوا بالوئـــام
واعملـــوا يـــا جنـــد طـــه انقـــضى عهـــد الكـــلام
الحقـــوا حوشـــوا أمكـــم تحـــت أســـنان الكـــلاب
اصـــرخوا الله أكـــبر اهتفـــوا بهـــا يـــا شـــباب
اكتبوهـــا بـــدم أحمـــر وارفعوهـــــا ع الحـــــراب

***

هـــو دينـــا بـــس يـــأمر بالـــصلا أو تـــرك زاد؟
لأ وإلا مـــا كـــنش رايتـــه رفرفـــت فـــوق الـــبلاد
الكتـــاب فيـــه العبـــادة واتفـــرض فيـــه الجهـــاد
وبأحـــد وببـــدر دينـــا انتـــصر فـــى الكـــون وســـاد

والملايكـــــه جــت ولبــت صــوت محمــد فــى الــصحاب
لمــــا قـــال الله أكـــبر اهتفـــوا بهــا يــا شــباب
اكتبوهـــا بــدم أحمـــر وارفعوهـــا ع الحـــراب

***

ليـــه يكـــون الـــذل فينـــا واحنـــا نــسل ابــن الوليـد
والرســـول ازاى يـــشوفنا مـــسلمين عايـــشين عبيـــد
بايــه نــدارى ينــاس كــسوفنا لـــو نـــشوف حمـــزه الـــشهيد
وايـــه هنعمـــل مـــا تقولـــولى عنـــد ذى الـــبطش الـــشديد
لـــو نقـــدم صـــفحة ســـوده تخـــزى فـــى يـــوم الحـــساب
انهـــــضم الله أكـــــبر اهتفـــوا بهـــا يـــا شـــباب
اكتبوهـــا بـــدم أحمـــر وارفعوهـــا ع الحـــراب

***

قومـــوا يـــا إخـــوان تعـــالوا واســـتعدوا فـــى الـــصفوف
وامحـــوا مـــن فـــوق البـــسيطة كـــل ظلـــم وكـــل حيـــف
(يـــا حـــسن) احنـــا نزعنـــا مـــن قلوبنـــا كـــل خـــوف
يـــا لله خـــش الجنـــه بينـــا تحـــت اظـــلال الـــسيوف
لـــو تطـــير فـــى لجـــو نـــصعد أو تخـــوض بينـــا العبـــاب
راح نقـــول الله أكـــبر اهتفـــوا بهـــا يـــا شـــباب
اكتبوهـــا بـــدم أحمـــر وارفعوهـــا ع الحـــراب

***

تحية

يـا بلبـل يـا طـاير نـواحى البقيـع
تبلـغ صـحاب الرسـول الـسلام
وتهـــدى تحيـــة لطـــه الـــشفيع
يـــردد صـــداها صـــليل الحـــسام

***

هات أيدك نبايع (يابنا) يـا مرشـد
بنيـت بالمـسلح نفـوس الـشباب
بنيـت جـيش عرمـرم لدينـه مجنـد
يخـوض المعـارك يهـد الـصعاب
أساســه الــشريعة وســنة محمــد
ودينــه النــصيحة رفــع الكتــاب
عهـــدنا الهنـــا نمـــوت أو نجـــدد
مــيراث الــصحابة ونــشر الــسلام
ونهـــدى تحيـــة زكيـــة لأحمـــد
يـــردد صـــداها صـــليل الحـــسام

***

تعـــالوا تعـــالوا نـــسوى صـــفوف
كتايـــب محمـــد ونـــوفى العهـــود
ونرفـع بايـدنا لفـوق الـسيوف
وتكتـــب دمانـــا أيـــات الخلـــود
يا نعلى الشريعة يـا نلقـى الحتـوف
وربـــى ورســـوله علينـــا شـــهود
لنـصبغ بـدم العـدو الكفـوف
فـى يـوم الخـصومة ويـوم الـصدام
ونهـــدى تحيـــة زكيـــة لأحمـــد
يـــردد صـــداها صـــليل الحـــسام

***

وتهتـف قلوبنـا باسـم الكـريم
يلبـــى نـــدانا جميـــع الـــبلاد
غايتنـــا الاهنـــا وطـــه الـــزعيم
ســـلكنا ســـبيله ســـبيل الجهـــاد
قانونـــا المُنـــزل كـــلام الحكـــيم
طريـــق الـــسعادة وحبـــل الرشـــاد
مبـــادئ حواهـــا فؤادنـــا الـــسليم
وموتنـــا فـــى ســـبيلها أعـــز المـــرام
ونهـــدى تحيـــة زكيـــة لأحمـــد
يـــردد صـــداها صـــليل الحـــسام

***

أبونـا يـا مـسلم دا حمـزه الـشهيد
وعمـرو دا عمـى وخـالى الإمـام
أســـامة وطلحـــة وابـــن الوليـــد
وســـعد وعبيـــده جـــدودنا الكـــرام
ميراثهـــم دا لازم إلينـــا يعـــود
يـــا تـــصبح حياتنـــا علينـــا حـــرام

يأمـــة محمـــد مـــيراث الأســـود بتاكلـــه التعالـــب وإنـــتم نيـــام
تعـــالوا تعـــالوا نعـــد الجنـــود وننـــشد بقـــوة نـــشيد الـــسلام
ونرفـــع لـــدينا أعـــز البنـــود ونهـــدى تحيـــة لخـــير الأنـــام

***

الهجرة

ألقى فى حفل هجرى إخوانى:

الطير الشادى   على الغصن أهو غنى
والقلب الشاكى   فرفش وتهنى

***

وسمعنا الهاتف   بنشيد الجنة
قام دغرى هتفتا   أهلا (بالبنا)

***

أهلا (بالبنا)   أهلا بجهاده
فارس متحاوطه   جنده وأولاده

***

بنا بيبنينا   ولا فيش فى إيده فاس
فى ايديه المصحف   والشرع أساس

***

من مصر مهاجر   للقطر بحاله
بالصحه مضحى   ومضحى بماله

***

والمصطفى طه   هاجر قبليه
هاجر ساب مكة   وترك اهاليه

***

فى الله ساب بلده   واعتز بدينه
والسبع يهاجر   إن ضاق به عرينه

***

أنا شفت حمامه   قلتلها قوليلى
عن يوم الهجرة   يا حمامه احكيلى

عشـــــــشتي ويـــــــضتي		علـــــى بـــــاب الغــــار
ضــــــــللتى الكفـــــــرة		وعملتـــــــــى ســــــتار

***

قـــــام قالـــــت ابـــــدًا		دا نـــــــور المختــــــــار
مــــــن شــــــدة ضـــــوءه		أعمـــــــــى الكفـــــــار

***

هـــــــــاجر متخفـــــــــى		مـــــن مكـــــة لطيبــــــه

***

المصادر والمراجع

الكتب

١- ابن القرية والكتّاب: د. يوسف القرضاوى (دار الشروق- القاهرة- ٢٠٠٢)

٢- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالى (دار الشعب- القاهرة. د.ت)

٣- الأخبار الموفقيات: الزبير بن بكار (تحقيق سامى مكى الغانى- بغداد. د.ت)

٤- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ: محمود عبد الحليم (دار الدعوة- الإسكندرية ١٩٤٨)

٥- الإخوان والمجتمع المصرى والدولى (١٩٢٨-١٩٣٨): جمعة عبد العزيز (دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة - ١٤٢٤- ٢٠٠٢)

٦- إخوانيات: (ديوان شعر) رشيد أبو مرة (١٣٦٥-١٩٤٦)

٧- الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف: د. جابر قميحة (الدار المصرية اللبنانية. ط١ القاهرة ١٤١٢- ١٩٩٢)

٨- أدب الخلفاء الراشدين: د. جابر قميحة (دار الكتاب المصرى اللبنانى- القاهرة- ١٩٨٥)

٩- الأدب وفنونه د. عز الدين إسماعيل (دار الفكر العربى- القاهرة. ط ٣

١٠- أدب ونقد محمد المجذوب (نادى المدينة الأدبى- السعودية- ١٤٠٨- ١٩٨٨)

١١- استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر: د. على عشرى زايد (الشركة العامة للنشر- طرابلس- ليبيا ١٩٧٨)

١٢- الاستيعاب فى أسماء الأصحاب (بهامش الإصابة)- ابن عبد البر (دار الفكر العربى بيروت. د. ت)

١٣- أسد الغابة فى معرفة الصحابة: ابن الأثير أبو الحسن على بن محمد الشيبانى الجزرى. (دار الشعب- القاهرة.د.ت)

١٤- الإصابة فى تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلانى (دار الفكر- بيروت. د. ت)

١٥- أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتدمير: د. جابر قميحة (دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- ط(١)١٤٢٣-٢٠٠٢)

١٦- الأعلام: الزركلى: خير الدين (دار العلم للملايين- بيروت ط (٤) ١٩٧٩

١٧- الأغانى: أبو الفرج الأصفهانى- تحقيق إبراهيم الأبيارى- دار الشعب- عن طبعة دار الكتب- القاهرة١٩٦٩)

١٨- الالتزام فى الأدب الإسلامى: د. محمد مصطفى هدارة. (بحث مقدم لندوة الأدب الإسلامى المنعقدة فى الرياض. فى ١٦/ ٧/ ١٤٠٥)

١٩- الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل: د. جابر قميحة (دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة١٩٩٨)

٢٠- إمتاع الأسماع: المقريزى تقى الدين أحمد بن على- تحقيق محمود شاكر (لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٩٤١)

٢١- البخارى (صحيح البخارى) محمد بن إسماعيل (دار الشعب- القاهرة د.ت)

٢٢- التاريخ أثره وفائدته: أ. ل. رواس ترجمة مجد الدين حفنى ناصف (سجل العرب- القاهرة ١٩٦٨)

٢٣- تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك): الطبرى محمد بن جرير- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف- القاهرة ١٩٧٧)

٢٤- تحت راية الفاروق (ديوان شعر) عبد الباسط البنا (دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة د.ت)

٢٥- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا د. يوسف القرضاوى (مكتبة وهبة- القاهرة١٩٩٩)

٢٦- تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن (دار الفكر -بيروت ١٤١٥- ١٩٩٥)

٢٧- الحق المبين فى أناشيد الإخوان المسلمين (ديوان شعر): عبد الباسط البنا

٢٨- الحياة العربية من الشعر الجاهلى: د. أحمد الحوفى- مكتبة نهضة مصر- القاهرة. ط(٢)

٢٩- حياة محمد: د. محمد حسين هيكل (دار المعارف ط(١٣)- القاهرة ١٩٧٥

٣٠- خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب (الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ١٩٧٨)

٣١- دراسات فى الشعر العربى المعاصر: د. شوقى ضيف (دار المعارف - القاهرة ط(٤) ١٩٦٩

٣٢- ديوان البواكير: عبد الحكيم عابدين (دار الصاوى- القاهرة د.ت)

٣٣- ديوان الخليل: خليل مطران (دار الكتاب العربى- بيروت ط(٣) ١٩٦٧)
٣٤- ديوان حافظ إبراهيم (دار العودة- بيروت د.ت)
٣٥- ديوان صريع الغوانى: مسلم بن الوليد (تحقيق حسن البنا)- مكتبة المعاهد العلمية- الصنادقية- القاهرة د.ت)
٣٦- ديوان عبد المطلب: محمد عبد المطلب (الشاعر البدوى) (المكتبة التجارية- القاهرة ١٩٣٩)
٣٧- ديوان عمر أبى ريشة. (دار العودة – بيروت ١٩٧٩)
٣٨- ذكريات لا مذكرات: عمر التلمسانى (دار الاعتصام. القاهرة ١٩٨٥)
٣٩- رسالة الأناشيد: أناشيد مختارة (إدراة الجوالة بالإخوان المسلمين)
٤٠- السيرة النبوية: ابن هشام بن أيوب الحميرى. تحقيق مصطفى السقا وآخرين- مصطفى البابى الحلبى- القاهرة ط(٢)
٤١- سيرة عمر بن الخطاب على وناجى الطنطاوى (المكتبة العربية – دمشق. د. ت)
٤٢- شرح القصائد العشر: التبريزى: الخطيب أبو زكريا يحيى بن على (إدارة المطبعة المنيرية القاهرة١٣٦٩)
٤٣- الشعر والتاريخ: د. نورى حمودى القبسى بحث بمجلة المورد- العدد (٢) المجلد (٨)- بغداد ١٩٧٩
٤٤- الشعر والشعراء: ابن قتيبة – تحقيق أحمد شاكر- القاهرة ط(٣) – القاهرة ١٩٨٨
٤٥- الشوقيات: احمد شوقى (دار الكتاب العربى- بيروت. د.ت)
٤٦- صفوة التفاسير: محمد على الصابونى (دار القرآن الكريم بيروت- ١٩٨١)
٤٧- صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم: د. جابر قميحة (دار الصحوة- القاهرة ١٩٨٧)
٤٨- طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى. تحقيق محمود شاكر – مطبعة المدنى. القاهرة د.ت
٤٩- العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب الشيخ ناصيف اليازجى. (دار القلم- بيروت. د.ت)
٥٠- العصر العباسى الأول: د. شوقى ضيف (دار المعارف- القاهرة. ط (٦) ١٩٧٦
٥١- العقد الفريد: ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسى (لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة- ١٩٤٠)

٥٢- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق: أبو على الحسن القيروانى الأزدى (دار الجيل- بيروت. د.ت)
٥٣- عمر والعجوز (مسرحية شعرية): محمد يوسف المحجوب. (مكتبة مصر - الفجالة- القاهرة١٩٤٥)
٥٤- غزوة بدر (مسرحية شعرية): أحمد موسى عفيفى (مطبعة الكواكب- القاهرة. د.ت)
٥٥- فى أصول الأدب: أحمد حسن الزيات (مطبعة الرسالة. ط(٢)- القاهرة ١٩٥٢
٥٦- فى الأدب الحديث: عمر الدسوقى (دار الفكر العربى- القاهرة- ١٩٥٥)
٥٧- فى التاريخ: فكرة ومنهاج: سيد قطب (دار الشروق- القاهرة- ١٩٨٩)
٥٨- فى قافلة الإخوان المسلمون: عباس السيسي (دار الطباعة والنشر- الإسكندرية ١٤٠٧-١٩٨٧)
٥٩- فى مبادئ الإخوان المسلمين: دعوة الحق والقوة والحرية (د.شعر) عبد اللطيف العيلى (المطبعة الأهلية بملوى- ط١- شوال ١٣٥٩)
٦٠- القضايا الكبرى فى الإسلام: عبد المتعال الصعيدى. (مكتبة الآداب بالقاهرة. د.ت)
٦١- كتب وشخصيات : سيد قطب (دار الشروق- القاهرة د.ت)
٦٢- كلمات فى التراث العربى: د. جابر قميحة (مطبعة الشباب- القاهرة١٩٨١)
٦٣- لبنى وابن ذريح: فاتنية بنى كعب وشاعر الحجاز (مسرحية شعرية): إبراهيم بعد الفتاح (دار القبس- القاهرة١٩٤٨)
٦٤- لغويات محدثة فى العربية المعاصرة: د. محمد داود (دار غريب. القاهرة٢٠٠٦)
٦٥- لله والحق وفلسطين: د. جابر قميحة (دار المصرية اللبنانية. القاهرة ٨/ ١٤- ١٩٩٧)
٦٦- لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا: عبد المتعال الجبرى (دار الاعتصام القاهرة١٩٨٧)
٦٧- المؤرخون وروح الشعر: إيمفرى نف ترجمة توفيق اسكندر (بيروت١٩٧٩)
٦٨- مبادئ التمثيل والإخراج: محمد سعيد الجوحدار (دار الفكر- بيروت- ١٩٨٥)
٦٩- مبادئ علم النفس العام: د. يوسف مراد (دار المعارف- القاهرة. ط(٢) ١٩٥٤
٧٠- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (دار الدعوة بالإسكندرية-١٩٨٩)

٧١- محمد صلى الله عليه وسلم فى الشعر الحديث: د. حلمى القاعود (دار الوفاء- المنصورة- ١٩٨٧)
٧٢- المدائح النبوية فى الأدب العربى: د. زكى مبارك (دار الجيل- بيروت-١٩٩٢)
٧٣- المدخل إلى القيم الإسلامية: د. جابر قميحة (دار الكتاب المصرى اللبنانى- القاهرة١٩٨٤)
٧٤- مذكرات الدعوة والداعية: الإمام حسن البنا (الزهراء للإعلام العربى- القاهرة- ١٩٩٠)
٧٥- مذكرات عبد الحكيم عابدين: مسجلة بصوته
٧٦- مسرح الشعر: عزيز أباظة (دار الكتاب اللبنانى- بيروت- ١٩٦٩)
٧٧- مسرحية كليوباترة بين الأدب العربى والأدب الإنجليزى: د. جمال الدين الرمادى (دار البيان- القاهرة-١٩٧٣)
٧٨- المصطلحات الأدبية الحديثة د. محمد عنانى (الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان- القاهرة ١٩٩٦)
٧٩- معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين إعداد : أحمد الجدع (عمان١٩٩٩)
٨٠- المعجم المفصل فى الأدب: محمد التونجى (دار الكتب العلمية -بيروت ١٩٩٣)
٨١- معجم مصطلحات الأدب: د. مجدى وهبة (مكتبة لبنان- بيروت ١٩٧٤)
٨٢- المغازى: الحافظ شمس الدين الذهبى- تحقيق محمد محمود حمدان-(دار الكتاب المصرى- القاهرة ١٩٨٥)
٨٣- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى. (دار الشعب – القاهرة. د.ت)
٨٤- الملهم الموهوب حسن البنا: أستاذ الجيل: عمر التلمسانى (دار النصر- للطباعة- القاهرة د.ت)
٨٥- من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة: المستشار عبد الله العقيل (مكتبة المنار الإسلامية- الكويت١٤٢٢)
٨٦- من وحى الدعوة (ديوان شعر) محمد طلبه السعداوى (دار الكتاب العربى- القاهرة د.ت)
٨٧- من وحى الدعوة الإسلامية (ديوان شعر) إبراهيم عبد الفتاح. (دار القبس للنشر والتوزيع. ط(٢) الإسكندرية ١٩٨٩)

٨٨- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ابن الجوزى. (دار الكتب العلمية- بيروت ط(٣)١٩٨٧)
٨٩- منهج العقاد فى التراجم الأدبية: د. جابر قميحة. (مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٨٠)
٩٠- منهج الفن الإسلامى: محمد قطب (دار الشروق- القاهرة- ١٩٨٧)
٩١- الموجه الفنى لمدرسى اللغة العربية: عبد العليم إبراهيم – (ط(١٣) دار المعارف. القاهرة ١٩٨٤)
٩٢- الموسوعة الثقافية: إشراف د. سعيد حسين (مؤسسة فرانكلين- القاهرة ١٩٧٢)
٩٣- موسوعة السياسة: تأسيس د. عبد الوهاب الكيالى (المؤسسة العربية للدرسات والنشر. ط (٢)- بيروت ١٩٩٠
٩٤- الموسوعة الشوقية: أحمد شوقى (دار الكتاب العربى. ط(١) بيروت ١٩٩٤
٩٥- الموسوعة العربية الميسرة ط(١) دار الشعب- القاهرة ١٩٦٥
٩٦- موسوعة المصطلح النقدى: ترجمها عن الإنجليزية: د. عبد الواحد لؤلؤة (دار الرشيد للنشر- بغداد ط(٢)
٩٧- النظارات والوزارات فى مصر (١٨٧٨-١٩٥٣) جمع وترتيب فؤاد كرم. (الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط(٢) القاهرة-١٩٩٤
٩٨- الهجرة الأولى (مسرحية شعرية): محمد يوسف المحجوب. (مكتبة مصر- الفجالة- القاهرة د.ت)
٩٩- يثرب فى انتظار الرسول (مسرحية شعرية): على سرور (القاهرة١٣٦٧-١٩٤٨)

الدوريات

١٠٠- الإخوان المسلمون (مصرية)
١٠١- الأفكار (مصرية)
١٠٢- التعارف (مصرية)
١٠٣- الخلود (مصرية)
١٠٤- الرسالة (مصرية)
١٠٥- الشهاب (مصرية)
١٠٦- المورد (عراقية)
١٠٧- النذير (مصرية)

الفهرس

***

هذا الكتاب

تعرضت عشرات الكتب لتاريخ الإخوان المسلمين والتي غطت مسيرتهم وتناولت تاريخ الجماعة السياسي والاجتماعي والتربوي ؛ ولكن المكتبة العربية لم تحظ بكتاب عن التاريخ الأدبي للإخوان المسلمين وذلك رغم أن الأدب كان آلية من آليات الدعوة التي لها جاذبيتها وقوة أسرها .

وجاء هذا الكتاب ليسد النقص ويكمل الصورة ، فقد تناول جزءًا من التاريخ الأدبي للإخوان المسلمين وهو الشعر وذلك خلال الفترة من تأسيس الجماعة وحتى استشهاد الإمام المؤسس على أن يصدر جزء ثان خاص بالنثر .

وقد تناول الكتاب موقف الإسلام من الشعر ، ثم موقف الإخوان من الشعر والموضوعات التي عالجها شعراء الإخوان ، ثم دراسة نقدية لأشهر شاعرين من شعراء الإخوان وهما الأستاذ عبد الحكيم عابدين والأستاذ إبراهيم عبد الفتاح ، كما ألحق بالكتاب مختارات متنوعة من أشعار الإخوان وبها نختم الكتاب .

نسأل الله تعالى أن يُنتفع به ، إنه نعم المولى ونعم النصير

الناشر





دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - تليفاكس: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net